

غلين دافيسال

موجز تاريخ علم الآثار

ترجمة

د. عباس سيد أحمد محمد علي

١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

دار الفيصل الثقافية

خليل دافيد

مؤلف

تاريخ علم الآثار

ترجمة

د. عباس سيد أحمد محمد علي

١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

دار الفيل الثقافي

ح) دار الفیصل الثقافیة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنیة

دانیال، غلین

موجز تاریخ علم الآثار / ترجمة عباس سید أحمد محمد .- الرياض .

٣٤٨ ص ؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩٩٦٠-٧٢٦-٦٢-٢

١- علم الآثار أ- عباس، سید أحمد محمد (مترجم) ب- العنوان

٢١/١٥٨١

دیوی ٩١٣٠٣١

رقم الإيداع: ٢١ / ١٥٨١

ردمك: ٩٩٦٠-٧٢٦-٦٢-٢

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

أصل هذا الكتاب باللغة الإنجليزية:

A Short History Of Archaeology

Glyn Danial

LONDON: THAMES AND HUDSON, 1981.

دار الفیصل الثقافیة

ص . ب ٣ الرياض ١١٤١١

الملكة العربیة السعودیة

المحتويات

٥	مقدمة المترجم
١١	مقدمة المؤلف
	الفصل الأول
١٥	مولد علم الآثار
	الفصل الثاني
٥٧	جامعو التحف والآثاريون
	الفصل الثالث
١٢٣	المنقبون والمستكشفون
	الفصل الرابع
١٨٧	علم الآثار يشب عن الطوق
	الفصل الخامس
٢٢٩	الجديد وغير الجديد في علم الآثار
	الفصل السادس
٢٧٩	المحاور الكبرى
٢٨٩	مراجع للاستزادة
٢٩٣	الكشافات العامة

مقدمة المترجم

إن تاريخ علم الآثار ينبغي ألا يفهم على أنه سجل للأحداث التي شكّلت مسيرة ذلك العلم وقادت إلى تطوره، كما أنه ليس رصداً للشخصيات التي أسهمت في وضع لبنات صرحه، وإنما هو قبل هذا وذاك تتبع لتطور الفكر النظري والوسائل التطبيقية التي لازمت تلك الأحداث والأفراد وحددت مسار ذلك العلم ومصيره.

وفي علم الآثار؛ يتطلب أي استعراض كالذي هو بين يدي القارئ بخاصة أو غيره بعامة وقفات عدة، زمانية ومكانية، لتفحص طبيعة القضايا المطروحة وتقويم الأحداث المرتبطة بتلك القضايا في إطارها الزماني والمكاني، وربطها بالمناخ الفكري المعاصر، مع كامل الإلمام بالإستراتيجيات والمناهج التي اتبعت في معالجتها، وتتبع مسالك الأخذ والعطاء بين علم الآثار والعلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى. وكما جاء على لسان مؤرخ العلوم جورج سارتون: «إن الأحداث الكبرى تلقي بظلالها على النشاط الإنسانية علمية وغير علمية». وكان لابد للأحداث المعاصرة والأفكار السائدة من أن تؤثر في الفكر الأثاري وقضاياها وتأثير بها، غير أن المعرفة بتاريخ كل علم تبقى شرطاً مسبقاً لفهم ذلك العلم واستيعابه.

لقد انقضى قرن ونصف قرن منذ أن شبَّ علم الآثار عن طوقه متجاوزاً مرحلة التكوين والميلاد إلى مرحلة البلورة والنضج، وعلى امتداد مسيرته ظل هذا العلم يضع لبنات متزايدة لتاريخه بتجدد أهدافه وتوسع مجالات بحثه

وتصارع مدارس وتطور مناهجه وأساليبه، كل ذلك وفق إيقاع حافل بالتوافق والتعارض وبالتداخل والتشعب.

إن مهمة شاقة كمهمة كتابة تاريخ علم الآثار هذه فهي في حاجة إلى شخص موسوعي المعرفة، ليس في مجال الآثار وعلمها فحسب؛ وإنما في مختلف فروع المعرفة الإنسانية والعلوم الطبيعية والتطبيقية ذات الصلة. وليس هناك من شخص في علمنا أقدر وأجدر بهذه المهمة وأكثر ملاءمة لها من أستاذنا غ. دانيال G. Daniel (١٩١٤ - ١٩٨٦) مؤلف هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ، والأستاذ السابق لكرسي الآثار بجامعة كيمبردج، ومحرر مجلة العصور القديمة، ومحرر ومؤسس سلسلة الشعوب والأماكن القديمة، ومُعدّ ومقدم عدد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، ومؤلف عدد من الكتب والمقالات الأثرية، كل ذلك على امتداد حياة حافلة بأعمال أكاديمية جليلة. كان الرجل أثرياً ومؤرخاً وعالمًا وأديباً واسع المعرفة، جعل من نشر المعرفة الأثرية وسيلةً وهدفًا، ليس من أجل بقاء علم الآثار واستمراره فحسب؛ وإنما من أجل تحقيق الأهداف السامية التي يرمي إليها العلم على مستوى الدراسات النظرية والتطبيقية، ومن أجل المساهمات التي يقدمها للمسيرة الإنسانية بوصفها خلاصة لتجربة الإنسان في ماضيه وتفحص رؤياه المستقبلية.

وتمشياً ومسايرة لذلك الهدف؛ جاءت فكرة نقل هذا الكتاب إلى العربية، وأذكر أنني حين فاتحته بتلك الرغبة أبدى ترحيباً فائقاً ورغبة في كتابة تصدير للقارئ العربي، إلا أن رحيله حرماناً جميعاً من تلك النعمة. إن البدء بترجمة كتاب يعرض لتاريخ العلم ونشأته وتطوره يوفر مادة علمية تضع الأساس لطرق موضوعات العلم الأخرى.

ليس هذا مجال الحديث عن الترجمة ومشكلاتها وتعقيداتها. يقولون: «إن

الترجمة السلسة لا تكون دقيقة» والعكس كذلك. وكثيراً ما كان خيارنا ونحن ننقل هذا الكتاب إلى العربية ينحصر في أمور ثلاثة: تطابق العبارة وسلاسة الصياغة وسلامة المعنى. ويزيد الأمر تعقيداً أننا ننقل عن شخص عرف بتمكنه اللغوي وبأسلوبه الرفيع المتفرد. ومن مميزات أسلوبه؛ السكوت عن المعاني قبل بلوغها أحياناً. وهو أسلوب أدبي رائع بلا شك، لكنه أوجد لنا مشكلات في الترجمة ألزمتنا بالخروج على حرفية النص أحياناً. وكان خيارنا دائماً هو سلامة المعنى، محاولين إيصال ما أراده الكاتب إلى ذهن القارئ، مفترضين أننا قد أدركنا مراد الكاتب.

لقد كان من الواضح لنا أن الكتاب موجه في الأصل لطلاب الآثار وللقارئ الغربي، ومن ثم كان لابد من إضافة هوامش لشرح أمور أو سدّ ثغرات قد يحتاجها الطالب والقارئ العربي، إلا أنه كان لزاماً علينا الاكتفاء بالحد الأدنى منها وإلا خرج الكتاب عن مساره وابتعد عما أراده له كاتبه. كذلك يحوي الكتاب الأصل صوراً - في أغلبها - لبعض الشخصيات التي أسهمت في تطور هذا العلم، وقد رأينا عدم جدوى نقلها إلى الطبعة المترجمة إذ إن ذلك لن يُنقص شيئاً ذا معنى.

أثناء إعداد هذه الترجمة؛ كانت نيتي تتجه إلى إضافة فصلين، يغطي أولهما النشاطات الآثارية فيما وراء الغرب، أو بعبارة أدق؛ في تلك المناطق التي لم يسلط عليها الضوء بشكل كافٍ، مثل اليابان وأمريكا الجنوبية وأوروبا الشرقية وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي. أما الفصل الثاني؛ فقد كنت أنوي أن أعرض فيه ما استحدث في علم الآثار خلال العقد التاسع من هذا القرن، وسد الثغرة الزمنية بين ظهور الكتاب الأصل وظهور النسخة المترجمة. وعلى أهمية هذه الأمور فيما أرى، إلا أنني استحضرت كلمات المؤلف في مقدمته «...» في

تلك الحالة، لن يكون تاريخاً موجزاً. .».

وهناك بضع مسائل منهجية متعلقة بأسماء الأعلام والبلدان والمؤلفات. وقد درجنا في نقل هذه إلى العربية على صياغة المسميات حسبما علمنا أنها تنطق في لغاتها التي كتبت بها. لذا؛ فأسماء الأعلام وبعض أسماء البلدان الفرنسية والألمانية والأسكندنافية والإيطالية والأوربية الشرقية وغيرها كتبناها كما علمنا أنها تنطق في هذه اللغات، فعسى ذلك يزيل الغرابة التي قد يراها فيها القارئ العربي غير العارف بتلك اللغات. هذا شيء؛ والشيء الثاني هو أننا نورد الاسم للعلم أو المكان باللغة العربية ولغته الأصلية معاً في أول وروده بتقديم الصيغة العربية على الأصلية، ثم نكتفي بالصيغة العربية بعد ذلك بعد أن عرفنا القارئ بالمقصود. أما أسماء المؤلفات فهذه قد نقلناها إلى اللغة العربية أيضاً، وكما فعلنا بأسماء الأعلام والبلدان أوردنا المنقول والأصل معاً بتقديم الترجمة العربية على الأصل حتى لا يفسد السياق، يليه العنوان الأصلي. ولا يفهم من ذلك أن هذه المؤلفات مترجمة من قبل إلى العربية، إذ إن العكس هو الصحيح، فليس هناك منها ما هو مترجم إلى العربية حسب علمنا، ولو علمنا شيئاً لا ثبتناه عند ذكره. وربما خالفنا بعض الباحثين ورأى أحقية تقديم الأصل الإفرنجي على ترجمته في هذا العمل، وهذا أمر كنا قد وقفنا عنده وقفة تساؤل، ولكن حرصاً منا على انسياب اللغة أثرنا النهج الذي نهجناه.

وفي ختام هذه المقدمة، أود أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري، عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، والعميد السابق لكلية الآداب بجامعة الملك سعود، والرئيس السابق لقسم الآثار والمتاحف فيها - الذي وقف خلف فكرة ترجمة هذا الكتاب - على تشجيعه المستمر ليخرج الكتاب إلى النور، كما أتوجه بالشكر للأستاذ

الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي رئيس قسم الآثار والمدير الأسبق لمركز البحوث بكلية الآداب، على ما تفضل به من دعم وما لقيته منه من مساندة بوصفه رئيساً لقسم الآثار.

والشكر أجزله للأستاذ الدكتور عبدالقادر محمود عبدالله على ما بذل من جهد وماتكبد من مشقة في مراجعة الترجمة وتصحيح الصياغة اللغوية، وعلى تصويب ترجمة عبارات فرنسية وألمانية، إضافة إلى ما وجه به من تعديلات أخرى، فعل ذلك بمقدرة ودقة يعرفهما عنه كل من عمل معه. والشكر موصول للزميل الدكتور يوسف مختار الأمين على ما عاناه من مراجعة للترجمة ومالفت نظري إليه من ملاحظات. إن ما تحويه هذه الترجمة من محاسن أمر يفوق قدراتي، وما كان لها أن تخرج بما ظهرت به لولا الحوار والنقاش المثمر والمقترحات البناءة التي لقيتها من هذين الزميلين، أما ما قد يلمس في الترجمة من إخفاق وقصور فإن ذلك يبقى مسئوليتي وحدي.

والشكر أيضاً للزملاء الدكتور فؤاد أحمد الشرقاوي والدكتور عاصم نايف البرغوثي والدكتور جمال حسين الحرامي على ما قدموه لي من عون في ترجمة بعض العبارات الإغريقية واللاتينية وتصحيح كتابة بعض أسماء الأعلام والمواقع من الفترة الكلاسيكية.

ولابد من تسجيل كلمة عرفان - وإن جاءت متأخرة - لأستاذنا الراحل غلين دانيال على ترحيبه بترجمة الكتاب، والشكر لمؤسسة ثيمس وهندسون - الناشر الأصلي - على الموافقة على الترجمة.

كما يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر لمركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود على ما قدمه من دعم مالي لتغطية تكلفة النسخ ومراجعة النص.

والشكر لدار الفیصل الثقافية التي تكفلت بنشر هذا الكتاب مساهمة منها في نشر المعرفة الإنسانية إلى أبناء العربية، وكافة العاملين والمححرين في مركز الملك فیصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

الشكر لأفراد أسرتي الذين كانوا عوناً لي، ولكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب.

والحمد والشكر لله من قبل ومن بعد.

عباس سيد أحمد محمد علي

مقدمة المؤلف

صدر المجلد الأول من سلسلة الشعوب والأماكن القديمة Ancient Peoples and Places ، وهو كتاب البيرو Peru لجفري بوشنيل Geoffery Bushnell في عام ١٩٥٦م.

والآن وبعد مضي خمسة وعشرين عاماً على وجود هذه السلسلة، وطباعة خمسة ملايين كلمة وخمسة عشر ألف صورة وشكل؛ وصلنا إلى المجلد المئة. كانت قد جاءت فكرة هذه السلسلة إثر حوار عارض بيني وبين سايمون يونغ Simon Yaung أحد تلاميذي السابقين، الذي كان وقتها من العاملين في مؤسسة ثيمس وهندسون للنشر Thames & Hudson، ثم أصبح مديراً للمؤسسة جون موري John Murray . لكن القرار الخيالي لبدء السلسلة ودعمها بقوة يعود إلى ولتر نيوراث Walter Neurath الذي أسهم فيها بشكل فعال، والذي كانت وفاته في ١٩٦٧ خسارة فادحة للجميع. كان المجلد الأول من تصميم زوجته إيفا Eva . وإني لجد سعيد أن أهدي هذا المجلد لولتر وإيفا، اللذين كان لهما الفضل في ظهور هذه السلسلة.

أما أهداف السلسلة فهي بسيطة: أن تلخص بشكل موثوق وسلس ماهو معروف عن الشعوب القديمة: (الاسكاثيين، والأترسك والفينيقيين والمايا) أو الأماكن القديمة: (بابل والقسطنطينية والمكسيك، ونيوغرينج وبريتاني). وكنا نهدف أن تفي هذه الكتب بحاجة الطلاب والقارئ العام الذي يبحث عن تلخيص يحوي آخر ماتوصلت إليه المعرفة عن شعب معين أو مكان ما أو

موضوع ما عن الماضي، وفي الوقت نفسه أن تمكن المتخصص من الانطلاق منها لإعداد قائمة بالمراجع الخاصة بالموضوع لاطلاع أعمق. وقد كان هدفنا ماوسعنا حماية الآثار من السقوط في وحلها بعرض الإنجازات الفنية للشعوب القديمة في شكل لوحات. لقد كان النجاح حليفنا أحياناً، وقد وصف سايرل كونولي Cyril Cannolly مرة هذه السلسلة بقوله: «إنها القنطرة المثالية بين محدودي الثقافة وموسوعي الثقافة».

ونحن نتأهب لإصدار المجلد المئة، طلب مني الناشر أن نحتفل بالمناسبة بإصدار موجز لتاريخ علم الآثار. لقد كان اعتقادي أنني قد قلت كل ما أود قوله في هذا الموضوع في كتيبي: **العصور الثلاثة The three Ages** ومئة عام من علم الآثار **Hurdred Years of Archaeology** وفكرة ما قبل التاريخ **The Idea of Prehistory** والإنسان يكتشف ماضيه **Man Discovers His Past** وأصول ونشأة علم الآثار **Origins and Growth of Archaeology** ومئة وخمسون عاماً من علم الآثار **Hundred and Fifty Years of Archaeology**. ولكنني وجدت في هذا الطلب مناسبة لحصر أفكارى في مقالة مطوّلة، لذا فهي بالضرورة انتقائية وشخصية في أفكارها.

وقد سعت لأبرز أموراً أراها مهمة، ليس في مجال الاكتشافات الأثرية فحسب؛ وإنما في مجال تاريخ الفكر البشري مما يخص ماضي الإنسان على حد سواء.

لقد كنت مدركاً منذ البداية استحالة معالجة تاريخ طويل لعلم إنساني متطور يمارس الآن على نطاق واسع في العالم بأسره معالجة تامة في كتاب موجز كهذا، ولهذا السبب أشرت خلال المتن إلى مراجع أخرى يجد فيها القارئ معالجات أكثر موثوقية وأوفر معلومات. لقد جزأت القصة في الفصول الخمسة

الأولى إلى خمس فترات: الأولى من البداية إلى عام ١٧٩٧، حين كتب جون فريير John Frere خطابه الشهير. والثانية في ١٧٩٧ إلى ١٨٦٧، وهو تاريخ إقامة المعرض الدولي في باريس، بعد انقضاء ثماني سنوات على نشر كتاب شارلس داروين أصل الأنواع *Origin of Species* في عام ١٨٥٩. والثالثة من عام ١٨٦٧ إلى قيام الحرب العالمية الأولى. ثم الفترة الرابعة لربع القرن الذي يفصل بين الحربين الذي شهد نمواً مطرداً لعلم الآثار في العالم أجمع. وأخيراً الفترة الخامسة من عام ١٩٣٩م إلى الوقت الحالي، وهي بالطبع أصعب الفترات من حيث التعامل معها بشكل وافٍ، بل حتى غير وافٍ في كتاب موجز. وفي كل واحد من هذه الفصول - عدا الفصل الخامس - طرقتُ موضوعات وأماكن بشكل منفصل. أما الفصل السادس فقد حوى انطباعات شخصية لما أعده أهم المحاور في التطور التاريخي لعلم الآثار.

كان أول مؤتمر عن تاريخ علم الآثار قد عقد في أرهس في عام ١٩٧٨، وكنت وأول كلنت جنسن Ole Klindt Jensen (الذي توفي عام ١٩٨٠) قد اضطلعنا بتنظيمه. ونشرت البحوث التي قرأت في المؤتمر في كتاب باسم نحو تاريخ لعلم الآثار *Towards a History of Archaeology*. لقد أفدت كثيراً من ذلك المؤتمر وأبحاثه، وبخاصة تلك التي تخص تطور نظام العصور الثلاثة، والبحث الذي قدمه ديلب شاكرابارتي Dilip Chakrabarti عن تاريخ علم الآثار في الهند وك. سلينار K. Slenar عن علم الآثار في تشكوسلوفاكيا.

إنني ممتن لولتر وإيفا نوراث للتشجيع المتواصل الذي تلقيته منها أثناء قيامي بتحرير سلسلة الشعوب والأماكن القديمة، وبعد رحيل والتر لخلفه توماس نوراث Thomas Neurath، وهو أحد تلاميذي وصديق مقرب لي يعمل الآن مديراً للمؤسسة. كما أنني ولربع قرن من الزمان ظللت مستأنساً بآراء أعضاء

هيئة التحرير في مؤسسة تيمس وهندسون متلقياً نصائحهم ومساعداتهم، وبخاصة ما كان من إريك بيترز Eric Peters الذي يدين له الكثيرون ممن كتبوا عن الموضوعات القديمة، لقد قام هو وزميله كولن ريدر Colin Ridler بتحرير هذا الكتاب فأفدت كثيراً من نصائحهم ونقدهم. لقد أرادوا لهذا الكتاب أن يحوي المزيد، وربما كان هذا هو ما يتطلع له القراء المأمولون أيضاً، لكنه بذلك لن يكون تاريخاً موجزاً، بل إنه في هيئته الحالية قد يصعب وصفه بأنه موجز. وسواء أكان حجمه كبيراً أم صغيراً فعساه أن يحقق هدفه المنشود؛ وهو تحفيز كل من هو مهتم بماضي الإنسان إلى معرفة الكيفية التي تطور بها علم الآثار، ولينتقل من هناك إلى قراءة كتب أكثر تفصيلاً. هذا هو هدف السلسلة، وهو وضع محدوددي الثقافة فوق القنطرة المؤدية إلى مرافئ الثقافات الموسوعية. وهنا تكمن حقيقة وإثارة افتتان أن تكون - أو حتى أن تحاول أن تكون - آثارياً، وأن تلم بما هو معروف في الحاضر عن الشعوب والأماكن القديمة. ولكننا يجب أن نذكر دائماً أن ما هو معروف في وقتنا الحاضر هو كالحاضر نفسه؛ لحظة عارضة. وهناك في علم الآثار أمر واحد لا خلاف حوله، وهو أن ما نقوله اليوم عن السومريين أو الآثار الميغاليثية ليس ما كان يقال قبل ربع قرن من الزمان حين بدأت هذه السلسلة، كما أنه بلاشك سيختلف عما سيقال بعد ربع قرن آخر حين يحتفل محرر جديد لهذه السلسلة بإصدار المجلد المئتين.

غ. دانيال

الفصل الأول

مولد علم الآثار

مقدمة :

علم الآثار هو ذلك الفرع من "دراسة التاريخ" الذي يعنى بدراسة المخلفات المادية والحضارية لماضي الإنسان. إن دارس التاريخ بمعناه الشامل يهتم بكل المصادر، سواء أكانت مكتوبة أم منقوشة أم مخلفات مادية. ومن خلالها يهدف المؤرخ إلى رسم صورة مكتملة وصادقة لماضي الإنسان ما وسعه ذلك. أما الآثارى فيتعامل مع الأدوات والأشياء المادية التي كان يصنعها الإنسان مثل أسلحته ومسالكه ومقابره وأماكن عبادته. لقد عُرِفَت المصادر المكتوبة أول مرة منذ حوالي خمسة آلاف سنة مضت. وعليه، وبصفة عامة فإن هناك فرعين من علم الآثار: أولهما هو ذلك الفرع الذي يهتم بماضي الإنسان قبل المعرفة بالكتابة، وهو الذي يسمى بعلم "ما قبل التاريخ" ويرجع إلى عهد المجموعات البشرية المبكرة التي عاشت في شرق إفريقيا، التي يعود تاريخها إلى مليونين ونصف مليون سنة خلت، أو ربما يزيد على ذلك. أما الفرع الثاني من علم الآثار فهو الذي يختص بالمخلفات المادية للحضارة البشرية التي عرفت الكتابة^(١).

(١) تقسم الحضارة البشرية حقتين رئيسيتين هما: أ- حقبة ما قبل التاريخ وب - الحقبة التاريخية، وقد اتفق على جعل الكتابة فيصلاً بين الحقتين. أما أقدم دليل للكتابة معروف لدينا فهو المخطوطات السومرية التي عثر عليها في موقع الوركاء بجنوب وادي الرافدين التي يرجع تاريخها إلى ٣٢٠٠-٣٠٠٠ ق م. (المترجم).

في بادئ الأمر كانت المخلفات المادية لهذه المجتمعات تحظى بالقدر نفسه من الأهمية الذي تحظى به المصادر المكتوبة والمدونة، وربما تفوقها أحياناً. تلك هي الفترة التي يشار إليها بفجر التاريخ. وعند ظهور المصادر المكتوبة وتعددتها تنتقل الحضارة من مرحلة فجر التاريخ إلى الفترة التاريخية بمعناها الدقيق. عندها تصبح دراسة المخلفات المادية للإنسان - كما يشاع كثيراً - أداة مساعدة تخدم علم التاريخ.

يحدثنا قاموس أكسفورد الإنجليزي أن أصل كلمة آثار "أركيولوجيا" مشتقة من الكلمة الإغريقية "أرخيولوجيا"^(١) التي تعني: "الاهتمام بالأشياء القديمة"، ويحدثنا كذلك عن كيفية استعمالها، فهي تعني أولاً التاريخ القديم بصفة عامة، وتعني ثانياً وصفاً تفصيلياً أو دراسة تفصيلية للمخلفات الأثرية^(٢)، ثم تعني ثالثاً الدراسة العلمية للمخلفات الأثرية والحضارية لفترة ما قبل التاريخ. في الوقت الذي لم يعد فيه الاستعمال الأول للكلمة مجدياً فإن الاستعمال الثالث لها أصبح محدوداً. إن حقبة ما قبل التاريخ - وإن كانت تُعنى بأطول الفترات عمراً تلك التي يهتم بها الآثار - إلا أنها تمثل جزءاً من علم الآثار الذي يعني حسب التعريف الثاني للكلمة: "الوصف المنهجي للآثار ودراساتها"، وهكذا يكون التفسير الثاني للكلمة هو الأقرب للحقيقة. أما الشيء الذي لم يوضحه تعريف قاموس أكسفورد الإنجليزي فهو أن الوصف التفصيلي للمخلفات الأثرية ليس المقصود منه وصف المخلفات الأثرية لذاتها، وإنما هو وسيلة

(١) لعل الكلمة الإغريقية هي أرخيولوجيكس. (المترجم).

(٢) في هذه الترجمة تستعمل عبارة «أثرية» لتعني كل ما يتعلق بالمخلفات القديمة، أما عبارة «آثرية» فتعني ما يتعلق بعلم الآثار؛ مثل «مواقع أثرية» و«تنقيبات أثرية». (المترجم).

لتسليط الضوء على ماضي الإنسان في مرحلة ما قبل التاريخ والفترة التاريخية^(١).
يوضح جورج دو George Daux في كتابه الرائع المختصر عن تاريخ علم الآثار المسمى مراحل علم الآثار (١٩٤٢م) *Les Etapes de L'Archéologie* الذي صدر في سلسلة Que-sais-je أن لفظة "علم الآثار" قد أُحيي استعمالها في الوسط العلمي في القرن السابع عشر على يد جاك سبون (١٦٤٧ - ١٦٨٥) Jacques Spon. وهو طبيب عاش في مدينة ليون ثم أُجبر على مغادرة فرنسا بعد نقض "أمر نانت" الملكي^(٢)، وزار عدداً من البلاد يصحبه سير جورج ويلار George Wheeler (المتوفى في عام ١٧٢٣م) الذي كتب عام ١٦٨٢م كتابه رحلة في بلاد الإغريق... في صحبة الدكتور سبون *A Journey into Greece in the Company of Dr Spon*. أعقبه الدكتور سبون بكتاب نشر في أمستردام في عام ١٦٨٩ بعنوان رحلة إيطاليا ودلماسيا^(٣) وبلاد الإغريق والشام، خلال الأعوام ١٦٧٥ - ١٦٧٦ *Voyage d'Italie, de Dalmatie de Grèce et du Levant fait aux années, 1675-1671* وكتاب آخر بعنوان

(١) جاء تعريف "علم الآثار" في دائرة المعارف البريطانية على أنه: "ذلك الفرع من المعرفة الذي يدرس المخلقات المادية لماضي الإنسان". أما دائرة المعارف الأمريكية فتعرفه على أنه: "العلم الذي يتعامل مع ماضي الإنسان بهدف اكتشاف تاريخه، وصياغة تسلسل الأحداث التي شهدتها حقبة ما قبل التاريخ والحقبة التاريخية المبكرة". كذلك تجدر الإشارة هنا إلى أن المصادر الأمريكية تورد عبارتي "علم الآثار" و"آثار ما قبل التاريخ" وهما يتبادلان معناهما أحياناً. لعل ذلك يرجع إلى حقيقة أن المخلقات الحضارية هناك، التي يتعامل معها علم الآثار، تعود في غالبها - وخاصة في أمريكا الشمالية - إلى حقبة لم تعرف الكتابة. (المترجم).

(٢) "أمر نانت" أمر ملكي أصدره الملك هنري الرابع في ١٥٩٨ بمنح البروتستانت حرية الاعتقاد، وقد أطلق عليه اسم المدينة الفرنسية التي صدر فيها. (المترجم).

(٣) "دلماسيا" هي الجزء الغربي مما كان يعرف بيوغسلافيا. (المترجم).

منوعات غنية من الشرق *Miscellanea erudita antiquitatis* نشر في ليون خلال السنوات ١٦٨٩ - ١٧١٣ م.

متى ولد علم الآثار إذن؟ ومن هو الآثاري الأول؟ يحدثنا التاريخ بأن الأواخر من ملوك بابل المحليين قاموا بعدد من المشروعات العمرانية في المدن القديمة لسومر وأكاد، وأن بختنصر ونابونيد - من آخر ملوك بابل - قد قاما بحفريات وعمليات ترميم في مدينة أور^(١). وقد سر الملك نابونيد كثيراً حين وجد في أور مخطوطات قديمة لأسلافه الأوائل. أما ابنته الأميرة إن - نيغالدي - ننا (وكان اسمها قد قرئ من قبل خطأ على أنه بلشالتي نتر) فقد ظلت لعدة سنوات تقوم بالحفر في معبد أغادة^(٢). وحين أدى هطول الأمطار الغزيرة إلى كشف النقاب عن القاعة الرئيسة للمعبد، تذكر السجلات أن: "ذلك الاكتشاف قد أثلج صدر الملك وأشاع البهجة على محياه". وكان للأميرة إن - نيغالدي - ننا حجرة في قصرها احتفظت فيها بما جمعته من قطع أثرية محلية. (للمزيد من التفاصيل عن هذه النشاطات الأثرية في العصر البابلي نحيل القارئ إلى كتاب جون أوتس Joan Oates، بابل Babylon الذي صدر في عام ١٩٧٩ م، ص ١٦٢).

بالطبع لم تكن هذه المحاولات الأولى المبكرة هي البداية لعلم الآثار المعروف، ولم تعرف دنيا الإغريق والرومان الكلاسيكية علماً يعنى بدراسة التاريخ القديم للإنسان عبر المخلفات المادية لحضارته. هناك مؤرخون مثل

(١) بختنصر الثاني حكم خلال الأعوام ٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م، ونابونيد حكم خلال الأعوام ٥٥٥ - ٥٣٩ ق.م. (المترجم).

(٢) أغادة يقصد بها أكد، ولعل خطأ مطبعياً قد وقع في الأصل. (المترجم).

هيرودوت^(١) وبعض علماء الإغريق ممن سجل ملاحظات إثنوغرافية جيدة، وشاهدوا مجموعات من قبائل البرابرة البدائية المعاصرة لهم^(٢). إن هذه المحاولات تدخل في نطاق علم الموروثات الشعبية والأعراق البشرية والإثنوبولوجيا، إلا أنهم ليسوا بآثارين على أية حال على أنهم رأوا أناساً كشف الآثاريون مخلفاتهم في وقت لاحق.

لقد كانت للرومان والإغريق أفكارهم عن الماضي البشري إلا أنها لم تكن تركز على علم الآثار، فقد عرف الإغريق الكثير عن تاريخهم في العصر الموكيني قبل استعمال الحديد. كما أن كلاً من الإغريق والرومان تأملوا في تطور الصناعة على مر العصور وراقبوها، فكانت لهم عصور حجرية وبرونزية وحديدية، كما كانت لهم عصور ذهبية. كانت هناك ملاحظات على أصل المدينيات وانتشار الحضارة، ففي عهد ديودور الصقلي Diodorus Siculus ادعى بعض المصريين أو الإغريق المنحدرين من أصول مصرية أن العنصر البشري انتشر من مصر القديمة، وفي وقت لاحق عمم هذا الحكم ليشمل الحضارات الأخرى كذلك، إلا أن هذا الاعتقاد لا يعدو أن يكون منطلقاً من تعصب محلي، ولم يكن إرهاباً للأفكار المشابهة التي سادت في بداية القرن العشرين وجعلت من مصر مركزاً رئيساً للانتشار الحضاري^(٣).

ومن الغريب أن هناك نصوصاً صينية يعود تاريخها إلى عام ٥٢ للميلاد

(١) ولد هيرودوت Herodotus في عام ٤٨٤ ق.م. في مدينة ساحلية تطل على بحر إيجه في غرب تركيا الحالية، وبعد كتابه هستوريا القاعلة التي ارتكز عليها علم التاريخ. (المترجم).

(٢) أطلقوا على هذه القبائل لفظة "برابرة" والمقصود بها الشعوب غير الإغريقية. (المترجم).

(٣) أظهر كتاب الفترة الكلاسيكية من مؤرخين وفلاسفة (أفلاطون، أرسطو، هيرودوت وثيوكوديدس) خلال القرنين الخامس والرابع ق.م. اهتماماً بالماضي، وكانت نظرتهم تتلخص في أن التاريخ يسير في حلقات Cycles، أي أنه يعيد نفسه Cyclical، وقد سادت تلك النظرة حتى سقوط روما وسيادة الديانة المسيحية. (المترجم).

أعطت تسلسلاً لماضي البشرية مبتدأً بعصر حجري فعصر برونزي ثم عصر حديدي. وفي كتاب تاريخ النظرية الإثنولوجية - *The History of Ethnological Theory* الذي صدر في عام ١٩٣٧، كتب البروفسر ر. ه. لوي R. H. Lowie مشيراً إلى هذا التصور: "ليست هذه حالة ذكاء سبقت العلم بألفي عام، فالذكاء المتقدم قد يلقي ببعض الاحتمالات دون أن تكون مستندة على أية حقائق، كما أنه ليست هناك محاولة حتى لاختبارها". إنني أعتقد أن النصوص الصينية ربما تضمنت ذكريات شعبية قديمة للتتابع التقني للعصر الحجري والبرونزي والحديدي الذي ترسخ حقيقة تاريخية وأصبح حجر الزاوية لعلم الآثار الحديث في بداية القرن التاسع عشر^(١).

إن النصوص الصينية والتصورات الإغريقية والرومانية لم يكن لها تأثير على الفكر الأوربي الغربي في المرحلة التي أعقبت الإمبراطورية الرومانية، ولم يكن علم الآثار معروفاً بعد، وكان ينظر إلى الماضي من خلال كتاب العهد القديم والكتاب الكلاسيكيين. ففي كتاب تاريخ ملوك بريطانيا *A History of Kings of Britain* الذي صدر في عام ١٥٠٨، جاء جفري مونماوث Geoffrey Monmouth ببروتس ابن إينياس Brutus Son of Aeneas إلى إنجلترا في عام ١١٢٥ ق.م. لبدأ به تاريخ بريطانيا. ذلك هو الماضي المفترض، ماضي يقوم على الأسطورة والخرافة، وهو كل ما كان بوسع الإنسان عمله قبل إدراكه أهمية الدليل الأثري.

(١) هناك إشارة إلى أن هيسويد الشاعر اليوناني قد أشار في القرن الثامن ق.م. إلى تعاقب عصور خمسة على الحضارة البشرية:

أ- عصر ذهبي (عاش فيه الإنسان في سلام).

ب - عصر فضي (كان أقل حظاً من سابقه).

ج - عصر برونزي.

د - عصر أبطال الملاحم.

هـ - عصر حديدي (وهو العصر الذي عاش فيه هيسويد، وأسماء عصر الشقاء). (المترجم).

حوض البحر الأبيض المتوسط ومصر:

تسبب انهيار الإمبراطوريات الإغريقية والرومانية في اندثار الأفكار التي سادت في العالم الكلاسيكي عن الإنسان القديم. فالتصورات التي قدمها هيسويد Hesiod ولوكريوس Lucretius استبدل بها قصة خلق العالم والإنسان وقصة الطوفان الذي عم العالم كما جاء في سفر التكوين^(١). ومع ظهور عهد النهضة التعليمية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر عاد الاهتمام بالفترة الكلاسيكية وكتابتها أمثال: لوكريوس وأرسطو Aristotle وهيسويد وهيرودوت وأعيدت قراءة ما جاءوا به. وكذلك الحال بالنسبة لأعمال مثل تعليقات على حرب الغال لقيصر وأغريكولا Agricola وألمانيا^(٢) Germania لتاكيوس Tacitus التي تضمنت وصفاً لحياة "البرابرة" في وسط أوروبا وشمالها من شعوب السلتيين والغال والألمان والبريطانيين والغوط^(٣). كذلك شملت وصفاً لطبقة من المجتمع السلتي يدعون الدرودين^(٤) كان منهم المعلمون والكهنة والقضاة^(٥).

(١) بعد سقوط روما وانتشار المسيحية تحولت النظرة للماضي حين نادى أشخاص من أمثال سنت أوغستين (٣٥٤-٤٣٠م) إلى أن التاريخ لا يعيد نفسه، وإنما يسير نحو غاية محددة مرسومة، Pur-positive وأنه يسير في طريق لا رجعة فيه Linearpath. وقد أثرت تلك الأفكار كثيراً على كتاب عصر النهضة. (المترجم).

(٢) أغريكولا دراسة مدح فيها تاكيوس والد زوجته رغبنايوس يوليوس الملقب بأغريكولا، وقد نشرت في عام ٩٨م. أما ألمانيا فهي دراسة عن الشعوب الجرمانية شملت وصف البلاد وأهلها وعاداتهم وتقاليدهم. (المترجم).

(٣) السلتيين: أحد الشعوب الهندية الأوروبية التي استقرت قديماً في غرب أوروبا، والغال هم الفرنسيون القدماء، أما الغوط فهم شعب جرمانى قديم.

(٤) الدرودين أو الدود Druids عبارة أطلقها قدماء الإنجليز على الكهنة. (المترجم).

(٥) لعله من الجدير بالملاحظة هنا أن نقف عند ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦) الذي عاش في شمال إفريقيا في القرن الرابع عشر الميلادي وترك أعمالاً ضخمة أفرغ فيها معلوماته عن تاريخ

إن المدن الكلاسيكية عاشت حتى القرن السادس عشر من خلال مخلفاتها الحضارية. كما أن الباحثين الإيطاليين والرحالة من أقطار أخرى ممن زاروا إيطاليا وبلاد الإغريق وآسيا الصغرى ومصر بدأوا يتعرفون إلى آثار العصر الكلاسيكي وآثار الشرق الأدنى ويصفونها ويبدون إعجابهم بها. كما أن القساوسة والرهبان بدأوا يجمعون التحف والآثار وحولوا منازلهم إلى متاحف خاصة. وفي هذه الأثناء ظهرت في إيطاليا عبارة "دلتانتي" لتطلق على المعجبين والمشغوفين بالفنون.

في عام ١٧٣٢م قامت في إنجلترا جمعية ماثلة لمحببي الفنون على أيدي مجموعة من أهل العلم، وعقد اجتماع لها ضم كل المهتمين والرحالة الذين زاروا إيطاليا وقاموا "بالرحلة الكبرى". في مقدمة كتاب آثار الأيونيين **Ionian Antiquities**^(١) كتب ريتشارد شاندلر Richard Chandler عن أصل محبي الفنون ومنشئهم فقال: "إن مجموعة من الرجال ممن كانوا قد قاموا بعدة رحلات في إيطاليا عادوا إلى بلادهم يدفعهم الإعجاب بتلك الفنون التي شاهدوها خارج أوطانهم، فأسسوا جمعية باسم محبي الفنون لتشجيع الاهتمام بالأعمال الفنية وتذوقها".

= المغرب والأندلس والشرق العربي وسرد فلسفته عن نشوء المجتمعات وتطورها وتحللها. ويعد ابن خلدون من أوائل من أرسوا قاعدة علم الاجتماع. يرى في مقدمته أن التطور الحضاري أمر حتمي تفق خلفه دوافع معينة، حددها في السببية الاجتماعية وضرورة التعاون والعوامل المؤثرة في المجتمع (وهي الإقليم والمناخ والتربة). ويرى أن المجتمع متى ما نشأ بحكم العوامل السابقة فإنه يتطور وفق مبدأ ثابت من طور بدوي إلى غزوي ثم حضري وذلك قبل أن ينتهي إلى مرحلة التحلل والانحيار. (المترجم).

(١) أيونيا اسم أطلق على الساحل الغربي لآسيا الصغرى وبعض جزر بحر إيجه بعد أن رحلت جماعات من بلاد الإغريق في أعقاب الغزو الفارسي (حوالي ١٠٠٠ ق.م)، ولعلها العبارة التي جاءت منها كلمة «يونان». (المترجم).

لقد شهدت الفترة ١٧٥٠ - ١٨٨٠ التي تمثل عصر النهضة الثاني في بلاد الإغريق تجدد الاهتمام بالدراسات الكلاسيكية، حيث تم اكتشاف آثار العالم الكلاسيكي على أيدي علماء فرنسيين وألمان وإنجليز. لقد بدأ عصر جامعي التحف الإنجليز بالرحالة الفنان جيمس استيوارت James Stuart (١٧١٢ - ١٧٨٦) والمعماري نيكولا ريفت Nicholas Revett (١٧٢٠ - ١٨٠٤). خلال الأعوام ١٧٥١ - ١٧٥٣ التي قضياها في أثينا في رسم الآثار وقياسها وتسجيلها، ودونا نتائجهما في كتابهما العظيم آثار أثينا **The Antiquities of Athens**، الذي ظهر الجزء الأول منه بعد طول انتظار في عام ١٧٦٢ بينما لم يظهر الجزء الرابع إلا في عام ١٨١٦، وقد مولت جمعية محبي الفنون هذا الكتاب، كما قامت بتمويل أول حملة لاستكشاف الآثار الأيونية في عام ١٧٦٤، وكانت تضم كلاً من ريفت وشاندله ووليم بارس William Pars. وقد نشرت نتائج هذه الحملة في عدة أجزاء بين الأعوام ١٧٦٩ - ١٧٩٧ تحت عنوان آثار أيونيا **The Antiquities of Ionia**. في الوقت نفسه الذي كان فيه استيوارت وريفت يعملان في أثينا؛ كان اثنان من الإنجليز هما روبرت وود Robert Wood وجيمس دوكنز James Dawkins يقومان بجولة في آسيا الصغرى والشرق الأدنى ونشرا نتائجهما في مجلدين لروبرت وود هما خرائب بالميرا **Ruins of Palmyra** في عام ١٧٥٣ وخرائب بعلبك **Ruins of Baalbec** في عام ١٧٥٧.

خلال القرن الثامن عشر فتر حماس جامعي التحف الإيطاليين وتضاءل، وانتقل كثير من التحف الرومانية إلى باريس ومدريد وميونخ وبراغ، ومع ذلك فعندما كتب يواخيم وينكلمان Joachim Winckelmann في منتصف القرن الثامن عشر كتابه الشهير تاريخ الفنون **History of Arts** (١٧٦٣ - ١٧٦٨) لم

يجد غير روما لتزوده بالمادة الأساس لذلك الكتاب. لقد لقب وينكلمان هذا «بأبي الآثار»، فهو بلا شك أول من درس الفنون القديمة دراسة تاريخية، ومع ذلك فإن تاريخ الفن ليس سوى وجه واحد من أوجه علم الآثار.

في البلاد الكلاسيكية تزامنت الاكتشافات الأثرية مع مرحلة جمع الآثار الكلاسيكية ووصفها، فالمدن القديمة كبومبي وهيركيولانيوم إلى الجنوب الشرقي من نابولي استمدتا أهميتهما في التاريخ وفي تاريخ علم الآثار من التدمير الفجائي الذي لحق بهما نتيجة لبركان فيسوف الذي ثار في ٢٤ أغسطس سنة ٧٩م. وعندما خمد البركان في اليوم التالي كانت بومبي ترقد تحت ستة أمتار من الركام والرماد البركاني. أما في هيركيولانيوم فقد انجرفت الحمم البركانية وتراكمت في طبقات سميكة لتغطي المدينة بما بلغ سمكه عشرين متراً من الركام، وهناك كتب بليني الأصغر Pliny the Younger بوصفه شاهد عيان على هذه الأحداث المخيفة خطابه إلى تاكيتس.

لقد اكتشفت انقاض مدينة بومبي في أواخر القرن السادس عشر أثناء حفر نفق. وفي عام ١٧٠٩م بدأ التنقيب عن هذه المدن المدفونة تحت الانقاض البركانية؛ فبدأ بهيركيولانيوم أثناء الاحتلال النمساوي حيث وجد العمال تحت الانقاض البركانية ثلاثة تماثيل لنساء من المرمر، الشيء الذي أشعل حماس زوجة الملك شارل الرابع ملك نابولي، فبدأ الملك حفريات في مدينة هيركيولانيوم في عام ١٧٣٨م. بعد ذلك بعشر سنوات بدأ العمل في مدينة بومبي حيث وجد في عام ١٧٦٣م النقش rei publicae Pompeianorum الذي قطع بأن الموقع هو فعلاً لمدينة بومبي.

استمرت الحفريات في هيركيولانيوم عن طريق شق الأنفاق وغرس الأعمدة تحت الأطلال حتى عام ١٧٦٥م حيث كشف النقاب عن المسرح القديم

والبازيلكا وفيلا البرديات، وتم رسم خريطة توضح كل معالم المدينة. وعلى مقربة من مدينتي ستابيا وغراغناتو استمرت الحفريات من عام ١٧٤٩م إلى عام ١٧٨٢م تحت رعاية الملك شارل الرابع ملك نابولي - الذي أصبح فيما بعد شارل الثالث ملك إسبانيا - وقد أسفرت الحفريات عن اكتشاف اثنتي عشرة فيلا.

لقد أثرت الاكتشافات والاهتمام بالآثار الكلاسيكية على الذوق وفن التصميم في أوروبا في القرن الثامن عشر، وقام المتحف البريطاني باقتناء مجموعة من المزهريات الإغريقية التي تخص سير وليام هاملتون William Hamilton الذي عمل سفيراً لبريطانيا في نابولي عام ١٧٧٢م. وقد ألهمت مؤلفاته التي كانت بعنوان التحف الأتروسكية والإغريقية والرومانية *Antiquities Etrusques, Grecques et Romaines* التي ظهرت خلال الأعوام ١٧٦٦-١٧٦٧م، يوشع ودجوود Josiah Wedgwood بتصميم قوارير إغريقية وأتروسكية وبومبية^(١)، ولا تزال مصنوعات ودجوود هذه في إستانفورد شير بإنجلترا تحمل اسم «أتورريا» اعترافاً بذلك الإلهام وإشارة إلى مصدره.

كان الرحالة الأوائل من العرب والإغريق على معرفة بالآثار المصرية الشاخصة، فهيرودوت الذي لقب «بأب التاريخ» قام برحلات في بلاد مصر جنوباً حتى أسوان، وكتب عن التحنيط عند قدماء المصريين وعن الأهرامات. كما زار مصر كل من ديودور الصقلي وسترابو Strabo وبوسانيس Pausanis وبليني الكبير Pliny the Elder، وقد أطلق اسم ممنون بطل رواية هومر خطأ على التمثالين الكبيرين لأمنحوتب الثالث في طيبة، كما أطلق الإغريق اسم المعبد الممنوني على المعبد الجنائزي لرمسيس الثاني، إلا أن ديودور أسماه قبر

(١) بومبية إشارة إلى بومبي. (المترجم).

أوزيمانديس (وهو اسم رمسيس عند الإغريق)، ونقل ديودور أحد النقوش الموجودة على أحد التماثيل على أنه يُقرأ: «اسمي أوزيمانديس ملك الملوك، فلو عرف أحد عظمتي ومرقدي، فليتفوق عليّ في أي من إنجازاتي» (وربما كان هذا هو مصدر قصيدة الشاعر البريطاني شيلي المسماة "أوزيمانديس"). اهتم الرحالة العرب الذين زاروا مصر في العصور الوسطى بأهرامات الجيزة، وتركزت اهتماماتهم في المجال الأول على العثور على الكنوز من داخل المقابر. أما الرحالة الأوروبيون في القرن السادس عشر والسابع عشر وكذلك الثامن عشر فقلما تجاوزوا القاهرة وأهرامات الجيزة. وفي عام ١٦١٠ وصف رجل إنجليزي يدعى سانديس Sandys في كتابه رحلات Travels طريقة دخوله إلى الهرم الأكبر؛ فأوضح أن الهرم ليس مستودعاً لكنوز وإنما هو مقبرة لأحد الملوك. أما جون غريفس John Greaves من أكسفورد فقد زار مصر في عام ١٦٣٨ وكتب كتابه تخطيط الأهرامات Prymidographia، وكان له الفضل في جمع مقاييس دقيقة للهرم الأكبر، الذي قال عنه: «إنه مقبرة ملكية للفرعون، وإنه شعار الخلود»، كما أنه أتى بأول رسم تفصيلي دقيق للهرم الأكبر من الداخل أسماه «داخل أول وأبهى هرم». كذلك ظهر كتاب رتشارد بوكوك Richard Po-cocke رحلات في مصر Travels in Egypt في عام ١٧٥٥م ليوضح أن بوكوك قد ذهب أبعد من أهرامات الجيزة؛ حيث وصف أهرامات سقارة ودهشور وأتى بما يمكن أن يكون أول وصف لهرم جوسر المدرج، كما وصف مساطب الجيزة التي وفق في وصفها بأنها مدافن للأمراء والنبلاء.

كان نابليون بونابرت عندما بدأ زحفه على مصر من طولون في ١٩ مايو ١٧٩٨م قد زود جيشه بأمهر العلماء والرسامين ليتمكنوا أثناء الزحف من رصد جغرافية مصر ومواردها وآثارها، وكان من بين هذه المجموعة من العلماء

دولوميو Dolomieu ودومنيك فيفان Dominique Vivant وبارون دينون Baron Denon (١٧٤٧ - ١٨٢٥م). ويقال: إن نابليون استعمل مشهد الأهرامات لغرس الحماس في قلوب جنوده، ويذكر أنه خاطبهم مرة بقوله: «أيها الجنود إن أربعين قرناً من التاريخ تنظر إليكم من قمة هذه الأهرام». وعلى الرغم من القضاء على الحملة الفرنسية في ساحل أبوقير على يد الأدميرال نلسون؛ إلا أن الجيوش الفرنسية بقيت في مصر لفترة حتى أغسطس ١٧٩٩م، وذلك حين أبحر نابليون عائداً إلى فرنسا. وفي هذه الأثناء أنشئ المعهد الفرنسي المصري الذي استمر حتى القرن العشرين، ولم تشمل أعمال هذا المعهد الأثرية أية حفريات، بل انصبت أعماله على رصد الآثار الشاخصة وتسجيلها، وجمع كل ما يمكن جمعه من آثار.

وكان من بين القطع التي عثرت عليها الحملة الفرنسية حجر رشيد الذي اكتشفه جندي فرنسي مصادفة خلال الحفر لإقامة حصن قرب الإسكندرية. والحجر عبارة عن لوح من البازلت الأسود طوله ٣ أقدام و٩ بوصات (١١٤ سم) وعرضه قدمان و ٥ر٤ بوصة (٧٢سم) وسمكه ١١ بوصة (٢٨ سم)، وهو يحمل نقشاً بثلاثة أنواع من الخط، واعتقد أحد الضباط ويدعى بوشار Boussard أن تكون لهذا الحجر أهمية كبرى فأمر بترحيله إلى القاهرة، وهناك صُبت له قوالب من الجبس على شاكلته وأرسلت إلى باريس. وفي عام ١٨٠٢ عندما احتل الإنجليز مصر استولوا على كل القطع الأثرية التي جمعها الفرنسيون بما في ذلك - وبعد صعوبة بالغة - حجر رشيد، وهذا ما يفسر الوجود الحالي لهذه القطعة الأثرية التي لا تقدر بثمن في المتحف البريطاني؛ إنها إحدى غنائم الحرب.

منذ القرن السادس عشر أخذ الرحالة الأوربيون يتجولون في وادي الرافدين، فزاروا التلين الكبيرين بالقرب من الحلة في بابل ومن الموصل في آشور، وهما التلان اللذان ذكرت كتب التراث اليهودية والعربية بأنهما موقعا مدينتي بابل ونينوى. وقد جمع الرحالة من هذه المواقع بقايا أوان فخارية وقطع طينية، وبقايا ألواح مغطاة بكتابة بالخط المسماري كالتى وجدت على القطع الأثرية الفارسية القديمة. وفي عام ١٧٦٥م زار العالم الدنماركي كارستن نيبور Carsten Niebuhr خرائب برسيبولس^(١) وأعد نسخاً لكثير من النقوش المسمارية التي وجدها هناك دون أن يعرف أنها تمثل ثلاثة أنواع من الخطوط. وبعد فك رموزها تبين أنها مكتوبة باللغة الفارسية القديمة واللغة العيلامية واللغة البابلية.

جامعو التحف في شمال أوروبا وغربها:

مما يلاحظ أنه لم يتوافر لكل واحد من جامعي التحف الأوربيين ما يكفيه من وقت ومال لدراسة الآثار المصرية والكلاسيكية. وقد ذكر الدكتور وليام بورلاس الذي نشر كتابه آثار كورنول Antiquities of Cornwall في عام ١٧٥٤م بأنه لجأ إلى تلك الدراسة بديلاً للرحلات الخارجية.

إن نظرة سريعة إلى جامعي التحف البريطانيين توضح لنا ما كان يجري آنذاك في مجال الآثار، ففي عام ١٥٣٣ عُيّن جون ليلاند John Leland (١٥٠٦ - ١٥٥٢م) مسئولاً عن الآثار الملكية بأمر من الملك هنري الثامن، فتجول في بريطانيا واصفاً الأشياء ذات القيمة الأثرية كالمكتبات والأديرة والمباني

(١) برسيبولس هي المدينة التي أنشأها الإمبراطور دارا في عام ٥١٨ ق.م. لتصبح عاصمة للدولة الأخمينية، وقد دمرها الإسكندر في عام ٣٣١ ق.م. (المترجم).

القديمة. أما وليام كامدن William Camden (١٥٥١ - ١٦٢٣م) الذي عمل في البدء مديراً لمدرسة وستمنستر قبل أن ينتقل إلى هيرالدز كولدج؛ فقد قام برحلات مكثفة دارساً الآثار الشاخصة في بريطانيا وداعياً للاهتمام بالآثار التي سماها: «تحف الماضي». وقد لاحظ أن بعض الناس يحتقرون دراسة الآثار ويزدرونها، بينما كان ذا نظرة مغايرة تماماً. كتب يقول: «في دراسة الآثار - التي يلزمها دائماً شعور بالعزة وارتباط بالسرمدية - غذاء دسم للعقل يليق بخلق قويم وسام». وفي عام ١٥٨٦م حين لم يتجاوز عمره الخامسة والثلاثين نشر كتابه بريطانيا Britannia الذي يعد أول دليل للآثار البريطانية. ولمثني عام تلت أعيد نشر الكتاب عدة مرات بعد مراجعته وتنقيحه، وفي الطبعة الأولى الأصلية ولأول مرة في أي كتاب عن الآثار البريطانية يظهر رسم توضيحي؛ وقد كان لمذبح سكسوني أعيد استعماله في كنيسة في لويس في سسكس. وفي عام ١٦٠٠ حين أصدر طبعة جديدة من كتابه بريطانيا، ضمنها رسومات للأستون هنج^(١) وكذلك لعملات رومانية. لقد كان كامدن دقيق الملاحظة، إذ توصل إلى مانسميه الآن بالعلامات الدالة على الآثار في الحقول Cropmarks التي يمكن ملاحظتها بسهولة من خلال الصور الجوية. وقد كتب عن مدينة

(١) استون هنج Stonehenge هي أحد المعالم الأثرية ليس في الآثار الأوربية فحسب بل في مجال الآثار عامة. وهي عبارة عن أنصاب من حجارة ضخمة يزن بعضها مايزيد على خمسة وعشرين طناً وتقف شامخة إلى ارتفاع يزيد على خمسة أمتار. ولعل أهم مواقعها ذلك الذي يقع في سهل سلسبري في ويلتشير في وسط إنجلترا، ويعتقد أن أقرب مصدر للحجارة المستعملة فيه يقع في مقاطعة ويلز على بعد ٢٥٠ ميلاً من الموقع الأثري. ولا يعرف تحديداً متى أقيم هذا النصب إلا أن البعض يؤرخه في حدود ٢٠٠٠ ق.م. وذلك أثناء العصر الحجري الحديث حين وفدت جماعات بشرية من إسبانيا إلى إنجلترا وقامت ببنائه، وهناك ما يشير إلى إعادة بنائه في فترات مختلفة. كذلك لا يعرف الهدف من بنائه أو وظيفته؛ إلا أنه يعتقد أنه كان مكان تجمع للمناسبات الدينية، كما يرى آخرون أنه مرصد فلكي قديم. (المترجم).

ريتشبره الرومانية فقال: «لقد محى الزمن كل أثر لها، ولنتيقن أن المدن تموت كما يموت الإنسان، ها هي قد تحولت الآن إلى حقل للذرة نلاحظ ضعف نموه في تلك الخطوط المتقاطعة التي كانت يوماً شوارع للمدينة».

أما روبرت بلوت Robert Plot وإدوارد لويد Edward Lhwyd، من بين آخرين في بريطانيا فقد سارا على النهج نفسه الذي سار عليه ليلاند وكامدن. أصبح بلوت (١٦٤٠ - ١٦٩٦) أول أمين للمتحف الأشمولي في أكسفورد، وظهرت مؤلفاته التاريخ الطبيعي لستافورد شاير *Natural History of Staffordshire* و *Natural History of Oxfordshire* في الفترة من ١٦٧٠ - ١٦٧٩ م. وكان بلوت عالم طوبوغرافيا كما كان مؤرخاً وعارفاً بالآثار. وقد اهتم - كمعاصريه - بالزيارات الميدانية والاستفسارات والأسئلة الموجهة إلى الكهنة وملوك الأراضي ومديري المدارس. وكان من ضمن أسئلة بلوت: «هل سمعتم عن، أو رأيتم أية مقابر قديمة لأناس ضخام الهيئة أو جنرالات من الرومان أو آخرين من العهود البائدة؟». وكذلك فعل معاصره مشيل Machel الذي ضمن استبياناه أسئلة عن ماهية الأماكن التي وقعت فيها معارك سابقة؟ وأين توجد أكوام مستديرة من الحجارة أو التربة على قمم التلال؟ وهل هناك أنفاق أو حصون أو معسكرات؟

تولى إدوارد لويد (١٦٦٠ - ١٧٠٨ م) بعد أستاذه القديم بلوت أمانة المتحف الأشمولي، وقد كان رجلاً شمولي المعرفة، متعدد الثقافات، كتب في الجيولوجيا واللغة السلتية^(١) والآثار، وزار العديد من المناطق في إنجلترا وويلز وأسكتلندا وإيرلندا. وفي عام ١٦٩٩ م عندما اكتشفت حجرة الدفن الرئيسة

(١) اللغة السلتية أو الكلتيه هي إحدى اللغات الهندية الأوروبية القديمة التي سادت في أوروبا خلال الألف الأول ق.م. ، وقد تفرعت عنها اللغة الاسكتلندية والإيرلندية ولغة أهل ويلز في المملكة المتحدة. (المترجم).

لمقبرة غرينج إلى الشمال من دبلن^(١)؛ زارها لويد وأعجب بها كما أعجب بالحجارة المنحوتة منها. وقد كتب عن قطعة النقود الرومانية التي عثر عليها في قمة الركام الموجود على المقبرة: «إن المنحوتات الهمجية على مدخل المقبرة وما بداخلها يشير إلى أنها أثر بربري، وأن قطعة العملة تعطيها تاريخاً سابقاً للغزو الإستانمي أو الدنماركي، كما أن المنحوتات والتماثيل ذات طبيعة بربرية، وهذا يعني أن المقبرة تخص أحد الإيرلنديين القدماء. إنها ليست رومانية، ولكنها تبرز حاجتنا لإثبات أن الرومان قد وطأت أقدامهم تراب إيرلندا يوماً ما». لعل هذه واحدة من أقدم الأمثلة وأوضحها في المنطق والجدل الآثاري. لقد اعتمد لويد على الحقائق المادية لا على الكتاب الكلاسيكيين.

أما جون أوبري (١٦٢٦ - ١٦٩٧) John Aubrey صاحب كتاب الأعمار القصيرة **Brief Lives**، الذي كان صديقاً للسيد لويد، فقد كان مهتماً بالدراسات الميدانية الأثرية. وظل كتابه الآثار البريطانية **Monumenta Britannica** قابلاً دون نشر في مكتبة البودلين باكسفورد حتى عهد قريب (١٩٨٠م). لقد كتب عن ويلتشير في عام ١٦٦٠م قائلاً: «دعنا نتخيل ما كان عليه الحال في هذه البلاد في عصر البريطانيين القدماء... أشجار متناثرة، وسكان متوحشون كالحيوانات لا تغطي أجسادهم سوى جلودهم... أما ديانتهم، فهي عموماً كما وصفها قيصر، لقد كان كهنتهم من الدروديين، أما أساليبهم في القتال فيقول عنها قيصر: لقد عرفوا استعمال الحديد... كما كانوا أقل توحشاً بدرجة أو ثلاث درجات عن الأمريكيين، حتى أخضعهم

(١) يحتل الموقع مكاناً على بعد ٢٥ ميلاً إلى الشمال من دبلن، ويحوي مستوطناً ومقبرة تضم عدداً من حجرات الدفن وتؤرخ بمنتصف الألف الثالثة ق.م. (المترجم).

الرومان وعلموهم التحضر».

استخدم أوبري كتابات الكلاسيكيين لتفسير المخلفات الأثرية، وإليه يرجع الفضل في أنه أول من نسب أكوام الحجارة الدائرية إلى الكهنة الدروديين. ولقد قادت الحركة الأدبية المسماة بالثورة الرومانسية وما عرف عنها من اهتمام بتصوير الطبيعة إلى جذب الاهتمام بالبريطانيين القدامى وكهنتهم الدروديين.

ولعل خير مثال للآثارين البريطانيين الرومانسيين وليام استكلي William Stuckley (١٦٨٧ - ١٧٦٥ م)، الذي يذكره الناس بحبه للكهنة الدروديين، إلى جانب كونه آثرياً ممتازاً ودقيقاً في عمله الميداني. وتعد كتبه عجائب الرحلات *Itinerarium Curiosum* (١٧٢٥ م) وأوبري *Abury* (١٧٤٣ م) واستنون هنج *Stonehenge* (١٧٤٠ م) من المؤلفات المفيدة في وقتها. لقد كانت غايته واضحة حين قال: «إن قصده هو أن يعد سجلاً لكل الأماكن والمخلفات القديمة بعد معاينتها بدلاً من الاعتماد على أعمال الآخرين وعلى المصادر الثانوية».

لقد شهد القرن الثامن عشر بداية العمل الميداني في حقل الآثار، كما شهد بداية النظرية الفلسفية للماضي البشري. كان توماس بونال Thomas Pownall (١٧٢٢ - ١٨٠٥ م) الذي عمل حاكماً لولاية ماسشوست خلال الفترة من ١٧٥٧ إلى ١٧٦٠ م أحد من أسهموا في هذا المجال، فقد كتب في عام ١٧٣٣ م يقول: «كان وجه الأرض مغطى بالغابات والأشجار في كل بقعة عدا تلك التي غمرتها المياه، والبشر الذين كانوا هناك من سكان الغابات عاشوا على جمع الثمار وصيد الأسماك والحيوانات البرية، ثم أعقبهم مستعمرو الأرض الذين استقرت جماعاتهم وتناسلت وتكاثرت، وكما هو الحال في عالم اليوم فأينما جاء مستعمرو الأرض فإنهم يفترسون الأقلية المتناثرة من رجال الغابات».

هذه إذن نظرة مختلفة للماضي تتطلع بدرجة ما إلى الأحوال الاقتصادية في حقب ما قبل التاريخ، كما أنها قريبة من تلك الآراء التي طرحها أصحاب المدرسة «البدائية» الأسكتلندية في القرن الثامن عشر، التي كان من بين أعضائها توماس بلاكويل Tomas Blackwell وجيمس بيرنت James Burnett الذي لقب في وقت لاحق بلورد مونبودو Lord Monboddo (١٧١٤-١٧٩٩م). لقد استند هؤلاء في نظرياتهم على الاعتقاد القديم بأن الكون مخلوق لغاية معلومة وبنظام لاينفرط، وهي فكرة السلسلة العظمى للوجود التي يقع في إطارها كل شيء كائن، من أحط المخلوقات إلى الإنسان. لقد نشر كتاب مونبودو عن أصل اللغات وتطورها *On The Origin and Progress of Languages* في ست مجلدات في الفترة من ١٧٧٣م إلى ١٧٩٢م. كما أن كتابه الغيبيات القديمة *Ancient Metaphysics*، وهو في ست مجلدات أيضاً قد نشر ما بين الأعوام ١٧٧٩م و١٧٩٩م. كان مونبودو يجادل بأن القرد: «أورانج تان هو واحد من فصائل الجنس البشري، وأن الإنسان يولد وله ذنب وأن القابلات يقفن من وراء عدم انتشار هذه الحقيقة».

أما الدكتور صمويل جونسون Samuel Johnson (١٧٠٩-١٧٨٤م) فلم يتفق مع ملاحظات مونبودو، وكتب يقول: «إن هناك أناساً يحملون أفكاراً غريبة... لكنهم يخفونها، ولو كانت لهم أذنان فهم يخفونها كذلك، وربما كان لورد مونبودو يغار على ذنبه كالسنجاب». كذلك لم يقبل جونسون الملاحظات التي تستند على الآثار الشاخصة فكتب يقول: «إن كل مانعته عن بريطانيا القديمة لايتعدى صفحات قليلة، وليس هناك من سبيل إلى معرفة أكثر مما أخبرنا عنه الكتاب الأقدمون». هذه النظرة السلبية للآثار هي التي سادت في

أواخر القرن الثامن عشر^(١).

أما تطور علم الآثار في الدول الإسكندنافية في عصر النهضة فقد كان موازياً للنمط البريطاني، إلا أن الأولى تميزت ببعض الحفريات المبكرة. ففي عام ١٥٨٨ حفرت بعض المقابر في الشمال في روسكيلد بأمل إثبات وجود العمالقة والمحاربين الذين وردت سيرتهم في الروايات الشعبية. إلا أن الحفريات لم تسفر إلا عن القليل جداً من الأواني الفخارية وبعض الأدوات. وفي أواخر القرن السادس عشر أمر حاكم هولشتاين برسم الآثار الشهيرة بجلنج ووصفها، وهي الموجودة في منطقة جوتلاند إلى جانب نسخ بعض المخطوطات وفك رموزها. كما شجع كل من الملك غوستاف أدولف الثاني ملك السويد والملك كريستيان الرابع ملك الدنمارك على دراسة المخلفات الأثرية. وكان جون بوره John Bure أو يوهانس بوريوس Johnnes Bureus (١٥٦٨-١٦٥٢م) كما عرف اسمه باللاتينية لفترة من الوقت مدرساً للملك غوستاف. قام بوريوس بجولة في أنحاء السويد ودرس بعض المخلفات القديمة ونشر نتائجها في الآثار السويدية القوطية *Monumenta Sveo- Gothica Hactenus Exsculpta* إلى جانب دراسات أخرى لم تنشر، سماها الآثار الدراسة *Monumenta Runica* ثم أوجد الملك وظيفة باسم «المسؤول عن الآثار الملكية» وعين بوره فيها.

أما أولي فورم Ole Worm (أولس فورمس باللاتينية) (١٥٨٨-١٦٥٤م) الذي كان ابناً لعمدة أرهس فقد انحدر من أسرة لاجئة فرت من الاضطهاد

(١) تجدر الإشارة هنا إلى كتابات باستافيكو (١٦٦٨-١٧٤٤) الذي كان يرى أن تطور التاريخ يسير في خط لولبي، وطالب بإعادة النظر في دراسة الماضي، وذكر أن هناك عوامل مؤثرة في تطور الحضارة، بل كان على يقين من أن هناك قوانين تقف وراء التطور الحضاري. وقد تأثر بتلك الآراء مفكرين من أمثال: كانت وهيغل واسبنسر. (المترجم).

الديني في هولندا، ومع تخصصه في الطب فقد كان موسوعي المعرفة، حيث عمل أستاذاً للعلوم الإنسانية ثم العلوم الإغريقية ثم أستاذاً للطب بجامعة كوبنهاجن، وجمع أنواعاً عديدة من المعثورات خاصة المخلفات النباتية والحيوانية والأدوات التي كان يستعملها الإنسان، ورتبها بعناية، وصنفها إلى مجموعات حسب نظام دقيق ابتدعه بنفسه. وقام بإعداد فهرس مفصل نشره ابنه وليام في عام ١٦٥٥م بعد وفاة والده بعنوان متحف فورم - *Museum Wormianum*. أما متحفه الذي كان مقصد الزوار في كوبنهاجن فقد ضم مجموعة من التحف الغريبة، بعضها تحف أثرية وبعضها حيوانات محنطة. كان فورم مولعاً بالمخلفات الأثرية الدنماركية، وبالأخص الأطلال والخرائب التي نشر عنها كتابيه الآثار الدنماركية *Monumenta Danica, Fasti Danica* والأعياد الدنماركية *Fasti Danica* في عام ١٦٤٣م. وفي عام ١٦٢٦م تمكن فورم من الحصول على مرسوم ملكي يرسل إلى كل رجال الدين ليقوموا بالإبلاغ عن كل الخرائب والمدافن وكل المخلفات التاريخية في دوائريهم ومناطقهم. وفي عام ١٦٣٩ حين عثر على قرن ذهبي في غالهس جنوب جوتلاند؛ طلب من فورم لمعرفته الواسعة بالأطلال والمخلفات الأثرية أن يقوم بدراسته ووصفه، فقام بذلك ونشره في كتابه عن القرن الذهبي *De aureo Cornu* عام ١٦٤١م. هذا القرن الذهبي وآخر مثله عثر عليه بعد مئة عام سرقا من المجموعة الملكية في عام ١٨٠٢م وحطما، وعليه فإن الوصف الذي تركه فورم للقرن والمخلفات الأخرى وتصاميمهما ظلت محل عناية بالغة على مدى ثلاثمئة عام.

في عام ١٦٨٤م عين توماس بارثولين Thomas Bartholin أستاذاً للتاريخ مسؤولاً عن الآثار الملكية الدنماركية، وفي عام ١٦٨٩م نشر هو ومساعدته الإيسلندي أرني ماغنسون Arni Magnusson كتاباً من ثلاثة أجزاء بعنوان حول

أسباب تدهور الدنماركيين القدماء من البداية وحتى النهاية - *Antiquatatum Dan- icarum de Causis Contemptae a Danis adhuc gentibus mortis* وظفا فيه المصادر المكتوبة إلى جانب المخلفات الأثرية بغرض توضيح نظرة الدنماركيين الوثنيين إلى الموت.

أما في السويد فقد شهد عام ١٦٦٢م إنشاء كرسي للدراسات الآثرية بجامعة اوبسالا وكان أول من شغله هو أولف فيريليس Olaf Verelius. وفي عام ١٦٦٦م عين في وظيفة المسئول الملكي عن الآثار، ثم أنشأت كلية لدراسة الآثار ألحقت بجامعة اوبسالا. هذه الكلية كانت نتاج أفكار يوهان هادرورف Jo-han Hardorph الذي عمل أميناً للمتحف. وقد أعد يوهان مسودة مرسوم ملكي لحماية المخلفات القديمة بمملكة السويد وفنلندا، أعقبه بعد سنوات مرسوم ملكي آخر ينص على حماية الآثار المنقولة كذلك، وبهذه المراسيم والأوامر الملكية إضافة إلى كلية الدراسات الآثرية؛ استطاعت السويد أن تصدر الدول الأوربية في دراسة الآثار. وفي عام ١٦٩٢م انتقلت تلك الكلية إلى أستكهولم وسميت بكلية وثائق الآثار.

في الدنمارك قام إريك بونتوبيدان Erich Pontoppidan قسيس البلاط الملكي آنذاك، ومعه ولي العهد - الذي أصبح في وقت لاحق فريدريك الخامس - بحفر قبر ميغاليثي^(١) في يغبريس في عام ١٧٤٤م. وربما كانت هذه أول حفرة آثرية تتم بطريقة صحيحة. وقد نشر التقرير في أول نشرة لمداولات الجمعية الملكية في عام ١٧٤٤م. وأكد بونتوبيدان أن هذه الآثار هي مقبرة

(١) ميغاليثي Megalithic تعني مباني (مقابر أو غيرها) شيدت من حجارة ضخمة، وهي ظاهرة آثرية تنتشر في غرب أوربا وتعود إلى العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي. (المترجم).

لأناس عاديين، وليسوا عمالقة كما كان يسود الاعتقاد من قبل، وعلى حد قوله: «بناها أجدادنا الورعون رغم وثيتهم قبل ما يزيد على ١٨٠٠ سنة خلت». وفي عام ١٧٦٣ لخص بحوثه في مجال الآثار الدغماركية في مؤلفه الكبير الأطلس الدغماركي *Dendanske Atlas*. إن الإنجازات الأثرية في الدغمارك والسويد في القرنين السابع عشر والثامن عشر لتعد عظيمة بحق.

وفي فرنسا اكتشفت مقبرة ميغاليثية في كوشل قرب درو في منطقة أور وقد تم حفرها في عام ١٦٨٥. وتعد المقبرة مثلاً جيداً لما نسميه اليوم بالممر المسقوف *Allée couverte*، ويعطينا هذا السجل واحداً من أقدم أوصاف حفريات المدافن ذوات الغرف في أوربا الغربية، وقد نشرت في كتاب برنار دي مونتفوكو *Bernard de Montfaucon* الأزلية مشروحة ومصورة في أشكال *L'Antiquité expliquée et représentée en Figures* الذي ظهر في عام ١٧١٩م، وكذلك كتاب لوبراسور *LeBrasseur* التاريخ المدني والديني لولاية أفرو *Histoire Civile et Ecclesiastique du comté d'Evreux* الذي نشر في عام ١٧٢٢م.

لقد جذب الجزء الجنوبي من بريتاني^(١) بما يحويه من كم هائل متنوع من الآثار الميغاليثية القسط الأكبر من اهتمام الآثاريين الأوائل، وفي الحقبة الممتدة بين عام ١٧٢٧ و ١٧٣٧م وصف دو روبان *de Robien* المباني الميغاليثية لمنطقة كارنا ولكماريكة، واستأجر أحد الرسامين ليقوم برسمها. أما الدوق دي كايلاس (١٦٩٢-١٧٦٥م) *Comte de Caylus* فقد ضمن في المجلد الأخير من

(١) بريتاني: مقاطعة فرنسية تقع في الجزء الشمالي من فرنسا على بحر الشمال في مواجهة الجزر البريطانية. (المترجم).

كتاب مجموعة آثار المصريين والإترسك والإغريق والغال **Recueil d'antiquités égyptiennes, etrusques, grecques et gauloises** الذي نشر في عام ١٧٦٧م، رسومات لعدد من منشآت ما قبل التاريخ. وفي عام ١٧٩٥م تم انتخاب ليجرا دوسي **Legrand d'Aussy** (١٧٣٨ - ١٨٠٠م) عضواً في الأكاديمية وقدم بحثاً بعنوان المدافن القديمة **Les anciennes Sepulture nationale** أشار فيه إلى أنه يتفق مع ماجاء في كتاب لاتور دو فيرن كور **LaTour d'Auvergne- Coret** المسمى الأصول الغالية الخاصة بأقدم شعوب أوربا **Origines gauloises des plus anciens peuples d'l'Europe** الذي نشر في عام ١٧٩٦م، وقد أصاب فيه حين نسب مخلفات البريتانيين الميغاليثية إلى الغال الذين سبقوا الغزو الروماني.

قدم الإنسان والأدوات الحجرية:

كما رأينا فقد توافرت لرجال الآثار في القرن السابع عشر أربعة مصادر هي:
أ/ القصص الشعبية. ب/ الخرافة والأساطير. ج/ المخلفات الأثرية. د/
كتابات الكتاب الكلاسيكيين والعهد القديم. ومن بين هذه كان العهد القديم هو الوحيد الذي أعطى دليلاً على تسلسل تاريخي للإنسان، حيث ضمن في سفر التكوين قائمة بأعمار شخصيات العهد القديم الذين بدأوا وكأنهم قد عمروا لفترات طويلة. حاول الأقدمون ترجمة هذه التواريخ إلى تسلسل زمني أكثر تحديداً، فقام جيروم **Jerome** الذي ترجم ايوسيبيوس **Eusebius** إلى اللاتينية، بحساب ٢٢٤٢ سنة من آدم إلى طوفان نوح و٩٤٢ عاماً من الطوفان إلى إبراهيم (عليهم السلام). إلا أنه راجع هذه الأرقام في وقت لاحق وعدلها إلى ١٦٥٦ سنة و٢٩٢ سنة بالتتالي. هذه الإضافات التي قام بها جيروم أعطت التسلسل التاريخي مقياساً زمنياً حسابياً أرسى عليه المؤرخون الغربيون نظام

التاريخ، كما أعطت الفكرة القائلة بأن عمر الكون لا يتعدى ستة آلاف سنة. لقد عد لوثر^(١) عام ٤٠٠٠ ق.م. بداية للخلق، إلا أن هذا الرقم التقريبي لم يعجب البعض، فجاءت اقتراحات بأرقام أخرى مثل ٤٠٣٢ و ٤٠٠٤ و ٣٩٤٩ و ٣٩٤٦. وزعم العالم الفلكي كبلر أنه اكتشف خطأ في التقويم المسيحي يتطلب إضافة أربع سنوات فأدى ذلك إلى ظهور التاريخ ٤٠٠٤ ق.م. على هامش طبعة العهد القديم التي ظهرت في عام ١٦١١م.

ذلك هو التاريخ الذي دافع عنه رئيس الأساقفة الإنجليزي اسشر Ussher في القرن السابع عشر وضمنه مؤلفه الذي صدر بالإنجليزية في عام ١٦٥٨ تحت عنوان حوليات العالم مستقاة من بدء الزمن ومتصلة ببداية عهد الإمبراطور فسباسيان ونحطم وهجرة المعبد والرابطة اليهودية **Annals of the World Deduced from the Origins of Time and continued to the beginning of the Emper Vespasian's Reign, and the total Destruction and Abolition of the Temple and Common wealth of the Jews**. قال اسشر: «إنني أميل إلى الرأي القائل بأنه منذ تلك الليلة السابقة لليوم الأول للعالم وحتى منتصف تلك الليلة التي بدأ بها العهد المسيحي فقد انقضت ٤٠٠٣ سنة وسبعون يوماً و٦ ساعات» ثم قطع بأن الإنسان كان قد خلق في اليوم السادس، وهو يوم الجمعة الثامن والعشرين من أكتوبر.

في عام ١٦٤٢م قام الدكتور جون لايتفوت John Lightfoot رئيس كلية القديسة كاثرين ومدير جامعة كيمبردج بإنجلترا بنشر بحث بعنوان ملاحظات بسيطة وجديدة عن سفر التكوين أغلبها مؤكدة والباقي محتمل وهي في مجملها

(١) يقصد به مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) الذي قاد حركة الإصلاح الديني في أوروبا. (المترجم).

غير ضارة رغم غرابتها وكونها تقال لأول مرة **A Few and New Observations on the Book of Genesis, the most of them certain, the rest probable, all harmless, strange and rarely heard of before**.

كتب يقول: «إن أجسادنا، السماء والأرض، المركز والمحيط، قد خلقت معاً في لحظة واحدة والسحب المحملة بالمياه، وليست تلك التي نراها تتكون بالتبخر، ولكنها تلك التي نسميها بنوافذ السماء وشلالاتها. خلق الإنسان بواسطة الثالوث المقدس في حوالي الساعة الثالثة بعد الشروق أو التاسعة صباحاً من يوم ٢٣ أكتوبر عام ٤٠٠٤ ق.م».

لقد كانت هذه الأفكار والمعتقدات سائدة في أوساط عامة الناس مما قاد شكسبير في روايته كيفما تريد (١٦٠٠م) لأن يقول على لسان روزالند في المشهد الأول من الفصل الرابع: «العالم المسكين عمره ستة آلاف سنة، ولم يحدث في كل هذه السنوات أن مات إنسان من تلقاء نفسه بسبب قضية حب». هذا هو العالم نفسه الذي مكن توماس براون Tomas Brown في كتابه الطب الديني **Religio Medici** المنشور في عام ١٦٤٣م من أن يقول: «إننا نستطيع أن نستوعب الزمن إلا أنه يكبرنا بخمسة أيام وإن كان يشارك الكون البرج نفسه»^(١). إن الاعتقاد بقصر الوقت وإمكانية الإحاطة به قد عاش في مخيلة الإنسان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ذكر صمويل روجرز في قصيدة: «إيطاليا وداعاً»... معبدٌ يعادل عمره نصف عمر الزمن». وقد استعار صديقه بيرجن العبارة ذاتها في قصيدته: «البترء» التي نالت جائزة نيودقيت في أكسفورد عام ١٨٤٥م، حيث وصف فيها العاصمة النبطية الجميلة المدهشة،

(١) أي التاريخ نفسه. (المترجم).

فقال: «مدينة كالوردة الحمراء... عمرها نصف عمر الزمن».

إلا أن النظرية القائلة بأن عمر الخليقة هو ستة آلاف سنة أخذت تضحل بنمو علم الجيولوجيا ودراسة ترسبات الأنهار التي استندت على تعاليم المدرسة الاتساقية^(١) في الربع الثاني من القرن التاسع عشر. وكذلك باكتشاف أدوات كان يستعملها الإنسان وجدت في طبقة واحدة مع عظام حيوانات منقرضة، مما يؤكد حسب ما يشير علم الجيولوجيا الوليد أن عمرها يزيد كثيراً على ستة آلاف سنة، إلا أنه بقي علينا التيقن من أن هذه الأدوات من صنع الإنسان وتطويرة.

لقد انقضت فترة طويلة قبل أن يتم الاعتراف بحقيقة هذه الأدوات، وساد اعتقاد بأنها قد نتجت من الصواعق وسماها آخرون «سهام الجن»، وجاء يوليسيس الدروفاندي Ulysses Aldrovandi في منتصف القرن السابع عشر ليصف هذه الأدوات الحجرية بأنها جاءت: «نتيجة لخليط من زفير الرعد والبرق مع مادة معدنية في سحب داكنة وهي متخثرة بالرطوبة التي تطوقها، فأدى ذلك إلى التصاقها في شكل كتلة (كالدقيق بالماء) وفيما بعد تصلبت بواسطة الحرارة كالطوب»، وفي الفترة نفسها تقريباً زعم توليوس Tullius: «أن شظايا الصوان قد نتجت في السماء من زفير مضيء تكوّر على هيئة سحابة بواسطة بخار الماء المحيط بها».

إن الوصول إلى أمريكا قد كشف النقاب عن أناس معاصرين يستعملون الأدوات الحجرية. وما لم يفترض الإنسان أن هؤلاء أناس متخلفون حضارياً انحدروا من أقوام عرفوا صناعة الحديد فإن ثمة سؤالاً يطرح نفسه: ما دام أنه

(١) المقصود هنا Uniformitarianism التي تعرف بالنظامية أو الاتساقية أيضاً. (المترجم).

قد وجدت جماعات بشرية هنا في أمريكا تستعمل الأدوات الحجرية، أليس من الممكن أن تكون هنالك جماعات أخرى مشابهة لم تعرف استعمال الحديد قد عاشت في الماضي القديم في أوروبا القديمة؟ لقد كان لاكتشاف كولبس لأمريكا في عام ١٤٩٢م تأثير فوري في هذا المجال. فقد ناقش كل من بيتر مارتير (Peter Martyr (Pietro Martive d'Anghiera، في مؤلفاته التي صدرت بين عام ١٥٠٤ و ١٥٣٠م وفي رانتي إمبراتو Ferrante Imperato في كتابه عن التاريخ الطبيعي Dell'Historia Naturale الذي صدر في عام ١٥٩٩م قضية طبيعة الأمريكان الذين مازالوا يستعملون الأدوات الحجرية.

كان ميشيل ميركاتي Michele Mercati (١٥٤١ - ١٥٩٣م) أحد الأوائل الذين قبلوا حقيقة الأدوات الحجرية التي ترجع إلى حقبة ما قبل التاريخ. وكان قد عين مشرفاً على الحقائق النباتية في الفاتيكان من قبل البابا بيوس الخامس، وظل محتفظاً بوظيفته تلك خلال عهدي غريغوري الثالث عشر وسيكتس الخامس. لقد كان عارفاً بالطب شمولي الاهتمامات، واسع الخبرة والمعرفة. إلى جانب ذلك فقد كان عارفاً بعلم المعادن وهو أحد مؤسسي علم الباليونتولوجيا^(١). جمع ميركاتي متحجرات ومعادن ومخلفات حضارية وكتب عنها في كتابه المعدنيات Metallothea الذي بقي مخطوطاً في مكتبة الفاتيكان حتى عام ١٧١٧م حين تم نشره. في هذا الكتاب جاء ببعض الرسومات لأدوات حجرية قال عنها: «إنها أسلحة حرب استعملت في وقت سابق للمعرفة بالمعادن. وقد استعان بالكتاب الكلاسيكيين وبالعهد القديم ليبرهن على الطبيعة

(١) هو العلم الذي يبحث في نشأة الحياة وتطورها في العصور القديمة، وذلك عن طريق دراسة المخلفات النباتية والحيوانية المتحجرة (علم المستحاثات). (المترجم).

الوظيفية لهذه الأدوات واستعمال الإنسان لها. كما أنه بقي مبهوراً بتلك الأدوات الخاصة بالهنود الأمريكيين التي جمعت من الفاتيكان هدايا قدمها الرحالة الإسبان والبرتغاليون والإيطاليون.

في عام ١٦٥٥م نشر إسحق دولابيرير Issac de la Peyrère من مواطني بوردو في كل من امستردام ولندن كتابه النظام الديني القائم على افتراض وجود الإنسان قبل آدم **A Theological System upon that Pre- Supposition that Men were before Adam** ، وفيه يقول: «إن ما عرف بحجارة الصواعق^(١) لم تكن سوى أدوات استعملها أناس بدائيون سبقوا الجنس البشري وعاشوا قبل آدم». وانتقدت هذه النظرية بقسوة، وبخاصة زعمه القائل بأن أناساً ما قد عاشوا قبل آدم. وكان أن تم اعتقاله وجمعت كتبه بواسطة محكمة تفتيش كاثوليكية وأجبر على التخلي عن أفكاره وأحرقت كتبه علناً في باريس. ولكن هل كانت هذه هي المرة الوحيدة في تاريخ علم الآثار التي عوملت فيها قضية أصل الإنسان وأدواته الحجرية بهذه الطريقة؟

في السنة التي تلت نشر كتاب دولا بيرير أنف الذكر، وصف وليام دقديل William Dugdale (١٦٠٥-١٦٨٦م) في كتابه آثار وريكشير **The Antiquities of Warwickshire** الذي ظهر في عام ١٦٥٨م فأساً حجرية، وجاء برسم لها وأشار إلى وجود أخريات مثلها بقوله: «مما يدعو للدهشة أنها قد شكلت على هذه الهيئة بواسطة الصقل أو وسيلة أخرى مشابهة... لقد صنعها البريطانيون القدماء... وقد استعملت سلاحاً، إذ لم يكونوا على دراية بصنع الحديد

(١) نتج ذلك عن الاعتقاد بأن بوارق الصواعق الرعدية هي قضبان مادية ضوئية تنتج عنها قطع حجرية.

والنحاس». لم يكن عند الدكتور روبرت بلوت شك في حقيقة الأدوات الحجرية. وكذلك كان سير روبرت سيبالد Robert Sibbald وإدوارد لخويد Ed-ward Lhwgd. لقد ركز لخويد على الدلائل الأمريكية وذكر في خطاب بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٦٩٩: «إنني لا أشك، ولكنك كثيراً ما رأيت رؤوس السهام هذه التي ينسبون لها إلى الجن، إنها ذاتها قطع الصوان التي يضعها أهل نيو انجلند^(١) على سهامهم حتى يومنا هذا، وهناك الكثير من هذه الفؤوس الحجرية وجدت في هذه المملكة لا تختلف كثيراً عن تلك التي يستعملها الأمريكيون... إنها لم تصنع سدى وإنما استعملت هنا يوماً للصيد كما هو الحال اليوم في أمريكا. إن الباحثين وكذلك السوق على امتداد هذا البلد يكتفون بالتفسير القائل بأنها سقطت من الفضاء بعد أن أطلقها الجن، ويربطون أحداثاً كثيرة بها، إلا أنني سأحتفظ بوجهة نظري حتى أرى واحدة منها تسقط علينا من السماء».

وفي نهاية القرن السابع عشر عشر شخص يدعي كونيرز Conyers على فأس حجرية مصنوعة من حجر الصوان على مقربة من جريرين لين في لندن. لقد كانت مصاحبة لهيكل عظمي لفيل، ويغلب أن يكون من فصيلة الماموث. وفي خطاب بتاريخ ١٧١٥م وصف جون بغفورد John Bagford هذه المخلفات، وقبل بتزامنها مع المخلفات العظمية إلا أنه أرجع عظام الفيل إلى عهد الرومان. أظهرت الحفريات التي أجريت في عام ١٦٨٥م من مقبرة كوشريل الميغاليثية - التي سبقت الإشارة إليها - فؤوساً حجرية مصقولة صنعت إحداها من العقيق. وكتب قسيس البلدة في عام ١٧٢٢م مشيراً إلى أن هذه الفؤوس

(١) تقع نيو انجلند على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية. (المترجم).

شبيهة بتلك التي يستعملها الهنود الأمريكيون، وذهب إلى القول بأن الأسكاثيين ربما كانوا حلقة الوصل بين أولئك الأمريكيين وبين الجماعات التي أقامت هذه المقابر في كوشريل. وفي وصفه لمقابر كوشريل خلص دوم برنار دومونفوكو Dom Bernard de Mantfaucon في عام ١٧١٩ بصدق ووعي إلى أن دلائل الأدوات الحجرية تشير إلى أن المقبرة تخص شعباً همجياً لم يعرف صناعة الحديد أو أية معادن أخرى. وهنا نجد واحدة من أقدم الأمثلة الدالة على أن هذه الآثار والفؤوس الحجرية ورؤوس السهام لفترة ما قبل التاريخ.

وفي القرن الثامن عشر وبخاصة بعد ظهور مؤلف ميركاتي (السابق ذكره) في عام ١٧١٧م، ذهب الكثيرون في فرنسا من أمثال دو جسيو de Jussieu ولافيتو Lafitau وماهوديل Mahudel وغوجية Gorguet إلى تأكيد صحة الأدوات الحجرية ووجود عصر حجري. فجاء مؤلف بير لافيتو بعنوانه المشير المعبر عادات البدائيين الأمريكيين مقارنة مع عادات الأزمنة المبكرة **Moeurs des Sauvages Américains Comparée aux Moeurs de Premiers Temps** الذي نشر في عام ١٧٢٤م ليركز على المقارنة لدراسة ماضي الرجل الغربي: «إنني لم أكتف بمعرفة طبيعة المجتمعات البدائية ودراسة عاداتهم وممارساتهم فقط... إنما بحثت في هذه الممارسات والعادات لأجد الدلالة على الماضي السحيق». في عام ١٧٣٨م قام أنطوان إيف غوجيه (١٧١٦ - ١٧٥٨م) بإعداد كتاب ترجم إلى الإنجليزية بعد ثلاث سنوات بعنوان أصل القوانين والآداب والعلوم وتطورها وسط الشعوب الأقدم عهداً **The Origin of Laws Arts and Sciences and their Progress Among the Most Ancient Nations** أعلن غوجيه أنه بإمكاننا تخمين ماكان عليه الحال في ماضي الإنسان القديم في أوربا

بما هو عليه الحال في الدنيا الجديدة حين تم اكتشافها لأول مرة، ومضى يقول: «إن استعمال البرونز قد سبق استعمال الحديد... وقبل ذلك كان استعمال الحجارة والصوان والعظام والقرون وعظام الأسماك والأصداف والقصب والشوك، التي استعملت في كل ما تستخدم فيه المعادن في عالم اليوم المتحضر، إن أولئك البشر البدائيين يقدمون لنا صورة صادقة للمجتمعات القديمة».

ومما هو واضح؛ أن فرنسا في القرن الثامن عشر كان بها من هم على استعداد لقبول وجود عصر حجري بل وجود نظام عصور ثلاثة: حجري وبرونزي وحديدي. وفي إنجلترا كانت هنالك قلة تتبع خطى دوقديل وسيبالد وبلوت. في عام ١٧٦٥م أعد لايتلتون Lyttelton أسقف كارلابل بحثاً تم نشره في المجلد الثاني من مجلة أركيولوجيا في عام ١٧٧٣م يقول فيه: «إنني اتفق تماماً مع دوقديل بأنها كانت أدوات حرب استعملها البريطانيون قبل أن يتقنوا فن صناعة الأسلحة من النحاس والحديد، كما أنني أذهب إلى أبعد من ذلك لأقول إنهم حين صنعوا هذه الأدوات لم تكن لديهم أية معرفة بالمعادن... ومن وجهة نظري فإن هذه الفؤوس الحجرية هي إلى حد كبير أقدم مخلفات تركها أجدادنا البريطانيون، وهي في الغالب معاصرة للمجموعات الأولى التي سكنت هذه البلاد».

في هذه الأثناء تأكدت حقيقة العلاقة بين المخلفات البشرية والأدوات الحجرية والحيوانات المنقرضة، حين نشر يوهان فريدريش أسبر Johann Frie-drich Esper أعماله في كهف غايلنرويت بالقرب من بامبورج بألمانيا في عام ١٧٧٤ في مؤلفه تقرير مفصل لاكتشافات حديثة لمخلفات حيوانية من ذوات

الأربع والكهوف التي تحتويها في مرتفعات جبال بايروت Detailed Report on Recently Discovered Zooliths of Unknown Quadrupeds and the Caves

containing them in the upper Mountainous Countries of the Margravate

of Bayreuth . سأل الكاتب نفسه: «هل تتبع هذه للدروديين أم إلى ما قبل الطوفان أم لأناس من وقت قريب؟» وأجاب على تساؤله بحزن: «إنني لا أجرؤ - دون أدلة كافية - على افتراض أن هذه المخلفات البشرية في عمر العظام الحيوانية المتحجرة، ربما وصلت إلى هنا بطريق الصدفة».

قدم رجل من الريف الإنجليزي من شرق إنجلترا في بريطانيا يدعى جون فريير John Frere (١٧٤٠ - ١٨٠٧ م) استنتاجاً صحيحاً من خلال ملاحظته من محجر في هوكسن بالقرب من ديس في سفولك. كتب في عام ١٧٩٧ م إلى سكرتير جمعية الآثار البريطانية في لندن مرفقاً بعض الأدوات الحجرية: «إن لم تكن هذه الأدوات مثيرة للدهشة والفضول في حد ذاتها فإنه - كما أعتقد - يجب عدها كذلك بحسب الوضع الذي وجدت فيه». لقد كانت فؤوساً حجرية ترجع إلى العصر الحجري القديم الأسفل، وقد وجدت على عمق اثني عشر قدماً (ثلاثة أمتار ونصف المتر) تحت سطح الأرض في عمق طبقة لا تظهر عليها آثار عبث أو تخريب، وكان إلى جانب تلك الأدوات عظام لحيوانات منقرضة. لقد أصاب فريير حين وصفها بأنها: «أسلحة حرب، صنعت واستعملت بواسطة أقوام لم يعرفوا استعمال المعادن». حتى الآن لا يبدو فريير متقدماً على تلك القائمة الطويلة من الآثاريين بدءاً بميركاتي وانتهاء بالقس لايتلتون، الذين أقرروا بوجود أدوات حجرية وعصر حجري. إلا أن أفكاره سبقتهم حين ذكر أن تراكم اثني عشر قدماً من الركام فوق الفؤوس الحجرية يأخذ وقتاً ليس بالقصير إن كان لنا أن نؤمن بعلم الجيولوجيا الحديث، كتب يقول: «الحالة التي وجدت عليها هذه الأسلحة قد تقودنا إلى إرجاعها إلى فترة زمنية جد سحيقة؛ أبعد من عالمنا المعاصر. إلا أنه ومهما كان تخميننا فإنه من

الصعب أن نتصور عمر الطبقات التي تراكمت عليها وتلك التي تراكمت من بعدها التي ربما كانت تمثل يوماً ما القاع أو على الأقل، ساحلاً للبحر». وهنا يكمن لبُّ القضية، ففي ذلك المقطع: «أبعد من عالمنا المعاصر» الذي قصد به بالطبع ذلك العالم الذي قدر عمره بستة آلاف سنة الذي بدأ في عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد، ولخصه سير توماس براون. لقد وصفت البتراء على أن عمرها هو نصف عمر الزمن. أما فؤوس هوكسن فإن عمرها يزيد مئات المرات على عمر «الزمن»، زمن يوسبيوس وأسشر ولايتفوت. إن الخطاب البديع الذي خطه فريز كان نذيراً بقبول فكرة قدم الإنسان، وتلك هي إحدى أهم أطروحات علم الآثار، إلا أن أحداً لم يعره اهتماماً. لقد نشر خطابه في أركيولوجيا في عام ١٨٠٠م، ونسيته الغالبية العظمى من الناس لستين عاماً بعد ذلك.

أمريكا:

منذ أن اكتشف كولبس العالم الجديد في عام ١٤٩٢ أخذ العالم القديم يبحث في أصل الهنود الأمريكيين والمخلفات الأثرية التي وجدت هناك. في البدء كانت التخمينات نظرية، حيث إن المصادر الأثرية لم تستغل إلا في منتصف القرن التاسع عشر، وسرح الخيال بعيداً حيث نُسب الأمريكيون للمصريين القدماء ثم إلى الفينيقيين وإلى القبائل المفقودة من بني إسرائيل وأحياناً إلى قارة أطلانطا الغارقة.

لقد جذبت تلك التلال الأثرية في وسط أمريكا الشمالية وجنوب غربها الانتباه إليها. أما: «من هم بناء هذه التلال؟» فذلك هو السؤال الذي طرح مراراً من قبل المهتمين بالآثار الأمريكية. بعث الجنرال صمويل بارسونز Samuel Parsons بتقرير

إلى عزرا ستايلز رئيس جامعة ييل عن تلك التلال الموجودة في ماريتا بولاية أوهايو. وفي حديث عام ذكر ستايلز في عام ١٧٨٣ أن هذه التلال قد بناها الكنعانيون بعد أن طردهم يوشع. وكتب ستايلز إلى بنجامين فرانكلين الذي قال بأنه لا يملك تفسيراً لهذه الظاهرة إلا أنه كان يظن أنها ربما بنيت بواسطة جنود هيرنادو دو سوتو الذين قاموا برحلة من تامبا في فلوريدا إلى نيو أورليانز خلال الأعوام ١٥٣٩ - ١٥٤٢ م.

قامت شركة أوهايو التي أسسها اللواء روفس بتنام Rufus Putnam بشق بعض الطرق في أوهايو على مقربة من ماريتا في الأعوام ١٧٨٧ - ١٧٨٨ وما بعدها. وقد قام بتنام بإجراء مسح دقيق للتلال في المنطقة؛ الشيء الذي قاد براين فيغان^(١) Brian Fagan ليقول عنه لاحقاً في كتابه الكنز المفقود Elusive Treasure، الذي نشر عام ١٩٧٦ م ص ٩١: «إن المسح الدقيق الذي قام به ومقاييسه المحددة يمثل علامة مميزة في طريق البحث الجاد في الماضي الأمريكي»، كما أن هنري شترون Henry Shetrom وصف في عام ١٩٣٠ م خريطة بتنام بأنها: «أصل علم الآثار في أمريكا». لقد تجنبت الشركة منطقة التلال وعدتها مخلفات تاريخية وحفظتها في ميادين عامة.

وجد وكيل بتنام في ماريتا، وهو القس مناسيح كتلر Manasseh Cutler في ماسشوست مجموعة من العمال يقطعون الأشجار على التلال، فأخذ يحصي الدوائر المكونة لجذع كل شجرة حيث وجد في إحداها ٤٦٣ دائرة، وعندها افترض كتلر أن كل دائرة من هذه تمثل عاملاً كاملاً ومن ثم فإن التل الذي نمت

(١) براين فيغان، أحد علماء الآثار المعاصرين ويعمل حالياً بجامعة كاليفورنيا، سانتا باربارا. له عدة مؤلفات في مجال الآثار الإفريقية وعلم الآثار بوجه عام. (المترجم).

عليه هذه الشجرة لا بد أن يكون أقدم منها ولا بد أن يكون قد بني قبل عام ١٣٠٠ م^(١).

في عام ١٧٨٧ م تحدث ب. س. بارتون BS Barton عن هذه التلال وربطها بالدينماركيين الذين هاجروا بعد ذلك إلى المكسيك ثم عرجوا إلى تلتكس. غير أن وليام بارترام William Bartram عزا هذه التلال إلى مجموعات من الهنود مجهولة الهوية عاشت في الماضي، وهي في رأيه ليست بأية حال من عمل الهنود الحاليين. أما الجنرال وليام هنري هاريسون William Henry Harisson الذي أصبح فيما بعد الرئيس التاسع للولايات المتحدة، فقد مال في عام ١٨٣٩ م إلى الاعتقاد القائل بأنها من فعل أجناس مجهولة.

في عام ١٧٨٤ م قام توماس جفرسون Thomas Jefferson الرئيس الثالث للولايات المتحدة باعتزال السياسة لفترة مؤقتة ولجأ إلى منتجع خاص به في مونتسلو، وهناك كتب مذكرات عن ولاية فرجينيا - Notes on the State of Virginia^(٢). ومن بين أشياء أخرى كثيرة كان مشغولاً بأمر بناء التلال. ولكي يرضي حبه للمعرفة؛ فقد نظم حفريات لاكتشاف الطبيعة الحقيقية لتلك التلال مستغلاً وجود بعض منها في أراضيها الخاصة. وبالفعل شق خندقاً في أحد التلال وتعرّف إلى طبقات متتابعة، كما عثر على كمية كبيرة من العظام البشرية، ولاحظ أن بعض العظام مغطاة بطبقة من التراب تفصل بينها وبين عظام أخرى مغطاة بطبقة أخرى أيضاً، وهكذا تكررت العملية على هذا المنوال

(١) لعل هذا هو أقدم دليل معروف على استعمال حلقات الأشجار Dendrochronology وسيلة للتاريخ المطلق في علم الآثار. (المترجم).

(٢) نشر هذا الكتاب أول مرة في عام ١٧٨٧ م. (المترجم).

حتى ارتفع التل إلى اثني عشر قدماً، وقد لاحظ ما سماه بـ «ست حالات غريبة» هي: (١) كمية العظام؛ (٢) طريقة وضعها؛ (٣) وجودها في طبقات مختلفة؛ (٤) تباين الطبقات؛ (٥) الفارق الزمني في الدفن؛ (٦) وجود عظام أطفال بينها. لقد قال ليتمان - هارتلبن Lehmann- Hartleben: «إن حفريات جفرسون قد قدمت النموذج والمدخل الأساس لعلم الآثار الحديث منذ قرن تقريباً». وقال عنها السير مورتمر ويلر Mortimer Wheeler^(١): «إنها أول حفريات علمية في تاريخ علم الآثار... فريدة ليس في زمانها فحسب، بل ولفترة طويلة بعد ذلك». إلا أن حفريات جفرسون لم تحل مسألة تأريخ هذه التلال: «كونها مستودعات للموتى فذلك أمر معروف للجميع إلا أن مناسبة بنائها هي الأمر المشكوك فيه». كما أن جفرسون لم يعلق على المسألة العامة المتعلقة ببناء هذه التلال.

في عام ١٧٩٩م أثناء فترة رئاسته للجمعية الفلسفية الأمريكية في فلادلفيا، أرسل جفرسون منشوراً للأعضاء المراسلين فيها أوضح فيه أن الجمعية: «تضع في اعتبارها دائماً المخلفات الأثرية والمتغيرات، وكذلك الوضع الحالي للبلاد كأمر أساسي في البحث»، وقد حث المنشور المراسلين على: «الحصول على خرائط دقيقة ورسومات وأوصاف لكل ماهو مثير للاهتمام... وبصفة خاصة الحصون القديمة والتلال الأثرية، إلى جانب الأعمال الفنية الأخرى الخاصة بالهنود... ويمكن حفر خنادق في مختلف الاتجاهات للتحقق من محتوياتها، في وقت يمكن فيه الاستفادة من عدد الحلقات المكونة لجذع أضخم شجرة على هذه التلال لإعطاء فكرة عن عمر ذلك التل».

(١) أحد مشاهير الآثاريين في النصف الأول من القرن العشرين (انظر الفصل الرابع). (المترجم).

لقد كان جفرسون وكتلر من رواد «الدندروكرونولوجيا» (Dendrochronology) وهي الوسيلة الخاصة بالتأريخ بواسطة حساب حلقات الأشجار. لقد لقب جفرسون بـ «أب علم الآثار الأمريكي» إلا أنه كما أشار ويلى وسابلوف Willey and Sabloff في تاريخ علم الآثار الأمريكي ١٩٧٤م ص ٣٩ **A History of American Archaeology**: «افتقر إلى من هم على شاكلته ليخلفوه مباشرة». إن ما نذكره دائماً عن أعمال جفرسون ليس كونه أجرى بعض التنقيبات بطريقة جيدة وراقب تعاقب الطبقات فقط؛ وإنما لأنه أجرى تنقيبات لا بحثاً عن كنز، بل بحثاً عن حل لقضية علمية.

المتاحف والجمعيات العلمية:

نشأت المتاحف المبكرة من المجموعات الخاصة للملوك والدوقات ورجال الكنيسة وبعض الأشخاص العاديين. وكانت مجموعة التحف الخاصة بيوليسيس الدروفاندي Ulysses Aldrovandi (١٥٢٧ - ١٦٠٣م) هي التي أرست دعائم متحف بولونيا. كما أن مجموعة توماس هوارد Thomas Howard وإيرل أرونديل (١٥٨٦ - ١٦٤٦)، الذي لقبه هوراس ولبول Horace Walpole بـ «أب الفضيلة في إنجلترا»، وجدت طريقها في الختام إلى بعض المتاحف. أما جون تراد سكانت John Tradescant (مات في عام ١٦٣٨) وابنه جون (متوفى في عام ١٦٦٢م) فقد كانا من أوائل الإنجليز الذين اهتموا بجمع التحف ومن المهتمين بالتاريخ الطبيعي. وكانت «حجرة العجائب» الخاصة بترادسكانت تحوي مجموعة قيمة من «المتنوعات والغرائب»، وقد عرفت على نطاق واسع باسم سفينة ترادسكانت في لامبث، حيث زارها عدد كبير من الناس. أما

ترادسكانت الابن فقد نشر في عام ١٦٥٦ المتحف الترادسكانتي: أو مجموعة النواذر المحفوظة في جنوب لامبث بالقرب من لندن **Museum Tradescantianum; or a collection of Rarities preserved at South Lanmbeth near London** . ولقد تحصل إلياس أشمول Elias Ashmole على هذه المجموعة في عام ١٦٥٩م، وأضاف إليها مجموعته الخاصة، ثم أهدى المجموعة بكاملها إلى جامعة أكسفورد في عام ١٦٨٢م. وقد كانت تلك هي نواة المتحف الأشمولي Ashmolean Museum الذي تم افتتاحه في السنة ذاتها على يد جيمس الثاني، الذي كان وقتها حاكماً على يورك، وكان أول أمين له - كما سبقت الإشارة - هو روبرت بلوت مع أدورد لويد مساعداً له.

تعد مجموعة المتحف الخاصة بأولى فورم في الدنمارك واحدة من أشهر المجموعات الخاصة. وقد تعرفنا إليها من الرسومات التي حواها متحف فورم في الكتلوج الذي ظهر بعد وفاته في عام ١٦٥٥م. وبعد وفاته آلت المجموعة إلى فردريك الثالث ملك الدنمارك، الذي خطط لمبنى مواجهه لقلعته في كرستيانبرج ليحوي هذه المجموعة إلى جانب مكتبته الخاصة. إلا أن الطابق الثاني من المبنى المعد للمتحف لم يكتمل إلا بعد وفاته. وبنهاية القرن السابع عشر كان هذا المتحف (Kunstammer) قد أقام حوالي خمسة وسبعين عرضاً لآثار ما قبل التاريخ، ومن ثم افتتح للجمهور مقابل دفع رسوم تذهب لأمين المتحف.

كان بطرس الأكبر^(١) أثناء أسفاره في أوربا قد أظهر اهتماماً بالمتاحف ومجموعات المتحف الخاصة إلى جانب الصناعة وبناء السفن. وكان متحف

(١) هو قيصر روسيا الذي جعل منها دولة أوربية عظيمة خلال فترة حكمه (١٦٨٢-١٧٢٥). (المترجم).

ألبرت سيبا (1665-1736م) (Albert- Seba) واحداً من أكبر المتاحف الخاصة في القرن السابع عشر في هولندا. بدأ سيبا حياته صيدلياً في أمستردام، ثم عمل مع شركة الهند الشرقية الهولندية، وجمع ثروة ضخمة أنفقها في جمع الأشياء النادرة في عالم الحيوان والنبات والمعادن. وحين زار بطرس الأكبر أمستردام عام 1716م قام بشراء متحف سيبا (وما كان من سيبا إلا أن أخذ ينشئ متحفاً آخر). ونقل المتحف الأول إلى مدينة بطرسبرج^(١) ليصبح نواة لمتحف تم افتتاحه في عام 1719م، وطور فيما بعد إلى الهيرومتاج الذي أنشأته رسمياً الإمبراطورة كاترين^(٢) متحفاً للبلاط في عام 1764م، وتم افتتاحه للجمهور في عام 1852م. وكان بطرس الأكبر قد كلف سفراءه في أمستردام وباريس وفيينا بجمع التحف لمتحف بطرسبرج، وقد كان مولعاً بجمع الكثير من الأشياء الغريبة النادرة غير الأثرية وعرضها، وقد أصدر أمراً ملكياً في فبراير عام 1718م بتوجيه كل شخص يعثر على شيء غريب أو قطعة أثرية قديمة أن يقوم بتسليمها إلى الحكومة.

كان سير هانس سلون (1660-1753) Hans Sloane الطبيب الإنجليزي المشهور ورئيس الجمعية الطبية والجمعية الملكية يملك واحدة من أشد المجموعات ندرةً على مر الزمن. كانت مكتبته التي أوصى بها لبلده قد قدرت عند وفاته بثمانين ألف جنيه إسترليني، وفي عام 1753م صدر أمر بشراء متحف سلون ومكتبته وكذلك مخطوطات هارلي لتجمع وتضاف إلى مكتبة كوتون لتكوّن معاً مكتبة ومتحفاً عاماً، وأضيفت إليها بعض الأشياء في وقت لاحق

(١) تحول اسمها لاحقاً إلى لينينغراد وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي عادت إلى اسمها القديم. (المترجم).

(٢) إمبراطورة روسيا، كاترين الثانية التي حكمت خلال الفترة 1762-1796. (المترجم).

وتم افتتاحها للجمهور في يناير ١٧٥٩ لتصبح المتحف البريطاني بلندن. أما في فرنسا فقد كانت هناك مجموعتان من هذه المقتنيات لفتتا إليهما الأنظار، الأولى تخص ن. فابري دويريس N Fabri de Peirese (١٥٨٠-١٦٣٧) الذي يشار إليه بوصفه مؤسساً لدراسة المخلفات الأثرية في فرنسا. أما الثانية فقد كانت تخص الكونت كايلس M le Comte Caylus أحد باحثي القرن الثامن عشر ورحالته. ولتوضيح الأسلوب الذي رتبت به المقتنيات نحيل القارئ إلى صفحة الغلاف الخاصة بمؤلفه مجموعة التحف Recueil d'Antiquités (المجلد الأول، ١٧٥٢)، التي تضم مجموعة القطع الأثرية الكلاسيكية من الحفريات التي أجراها في آسيا الصغرى.

وشهد القرن السابع عشر قيام أول الجمعيات العلمية، فأكاديمية دي لينشي dei Lincei في روما التي كان ينتمي لها جاليليو ازدهرت بين الأعوام ١٦٠٣ إلى ١٦٣٠م. كما أن أكاديمية دي سمنتو del Cimento قد أسستها عائلة مديشي Medici في فلورنسا في ١٦٥٠م، وأكاديمية سكرتوريم ناشري Sic-vetorum Naturae (طبائع الأسرار) كانت قد أنشئت في نابولي منذ عام ١٥٦٠م. أما الجمعية الملكية في لندن فقد أنشئت في عام ١٦٦٠م وكذلك أكاديمية العلوم Academie des Sciences في باريس في عام ١٦٦٦م.

ومنذ عام ١٥٧٢م قامت في إنجلترا جمعية لحماية الآثار القومية، وكان من أبرز مؤسسيها القس ماثيو باركر وجون استو ووليام كامدن وتلميذه سير روبرت كوتون. وهؤلاء تقدموا بطلب للملكة إليزابيث الأولى لإصدار أمر ملكي لحماية الآثار، إلا أن وفاة الملكة عاق إصدار هذا الأمر. وقام جيمس الأول خليفته بحل الجمعية إذ عدها ذات غايات سياسية. وفي عام ١٧٠٧م قام بعض الشبان المهتمين بدراسة الآثار والتاريخ بتنظيم أنفسهم في نادٍ، وكانوا

يلتقون في حانتين في الاستراند في لندن. ومن تلك المجموعة تكوّنت رابطة تنهج النهج نفسه الذي طرحته الجمعية المقترحة في عهد إليزابيث، ثم أخذت هذه شكلاً أكثر جدية فأصبحت هي الجمعية الآثارية اللندنية في عام ١٧١٨م، وتسلمت أمر تأسيسها الملكي في عام ١٧٥١م.

وفي مجال الدوريات فقد ظهرت جرنال دوسكفان *Journal des Scavans* في فرنسا في عام ١٦٦٥م، ومسلينيا كيوروسا *Miscellanea Curiosa* (عجائب متنوعة) الخاصة بالأكاديمية الألمانية في ١٦٧٠م. وظهرت أركيولوجيا *Archaeologia* مجلة الجمعية الآثارية اللندنية في عام ١٧٧٠م بقصد: «إزالة كل ما استند على خيال مُشرّعي الأكاذيب وناشيرها». إلا أن ما نشر في أركيولوجيا لم يكن محل رضى الجميع، فقد انتقد هوراس والبول أعضاء الجمعية الآثارية بعنف، واتهمهم بقلّة الحس الفني والذوق، كتب بعد أن اطلع على العدد الثاني من المجلة يقول: «لترحمنا السماء... يا لها من شحنة من الطوب والقمامة والحطام الروماني تراكمت معاً». وأضاف في مكان آخر: «إن هؤلاء المهتمين بالآثار ظلوا كما هم سخفاء وما دام أنه قد أصبح من المستحيل بث الذوق فيهم فإنهم سيظلون يكتنفهم الجفاف والملل شأن سابقهم، وربما نستطيع أن ننش ما عفا عليه الزمن، إلا أن الزمن سيعفو عليه مرة أخرى إن لم نعطه من القوة أكثر مما كان فيه... وليست لديّ رغبة في معرفة مدى تخلف الإنسان وعدم براعته في فجر الحضارات وفي فترات اضمحلالها».

إن وقتاً طويلاً سيمضي قبل أن يتم الاعتراف بعمل الآثاريين بوصفه عملاً علمياً جاداً.

الفصل الثاني جامعو النخف والآثاريون (١٧٩٧-١٨٦٧م)

علم الجيولوجيا الحديث والحضارة البشرية :

نشر دانيال ولسون في عام ١٨٥١م كتاباً بعنوان آثار وحوليات ما قبل التاريخ في أسكتلندا *The Archaeology and Prehistoric Annals of Scotland* ، وكما فعل الكثيرون غيره؛ فقد ظنّ أنّه ابتدع عبارة «ما قبل التاريخ» أول مرة. وفي مقدمة الطبعة الثانية لكتابه، التي ظهرت في عام ١٨٦٣م كتب يقول: «إن استخدام عبارة «ما قبل التاريخ» قد تم لأول مرة - إن لم أكن مخطئاً - في هذا الكتاب». لكنه كان مخطئاً فقد استخدم تورنال أمين متحف ناربورن العبارة في عام ١٨٣٣م^(١).

نشر تورنال قبل خمس سنوات من ذلك التاريخ مقالاً في حوليات العلوم الطبيعية *Annales des Sciences naturelles* (العدد الخامس عشر، ص ٣٤٨) يحوي أعماله في مغارة بيز، حيث وجد مخلفات عظمية بشرية وأخرى لحيوانات بعضها منقرض، وبعض الفخار كذلك. وأكد مرسيل سيفر Marcel de Sevres أن العظام البشرية في قدم العظام الحيوانية المنقرضة.

(١) يرى آخرون (انظر: C.Chippindale "The invention of Words for the idea of Prehistory", Proceedings of Prehistoric Society, 54. P. 303-14.) أن دانيال ولسون هو فعلاً أول من استعمل العبارة، إذ إن الكلمة التي أوردها بول تورنال هي antihistorique وليست prehistorique. غير أن عبارتي anti و pre في اللغتين الفرنسية والإنجليزية قد تعنيان «قبل». (المترجم).

ومرة أخرى أعلن تورنال في عام ١٨٢٩م في بحث نشر في حوليات العلوم الطبيعية، العدد ١٨، ص ٢٤٤) عن اكتشاف عظام لحيوانات منقرضة تظهر عليها علامات نتجت عن استخدام أدوات قاطعة. وفي العام التالي أعد دي كرسطول de Christor of Montepellier كتيباً باسم ملحوظة عن العظام البشرية في كهوف الغار (١٨٣٠) *Notice Sar les Ossements Humains des Cavernes du Gard* تحدث عن مكتشفاته في موبلييه حيث كان قد وجد في أحد الملاجئ الصخرية مخلفات عظمية بشرية إلى جانب عظام لضبع ووحيد قرن. لقد أثار هذا الاكتشاف في جنوب فرنسا حماس الدكتور ب. شميرلنج P. Schmerling الذي بدأ حفريات له في عدد من الكهوف في أنجهول بالقرب من لياج في بلجيكا، وكان أشهرها كهف إنجي الذي كشفت حفرياته عن سبع جماجم بشرية وعدد كبير من الأدوات، بعضها وجد إلى جنب هياكل عظمية لوحيد القرن والماموث^(١)، ونُشرت نتائج هذا العمل تحت عنوان بحث في العظام المتحجرة المعثور عليها في كهوف مقاطعة لياج *Recherches sur les Ossements Fossils découverts dans les Cavernes de la Province de Liege* في عام ١٨٣٣م وفيه يقول: «ليس من شك في أن هذه العظام الأدمية قد دفنت في الفترة نفسها التي دفنت فيها المخلوقات المنقرضة وللأسباب ذاتها». إلا أن هذا العمل لم يؤخذ مأخذ الجد عند معاصريه كما قال شارلس لايل Charles Lyell في عام ١٨٦٣م في الدليل الجيولوجي لقدم الحضارة البشرية^(٢)

(١) الماموث هو الفيل المنقرض. (المترجم).

(٢) الطبعة التي ظهرت في عام ١٨٦٣ من هذا الكتاب هي الطبعة الثانية المنقحة، ولا نعلم على وجه التحديد متى صدرت الطبعة الأولى منه، إلا أنه من المؤكد أنها قد صدرت بعد مبادئ الجيولوجيا (١٨٣٠). (المترجم).

The Geological Evidence for the Antiquity of Man : «لقد انقضى ربع قرن

قبل أن يكلف أساتذة جامعة لياج المجاورة أنفسهم مشقة التحقق من صدق نظرية مواطنهم الذي كان يتمتع برؤيا واضحة ونفس لاتعرف الوهن».

إن التجاهل وعدم الاهتمام كانا من نصيب القس الكاثوليكي ماكينري Ma-cEnergy أيضاً، الذي أجرى حفريات في كهف توركي في مقاطعة «كنت» خلال السنوات من ١٨٢٤ إلى ١٨٢٩م. ففي أثناء هذه الأعوام وجد أدوات حجرية إلى جانب عظام حيوانات منقرضة كوحيد القرن، مترابطة تحت طبقة سليمة ورواسب جيوية في قاع الكهف، أوحى هذه الاكتشافات لماكينري أن المخلفات - مستخدماً عبارة جون فريير -: «تعود إلى فترة موعلة في القدم أقدم من عالمنا الحالي». أرسل ماكينري إلى بكلاند William Buckland أستاذ الجيولوجيا باكسفورد يستشيريه في الأمر، إلا أن الأخير رفض استنتاجات ماكينري قائلاً: «إن البريطانيين القدماء الذين عثر على أدواتهم في كهف كنت قد قاموا بحفر تجويفات عبر الأعمدة الكلسية في أرض الكهف لإقامة الأفران، وإن أدواتهم قد تسربت عبر هذه التجويفات ووجدت طريقها إلى قاع الطبقة، وعليه فإن تزامنها المزعوم مع عظام الحيوانات المنقرضة هو من قبيل الصدفة». احتج ماكينري بأن هذه الأفران لاوجود لها، إلا أن بكلاند الذي رفض السفر من أكسفورد إلى كنت لمعينة الموقع قد حث ماكينري على مواصلة البحث مؤكداً له أنه سيعثر عليها في النهاية، كان ذلك مثبطاً لهمة ماكينري ومفقداً لحماسة. وعليه فقد أحجم عن التمسك بدلائل رآها أمام عينيه على معاصرة تلك الأدوات الحجرية لعظام الحيوانات. وعلى أنه واصل عمله في كهف كنت حتى وفاته في عام ١٨٤١م إلا أنه ثني عن عزمه في نشر مكتشفاته التي بقيت غير معروفة في زمانها، وكشأن شميرلنج كان عليه أن ينتظر لربع قرن آخر

حتى يُعترف له بإسهامه .

في تلك الفترة كان أمي بوي Ami Boué يقوم بحفريات في ترسبات ترجع للعصر الجيولوجي الرابع في جنوب النمسا، حيث وجد مخلفات عظمية بشرية متحجرة إلى جانب عظام لحيوانات منقرضة. وفي وقت لاحق في عام ١٨٣٥م قُدِّم وصف علمي لجمعية قديمة وجدت في كانشات في عام ١٧٠٠م وظلت رهينة بمتحف اشتغارت^(١) منذ ذلك التاريخ. ولم تعط تلك الجمعية التي تعد أول جمعية لإنسان قديم يتم العثور عليها ما تستحقه من اهتمام. وفي عام ١٨٤٨م وُجدت جمعية لما نسميه الآن بإنسان نياندرتال في منطقة جبل طارق، ولم تثر هذه اهتماماً ولم توصف بطريقة علمية إلا في عام ١٩٠٧م^(٢).

تراكمت الدلائل تدريجياً، ولكن لماذا استغرقت فكرة قدم الإنسان هذا الوقت الطويل قبل أن يتم الاعتراف بها وقبل أن تنبذ فكرة ستة الآلاف سنة؟ كان ذلك لأن الناس - في المقام الأول - لم يشؤوا أن يؤمنوا بعمق الحضارة البشرية؛ لأن ذلك ربما ترتب عليه التخلي عن التسلسل الزمني الذي بني على سفر التكوين ومن ثم المساس بالعقيدة المسيحية. ولذلك لجأ الناس إلى استعمال تفسيرات بديلة وحجج باطلة، فقد قدم دينوايه Desnoyers نظرية تقول: إن بعض الأدوات التي وجدت في الكهوف شبيهة بتلك التي وجدت في المواقع الميغاليثية: (لقد كان بعضها كذلك بلا شك؛ إلا أن هذا لا ينطبق على تلك

(١) اشتغارت، مدينة في جنوب ألمانيا. (المترجم).

(٢) التفت العلم الحديث لهذه الجماجم البشرية المتحجرة بشكل جاد أول مرة في عام ١٨٥٨ بعد أن عثر على إحداها في موقع نياندرتال بالقرب من ديسلدوف في ألمانيا الحالية. (المترجم).

الأدوات التي وجدت مع عظام الحيوانات المنقرضة)، وعليه فإنها ليست بأقدم من بداية التاريخ المُدَوَّن.

أصبح شائعاً أن هذه الكهوف قد تعاقبت عليها جماعات بشرية، وأنها قد استعملت في بعض الأحيان جباناً لدفن الموتى، وأن طبقاتها ربما تكون - أو هي فعلاً - قد تبدلت بفعل الحيوانات التي تنبش أرض الكهف، وكذلك ماتحدثه الفيضانات والأنهار من تخريب فيها. في عام ١٨٢٣م سافر بـكلاند إلى جنوب ويلز حيث اكتشف كهف «حفرة العنز» في بيفلاند على ساحل غوار، وهناك وجد مخلفات بشرية تعرف اليوم على أنها لشاب من حقبة العصر الحجري القديم الأعلى. وقد سميت المخلفات وقتها «سيدة بيفلاند الحمراء»، وذلك لأن العظام كان تكسوها مغرة حمراء، وإلى جانب العظام عثر على أدوات حجرية وعظام حيوانات منقرضة، وأعلن أن الهيكل البشري لم يكن معاصراً لعظام الحيوانات المنقرضة، وفسّر وجود الهيكل على أنه من قبر روماني - بريطاني وأقحم على تلك المخلفات. وكان عليه كذلك أن يجد تفسيراً لوجود العظام البشرية المغطاة بقشرة من الرواسب الكلسية كانت قد وجدت في كهف في بيرندون في المندبيز. قال بـكلاند: «إن الكهف ربما استعمل مكاناً للذبح في الزمان القديم، وربما يكون مأوى للبائسين الذين ماتوا فيه في وقت كانت بلادنا تزرع فيه تحت نير العمليات العسكرية». وذهب بـكلاند ليقرر: «أن حالة العظام تشير إلى قدم شديد جداً» ولكنه يضيف: «إلا أنه ليس هناك ما يمنعنا من إرجاعها إلى فترة ما بعد الطوفان».

لقد كانت الأسباب متوافرة لمثل هذا الافتراض إذ إن القبول البطيء بالدلائل الأثرية من كهوف فرنسا وبلجيكا وبريطانيا، والمحاولات المتكررة لردّها؛ ما هي إلا نتيجة، لأن معظم الجيولوجيين كانوا من المؤمنين بنظرية الكوارث التي

يفسرون بها تراكم الطبقات .

إن تطور الفكر الجيولوجي في غرب أوربا بشكل عام كان تطوراً تدريجياً طويلاً، ومن الخطأ الشائع الاعتقاد بأن تحولاً دراماتيكياً قد حدث حين نشر شارلس لايل (1797 - 1830 م) كتابه مبادئ الجيولوجيا^(١)، *The Principles of Geology* بدأ التغيير تدريجياً من حيث الوعي بمفهوم الطبقة وترسب الطبقات الجيولوجية. وعلى الطريق نفسه - كما سنرى لاحقاً - سار أمر تبني نموذج التطور التقني الخاص بأدوار العصر الحجري والبرونزي والحديدي، فقد جاء العالم الفرنسي جورج كوفيه *Georges Cuvier* (1769 - 1822 م) وقال بأنه ليس هناك سوى طريقة واحدة لتفسير السجل الصخري، وذلك بافتراض تعاقب الكوارث والأحداث العظيمة على الأرض، وأن فيضان نوح الذي جاء ذكره في سفر التكوين ما هو إلا آخر هذه الكوارث. وأطلق على كوفيه لقب يستحقه وهو «مؤسس علم باليونتولوجيا الفقاريات». إلا أنه أنكر وجود أي عظام بشرية متحجرة قائلاً: «إن ذلك أمر مستحيل». وقد لقب «بابا العظام» وعُرف في أوربا دارساً للمتحجرات أو كما سماها «ميداليات الخلق». وقد واصل تلاميذه العمل من بعده؛ حيث قام برونيار *Brongniart* ودوريني *d'Orbigny* بإعداد قائمة تضم سبعة وعشرين حدثاً متتالياً من فعل الكوارث.

أما في إنجلترا فإن القس و. د. كونيير *W. D. Conybeare* (1787 - 1857 م)، وهو جيولوجي أصبح في وقت لاحق رئيساً لأساقفة خلاندا، قد أحصى ثلاثة طوفانات قبل طوفان نوح. كذلك كان كل من آدم سدويك *Adam Sedgwick* (1785 - 1857 م) أستاذ الجيولوجيا بجامعة كيمبردج

(١) صدر كتاب مبادئ الجيولوجيا في مجلدين في عام ١٨٣٠. (المترجم).

ووليام بكلاند (١٧٨٤ - ١٨٥٦م) من محبزي فكرة الطوفان. والأخير سبقت الإشارة إليه في حديثنا عن بيفلاند وويرنغدون وكهوف «كنت». عُين بكلاند أستاذاً مشاركاً في قسم علم المعادن بجامعة أكسفورد في عام ١٨١٣م، ولفتت محاضراته انتباه جامعته وإعجابها، كما أنها لعبت دوراً في اعتراف العامة بالجيولوجيا بوصفها علماً، مما قاد إلى تأسيس كرسي أستاذية لعلم الجيولوجيا بأكسفورد في عام ١٨١٩م، إلا أنه في ذلك الوقت كان قد ترك أكسفورد ليصبح عميداً لوستمنستر. وفي عام ١٨٢٣م نشر كتابه ملاحظات حول المخلفات العضوية الموجودة في الكهوف والشقوق والمقابر ذات العلاقة بالطوفان وحول بعض الظواهر الجيولوجية الأخرى التي تبرهن على وقوع طوفان كوني - *Riliquiae Diluvianae: or Observations on the Organic Remains Contained in Caves, Fissures and Diluvial Graves and on Other Geological Phenomena Attesting the Action of an Universal Deluge*. وبعد ذلك بثلاثة عشر عاماً نشر كتابه الجيولوجيا وعلم المعادن في ضوء علاقتهما باللاهوت الطبيعي - *Geology and Minerology Considered in Relation to Natural Theology* وقد ناقش قضية الطوفان وذكر أن السجل الصخري يؤكد حدوثها^(١).

غير أن المعارضة لنظرية الكوارث كانت تنمو تدريجياً؛ فنظرية الفيضان الذي عمّ العالم كله أصبحت أقلّ إقناعاً، بينما كان التقويم المتأني للأدلة المستنبطة من

(١) خلال الفترة التي سبقت بداية القرن التاسع عشر كان الفكر اللاهوتي مسيطرأ على الحياة الفكرية في أوربا، ولم يكن بمقدور الجيولوجيين الخروج عليه أو الاصطدام به، حتى إن الجيولوجيين الأوائل أنفسهم كانوا لاهوتين. لذا فقد جاءت أفكار مدرسة الكوارث متوافقة مع التفسير اللاهوتي. يصف أرلي تعاليم هذه المدرسة بأنها كانت «مزيجاً» من الحقائق العلمية التي ينظر إليها عبر معتقدات الأسطورة وأحلام الرومانسية. (المترجم).

الصخور آخذاً في النمو، لقد عرف مفهوم «الطبقة» الجيولوجية في القرن السابع عشر.

إن جون ميشيل John Michell (١٧٢٣ - ١٧٩٣م) الذي كان قد انتخب أستاذاً للجيولوجيا بجامعة كيمبردج في عام ١٧٦٢م، أظهر معرفة واسعة بالطبقات في مختلف نواحي إنجلترا وخارجها، وأعد شرحاً واضحاً لعملية تعاقب الطبقات، فقد كتب يقول: «إن الأرض لا تتألف من ركام من الأشياء التي ألقيت عشوائياً، وإنما تتكون من طبقات منتظمة ومتسقة، فهذه الطبقات التي لا يزيد سمكها في الكثير من الأحيان على أقدام قليلة، بل وربما بوصات، تمتد أحياناً إلى عدة أميال طولاً وعرضاً». وفي عام ١٧٨٥م نشر جيمس هاتون (١٧٢٦ - ١٧٩٧) كتابه نظرية الأرض أو بحث في القوانين المستقاة من تركيب الأرض وتفتيتها وإعادة تكوينها **Theory of the Earth: or an Investigation of**

the Laws Observable in the Composition Dissolution and Restoration of Land upon the Globe وكان من رأيه أن ترسبات الرمل والحصى والطين هي نتاج لترسب الطمي مع بعض المخلفات العضوية تحت الماء في الأنهار أو البحار تماماً كما يحدث اليوم. وقال: «إن الجزء الأكبر من اليابسة كان يوماً ما مغطى بالمياه حتى ظهر تدريجياً بطريقة طبيعية (لا يد للكوارث فيها)» ومضى يقول: «لم تكن هنالك أحداث غير عادية شاركت في هذا العمل ولم تقع أحداث غير تلك التي نعرف أسبابها». قام وليام اسمث (١٧٦٩ - ١٨٣٩م) William Smith - أو استراتا اسمث Strata Smith ، كما كان يطلق عليه - بإعداد قائمة تحوي ثلاثاً وثلاثين طبقة مختلفة وجد فيها بعض العظام المتحجرة.

وكانت هذه المتحجرات بالنسبة له ليست «ميداليات خلق» وإنما مخلفات طبيعية قديمة. ونشر الجزء الأول من كتابه الطبقات كما تعكسها

المتحجرات **Strata, Identified by Organized Fossils** في عام ١٨١٦م، ولم يكتف فيه بتقدير أعمار تلك الطبقات على ضوء ما تحويه من مخلفات عضوية متحجرة، وإنما جادل في أمر تركيب الطبقات وأنه قد تم في فترة زمنية طويلة للغاية^(١).

بدأت مبادئ الإستراتغرافيا الجيولوجية وتعاليم مدرسة الاتساقين **Uni-formitarianism** تحتل مكانها في الصدارة قبل أن يظهر كتاب شارلس لايل مبادئ الجيولوجيا، إن الاسم الكامل للكتاب هو أفضل تعريف لمدرسة الاتساقين مبادئ الجيولوجيا: محاولة لفهم التغيرات التي حدثت على سطح الأرض كما تفسرها العوامل الحالية **The Principles of Geology being an Attempt to Explain the Form Changes of the Earth Surface by Reference to Causes now in Action**. وصف العميد كونيبيير - أحد المؤمنين بنظرية الكوارث - هذا العمل بقوله: «إنه عمل مهم، ومعلم يبدأ به عهد جديد من تطور علم الجيولوجيا» والكتاب كشأن أصل الأنواع لداروين - وداروين نفسه قد تأثر بكتاب لايل^(٢) - لم تكن فيه أفكار جديدة تماماً، ولكن الجديد فيه هو الطريقة العقلانية الواضحة التي قدمت بها تلك الأفكار إلى كل من يود قراءتها^(٣). وقد كتبت أخت زوجة لايل عنه في عام ١٨٩٤م تقول: إنه كان

(١) تضمن هذا الكتاب أول خريطة جيولوجية تشمل وصفاً للتركيبات الصخرية. (المترجم).

(٢) يقول داروين: «أحس وكأن نصف كتاباتي قد جاءت من عقل شارلس لايل». وللمزيد من إلقاء الضوء على هذا الأمر انظر: L.C.Eiseley Op. Cit. (المترجم).

L.C.Eiseley: Charles Lyell Reading From Scientific American, 1967, P, 19-26.

(٣) كان لايل أول من قسم حقبة العصر الجيولوجي الثالث والرابع على عصور أربعة: أيوسين، مايوسين، بلايوسين، بلايستوسين. (المترجم).

صاحب رسالة وهي: «تحرير العلم من الإسرائيليات» وذلك ما فعله تماماً، حيث أسدلت أعماله الستار على نظرية الكوارث، ومن الآن فصاعداً فإن الكوارث قد زالت عن علم الآثار والجيولوجيا، إن الآثاريين في مرحلة ما بعد لايل لم يعودوا يربطون تفسيراتهم بنظرية الكوارث.

كان جاك بوشيه دي كريفيكير دو بيرت (1788 - 1868م) Jacques Boucher de CreveCoeur de Perthes يعمل ضابطاً للجمارك في أيفيل في شمال فرنسا، وأصبحت لديه اهتمامات بالمعثورات «السلتية» التي يلقي بها من يقومون بنظافة قناة السوم. وقد حوت هذه المعثورات أدوات حجرية من الصوان وفؤوساً مصقولة تعود إلى العصر الحجري الحديث، وقطعاً عظمية تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. ثم أصبح دوبيرت أكثر اهتماماً بالمخلفات البشرية من حقبة الطوفان أو ما سماها: «بفترة ما قبل السلتية» من نوع أدوات الصوان المشحوذة وعظام الحيوانات المنقرضة التي عثر عليها في محاجر أيفيل. وقد قام بعرض هذه الأدوات في أيفيل في عام 1838م، وفي معهد باريس في السنة التالية. ثم ضمنها في كتاب من خمسة أجزاء سماه عن الخلق: بحث في أصل المخلوقات وتطورها *De la Création: essai sur L'origine et la progression des êtres* وقام بنشره خلال الأعوام 1838 - 1841م ولم تجد تلك المعثورات ترحيباً، بل عده الناس شخصاً مهووساً، وقد ذكر مرة أنه: «كلما ذكرت عبارة "فاس حجرية" و "رواسب قديمة" ألاحظ ابتسامة (السخرية) على وجوه هؤلاء الذين أتحدث إليهم»، إلا أنه استمر في عمله. وفي عام 1847م نشر الجزء الأول من مؤلف من ثلاثة أجزاء باسم الآثار السلتية، ما قبل الطوفان *Antiquities Celtiques et Antédiluviennes*. يوضح الاسم المدى الذي بلغته أبحاثه، فالفؤوس الطوفانية كما سماها أولاً أصبحت الآن فؤوس

ماقبل الطوفان، كما أن وجود مخلفات حضارية إلى جانب عظام حيوانات منقرضة في ضفاف السوم لم تعد تفسر في ضوء نظرية الكوارث.

في هذه الأثناء كان معظم الجيولوجيين الفرنسيين المعاصرين القائلين بنظرية الكوارث لا يؤمنون بأن للإنسان يداً فيما سماه دو بيرت «مخلفات حضارية». وما أضر بقضيته أنه كان ضمن مخلفاته الحضارية قطع حجرية تشكلت بفعل عوامل الطبيعة. وقام دكتور ريغولو Regollet من أميا - وهو جيولوجي معروف - بحفريات في سانت أشول ليثبت خطأ مزاعم دو بيرت، إلا أنه عدل عن رأيه وقال في مذكراته التي نُشرت في عام ١٨٥٤م بعنوان مذكّرة عن الأدوات من الصوان المعثور عليها في سانت أشول *Mémoires sur les Instruments en Silex trouvées a Saint-Acheul* أنه عثر على دلائل جديدة لمعاصرة الإنسان لحيوانات منقرضة. وقام عالم باليونتولوجيا فرنسي ناشئ اسمه ألبر غودري Albert Gaudry بإجراء حفريات في أميا وسانت أشول، واقتنع بصحة آراء دو بيرت، ثم انقلب الوضع بعد ذلك.

في عام ١٨٤٦م أنشئت في إنجلترا لجنة انبثقت عن جمعية توركي للتاريخ الطبيعي الحديثة التكوين، وذلك للتنقيب في كهف «كنت»، وبالفعل قام بالعمل مدير مدرسة محلية يدعى وليام بنجلي William Pengelly، كان مشغولاً بالبحث الجيولوجي، فبرهن هو أيضاً على صحة استنتاجات ماكينري. وفي عام ١٨٥٨م أثناء قيام البعض بقطع حجارة من جبل مطل على ميناء بركسام مقابل توركي وجدوا كهفاً آخر، فأجرى بنجلي حفريات في هذا الكهف من صيف عام ١٨٥٨م وحتى صيف عام ١٨٥٩م، وأثبتت الحفريات - بما لا يدع مجالاً للشك - تزامناً بين أدوات حجرية وعظام حيوانات منقرضة في أرض الكهف. وكتب بنجلي: «في أرض الكهف ترقد طبقة ترسيبية سمكها

ما بين ثلاث إلى ثماني بوصات (٧.٥سم - ٢٠سم) تحوي في داخلها ومن فوقها بقايا من عظام الأسد والضبع والدب والماموث ووحيد القرن والأيل». لقد أقنعت مكتشفات بركسام الكثيرين، وقبل بالدليل كل من برسوتش Prestwich ولايل، فكتب لايل في عام ١٨٥٩م يقول: «إن الحقائق التي كشفت عنها حفريات بركسام قد هيأتنا - كما أظن - إلى الاعتراف بأن الشكوك التي أثارت حول قدم الحضارة البشرية كان قد دُفع بها إلى حد ما كان لها أن تصل إليه».

وفي تلك الأثناء كان عدد من الجيولوجيين والآثارين الإنجليز قد زاروا حفريات دو بيرت على ضفاف السوم، واقتنعوا هم أيضاً بما كان قد قاله. فقام برسوتش وجون إيفانز بزيارة إلى أبيفيل في عام ١٨٥٩م، وكتب إيفانز بعد تلك الرحلة يقول: «إن الفؤوس الحجرية وأدوات أخرى وجدت داخل طبقات حصائية على ضفاف السوم قد تزامنت بلا شك مع مخلفات بشرية في زمن سيادة الطوفان أو أيا كان الحدث الذي أدى إلى تراكم هذه الطبقات». ولدى عودته إلى إنجلترا قرأ برسوتش بحثاً أمام الجمعية الملكية في ٢٦ مايو ١٨٥٩م بعنوان: عن وجود أدوات حجرية وتزامناتها مع بقايا سلالات حيوانية منقرضة في طبقات جيولوجية حديثة في أميا وأبيفيل وفي إنجلترا في هوكسن. وهكذا انقلبت الأمور تماماً، وتم الاعتراف بقدم الحضارة البشرية، وكان من حسن الطالع أن برسوتش وإيفانز لم يكونا قد نسيا خطاب جون فريير في عام ١٧٩٧م. وفي العام نفسه كتب بروفير رامسي يقول: «إن الفؤوس الحجرية التي وجدت في أميا وأبيفيل هي - كما يخیل لي - عمل فني شأنها شأن المدى التي تصنع الآن في شفيلد». وكما يبدو الآن فإن الفؤوس الحجرية وصانعيها يعودون إلى أزمان سحيقة أقدم من ستة آلاف سنة.

وإذا ما كانت هذه الأشياء مدى، فأين هي عظام من قاموا بصناعتها؟ في عام ١٨٥٧م وجدت جمجمة إنسان وبعض من عظام الأطراف في كهف فينياندرتال على نهر دوسل في بروسيا، وقدم شافهاوسن Schaaffhausen وصفاً لتلك المخلفات، حيث لاحظ كبر الحجم وقصر الجبهة وضخامة عظمة الحاجب، وهي سمات مطابقة لما يعرف اليوم بإنسان نياندرتال. وكان اعتقاده أنها ترجع إلى أفراد جماعات البرابرة والشعوب المتوحشة في أوربا، وصنفها على أنها تنتمي إلى أقدم جماعات استقرت في أوربا، وطبيعياً ثار بعض الجدل، فقال فيرشوف Virchow: «إنها لمخلوق مشوه». أما هكسلي فقد قبل أفكار شافهاوسن وصنف هذه المخلفات على أنها تخص سلالات بشرية أكثر تخلفاً من سكان أستراليا الأصليين^(١).

لم يكن العلماء الفرنسيون راضين عن عدم وجود مخلفات عظمية بشرية ضمن معثورات دوبيرت، وقد كان هو نفسه مؤملاً في أن تقدم مثل هذه المخلفات دعماً قوياً لقدم الحضارة البشرية. وكذلك فإن أخصائيي التشريح قد صرحوا بأن العظام الأولى التي كان قد عثر عليها في حفرة مولان - كينيون (Muilin Quiynon) في ابيفيل كانت في حالة من السوء لا تسمح بتشخيصها تشخيصاً دقيقاً. وعندها أعلن دو بيرت عن مكافأة مقدارها مئتا فرنك لمن يعثر على بقايا عظمية متحجرة لإنسان، وبعد الإعلان بفترة وجيزة أعلن عن العثور

(١) وصل الإنسان إلى أستراليا أول مرة منذ حوالي ٣٥ ألف سنة. أما سكان أستراليا الأصليين أو «الأبروجونيين» المشار إليهم هنا فهم الذين كانوا يسكنونها حين وصل الرجل الأبيض إليها من القرن السادس عشر، ولا يزال أحفادهم موجودين بها إلى الآن، إلا أنهم قد انحصروا في المناطق الصحراوية الأقل خصوبة في الأجزاء الغربية من القارة، وقد تمت عدة محاولات لجذبهم لمستوطنات حديثة. (المترجم).

على عظمة الفك وبعض الأسنان إلى جانب أدوات حجرية في الحفرة نفسها وذلك في مارس من عام ١٨٦٣م. وأكد دوبيرت: «أن صدق هذا الاكتشاف مطلق»، ووثق به كل من كاترقاج في باريس ولايل في لندن. أما برسوتش وإيفانز فكانا على شك. وأخيراً كشف النقاب عن الاكتشاف الذي كان زائفاً، واتضح أن دو بيرت كان قد خدعه عماله وأنه كان ضحية لطموحاته ولجشع عماله وحيلتهم، «إن الأدوات الحجرية والفك البشري... في مولان كينيون من إنتاج حديث». هكذا كتب إيفانز وكان محقاً، إلا أن الكثيرين من الفرنسيين صدّقوا بأمر تلك المعثورات على أمل أن تكون لفرنسا مساهمتها في هذا المجال، ومات دوبيرت وهو مؤمن بما وجد في مولان - كينيون.

العصور الثلاثة: الحجري والبرونزي والحديدي:

إن المراحل التقنية الثلاثة: الحجري والبرونزي والحديدي كانت قد اقترحت بشكل واضح منذ عام ١٧٣٨م على يد غوجيه، إلا أنها لم تلق قبولاً فورياً أو واسعاً. إن علم الآثار يتطلب إجراء حفريات، إذ إن المخلفات لا تكشف عن نفسها، وليس هناك توضيح لهذه الأمور في كتابات الكلاسيكيين أو العهد القديم. لقد أجريت بعض الحفريات في كل من إسكندنافيا وفرنسا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في مقابر ميغالثية ترجع إلى فترة ما قبل التاريخ، إلا أن نتائج هذه الحفريات لم تفسر في ضوء هذه العصور الثلاثة المتعاقبة، لأن هذا النموذج الخاص بالتطور التقني للماضي لم يكن قد تمّ قبوله بعد.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر شهدت إنجلترا حفريات أثرية جادة كتلك التي قام بها القس براين فوست Bryon Faussett في كنت،

والقس جيمس دوغلاس James Douglas. حيث قام فوست بحفريات في مقابر إنجلترا - سكسونية خلال الأعوام ١٧٥٧ - ١٧٧٣م، ونشر دوغلاس في عام ١٧٩٣م كتابه نينا بريتانيكا: أو تاريخ المدافن البريطانية.

ربما استحق كل من وليام كنفغتون William Cunnington ورتشارد كولت هور Richard Colt Hoare أن يكتنبا بأبوي الحفريات الأثرية في إنجلترا، فقد قال كولت في كتابه تاريخ ولتشير القديمة History of Ancient Wiltshire الذي نشر بين عامي ١٨٢٠-١٨٢١م: «نحن نتحدث عن حقائق لا نظريات، إنني لن أبحث عن أصل مدافن ولتشير في عالم الرومانسية الحاملة». ويذكر وليام كنفغتون وهو يقوم بحفر بعض المدافن في سهل سالسبري في عام ١٨٠٣م: «أن الأمل معقود على العثور على شيء يبدد الشك»، وقد قام الاثنان بحفر الكثير من المدافن في زمن وجيز. قام كولت هور بحفر ٣٧٩ مدفناً وقدم تقريراً مفصلاً عن تلك الحفريات، ميز فيه بين الأنواع المختلفة لأشكال تلك المدافن، كما ميّز بينها على أساس طرق الدفن، وبين المدافن التي استعملت أول مرة وتلك التي أعيد استعمالها، ولقد تخلص عن تلك العبارات التي توصف بها مخلفات الدرد وفرّق بين المدافن المستطيلة والمستديرة، وقسم الأخيرة على أربع مجموعات، إلا أنه لم يستطع تحرير نفسه كليةً من الأسلوب الرومانسي، فقد أطلق على إحدى تلك المجموعات مدافن الدرد، كما أن الرسومات على واجهة كتابه عن ولتشير القديمة تنم على تلك النزعة الرومانسية حيث استعمل الطريقة الهيجائية القديمة داخل إطار من رؤوس السهام.

كان هدف كولت هور هو تحديد أيّ من تلك المجموعات المتعاقبة على الجزيرة البريطانية تعود إليه تلك المخلفات التي ترجع لفترة ما قبل التاريخ، وهل هي تخص جميعها مجموعة واحدة أم مجموعات مختلفة؟ وبعد عشر سنوات

من العمل المضني أجبر على الاعتراف: «بجهله التام بما يختص بأصحاب هذه النصب التذكارية» (أي المدافن)، فكتب يقول: «لدينا دليل على قدم مدافن ولتشير لكننا لا نعرف شيئاً قائماً على أساس متين عن المجموعات البشرية التي أنشأت تلك المدافن». لقد واجهت الدراسات الآثرية في فرنسا والدنمارك المشكلة نفسها، ففي فرنسا أنشئت في عام ١٨١٨م إدارة قومية «للتحقق من آثار الغال والإغريق والرومان»، إلا أن الإدارة لم تفلح في حل مشكلة التعاقب الزمني لهذه المخلقات.

أما في الدنمارك فقد نشر الأستاذ راسمس نيروب Rasmus Nyerup كتابه بعنوان: *Oversyn foedrelandets midesmaerker fra Oldtiolen* الذي أوصى فيه بإنشاء متحف قومي للآثار في الدنمارك. وفي العام التالي شكلت الحكومة الدنماركية لجنة ملكية لجمع الآثار القومية وحفظها وعين نيروب مقررًا لها. وكان نيروب لسنوات طويلة يقوم - بصفته الخاصة - بجمع المخلقات الأثرية، حتى أنشأ بها متحفاً صغيراً بجامعة كوبنهاجن التي كان يعمل بمكبتها، لم يكن بوسعه أن يصنف تلك المخلقات بأي أسلوب ذي معنى؛ فقد أقر: «أن كل ماوصل إلينا من آثار تخص تلك المجموعات الهمجية يلفه ضباب كثيف، فهو يعود إلى فترة زمنية لاندري كيف نحددها، إننا نعلم أنها أقدم من المسيحية، إلا أننا لا ندري إن كانت أقدم منها بضع سنوات أو بضع قرون أو أكثر من ألف عام، إن كل ما نستطيع فعله هو أن نخمن طول تلك المدة». إن في هذه الكلمات - كما هو الحال في كتابات كولت هور - ما يدعو لليأس، إلا أن الإجابة كانت موجودة فقد قدمها غوجيه، وكان من المفروض أن تكون معروفة حين فرّق كولت هور وكنغتون بين المدافن الأولية والثانوية، كان من الممكن للضباب أن ينقشع وللجهل أن يزول، إلا أن الأمر كان من نصيب اثنين من

الدنماركيين هما طومسن Thomsen وفارسية Worsaae .

لقد أصبح نظام العصور الثلاثة حقيقة بالنسبة للمؤرخين الدنماركيين منذ بداية الربع الأخير في القرن الثامن عشر. ذكر ب. ف. سوهم P. F. Suhm في كتابه تاريخ الدنمارك والنرويج وهولشتاين *History of Denmark, Norway and Holstein*, الذي نشر في عام ١٧٧٦م أن الأسلحة في هذه المناطق قد صنعت في البدء من الحجارة ثم من البرونز وأخيراً من الحديد. وفي كتاب ثور ومطرقة وبعض الأسلحة القديمة الخاصة بها *Concerning Thor and his Hammer and the earliest Weapons that are related to it* الذي نشر في عام ١٨٨٢م استخدم سكولي ثورلاكوس Skuli Thorlacius مراراً فكرة تعاقب عصور ثلاثة: حجري، وبرونزي، وحديدي. كما كتب فيديل سايمسن Vedel في *Simansen Udsigt over National historiens ældste og mærkeligste Perioder (1813-16)* يقول: «في البداية كانت أسلحة الإسكندنافيين الأوائل وأدواتهم تصنع من الحجارة أو الأخشاب، ثم تعلم الإسكندنافيون صناعة النحاس وبعدها صهره وطرقه وفي الختام تعلموا صناعة الحديد. ومن هذا المنطلق فإن تطور حضارتهم يمكن تقسيمه - ومن وجهة النظر هذه - على عصر حجري وعصر نحاسي وعصر حديدي. إن هذه العصور لا يمكن فصلها بحدود واضحة إذ إنها متداخلة، فمما لا شك فيه أن استعمال الأدوات الحجرية قد استمر بين جماعات أكثر تطوراً عرفت استعمال النحاس، كما أن بعض الأدوات النحاسية قد استعملت حتى بعد أن عرفت صناعة الحديد، وطبيعي أن الأدوات المصنوعة من الأخشاب قد أصابها التلف مثل ما أصاب الصدا الأدوات المصنوعة من الحديد، أما تلك التي صنعت من الحجارة والنحاس فكانت أوفر حظاً في درجة الحفظ».

وهنا تكمن بوضوح فكرة تعاقب العصور الثلاثة الحجري والنحاسي ثم الحديدي، ولكن هذه الآراء لاتعدو كونها تخمينات مؤرخ تحتاج للدليل والبرهان الأثري وذلك ما فعله طومسن وفارسيه.

خلف كريستيان يرغنسن طومسن (١٧٨٨ - ١٨٦٥م) Christian Jurgensen Thomsen نيروب في سكرتارية الجمعية الدنماركية في عام ١٨١٦م وعين في العام نفسه أول أمين للمتحف القومي وهي الوظيفة التي احتفظ بها حتى وفاته.

كان طومسن ابناً لأحد تجار كوبنهاجن، وظل يمضي جزءاً من وقته في العمل مع والده أثناء توليه إدارة المتحف، أظهر طومسن منذ شبابه ميلاً نحو جمع القطع النقدية والمتحف القديمة المختلفة، ثم عمل على تصنيف تلك القطع التي جمعها. في هذه الأثناء كانت المخلفات الأثرية - ضمن أشياء أخرى غير أثرية - تقبع في حجرة صغيرة في مكتبة جامعة كوبنهاجن. قام طومسن بتصنيف المخلفات الأثرية إلى مجموعات ثلاث معتمداً على نوع المادة الخام التي صنعت منها كل قطعة، وكان من رأيه أن هذه المجموعات تمثل عصوراً ثلاثة متعاقبة: عصراً حجرياً ثم برونزياً ثم حديدياً، وفي عام ١٨١٩م افتتح المتحف للجمهور. وبعد ذلك بسنوات قليلة منح عدداً من الحجرات في قصر كريستيانبرج الملكي، وهناك وجد طومسن الفرصة كاملة لتنفيذ خطته في ترتيب المخلفات القديمة في الدنمارك وتصنيفها، فبعد أن صنّف تلك المعثورات إلى مجموعات ثلاث حجرية وبرونزية (نحاسية) وحديدية؛ خصص لكل مجموعة حجرة منفردة.

ظهر أول تعليق واضح على هذا المفهوم الجديد «للعرض المتحفي»، كما أطلق عليه (إذ إن عمل طومسن هذا هو بالضرورة تنظيم أو عرض متحفي)

ضمن دليل للمتحف القومي الدنماركي نشر في كوبنهاجن في عام ١٨٣٦^(١). وقد ظهرت ترجمة إنجليزية له قام بها لورد إليسمير Lord Ellesmere تحت اسم المرشد إلى آثار الشمال في عام ١٨٤٨ *A Guide to Northern Antiquities* وقام طومسن بتنقيح المرشد. كتب يقول عن الجزء الخاص بالآثار القديمة في الشمال: «إن المجموعات الأثرية بين أيدينا... قريبة العهد، والحقائق قليلة ولا تسمح لنا بالوصول إلى نتائج مطلقة الدقة... إن الملاحظات التي نود الآن تقديمها يجب أن ينظر إليها على أنها تخمينات ربما يكون مصيرها التأكيد أو التعديل وذلك كلما زاد الاهتمام بهذا العلم».

وجاء بعد ذلك بتصوره للعصور الثلاثة:

العصر الحجري: أو تلك الفترة التي كانت الأسلحة والأدوات فيها تصنع من الحجارة والأخشاب والعظام أو مواد أخرى في وقت لم يعرف فيه الشيء الكثير عن المعادن أو أنها لم تعرف أصلاً.

العصر البرونزي: وفيه صنعت الأسلحة والأدوات الحادة من البرونز أو النحاس ولم يعرف شيء عن الحديد والفضة، أو عرف عنهما شيء القليل... العصر الحديدي: هو الحقبة الثالثة الأخيرة من العهود الوثنية، وقد استعمل الحديد في تلك الأدوات التي يصلح استعماله فيها بدلاً من النحاس.

كان ينز ياكوب أسمسن فارسيه Jens Jacob Asmussen Worsaae (١٨٢١ - ١٨٨٥ م)، طالب القانون بجامعة كوبنهاجن يساعد طومسن في عمله بالمتحف، جاء فارسيه أصلاً من منطقة جتلاند، وهناك كان منذ صغره يجمع المخلفات الأثرية ويحفر القبور، وفي وقت لاحق خلف طومسن أميناً للمتحف القومي، ثم مفتشاً عاماً للآثار في الدنمارك وأستاذاً للآثار بجامعة كوبنهاجن.

(١) ظهر هذا الدليل تحت عنوان: *Ledetraad til Nordisk Oldkyndighed* (المترجم).

جاء خليفته في القرن العشرين يوهانس برونستد Johannes Bronsted ليطلق عليه محققاً لقب: «أول آثاري محترف» في عام ١٨٤٣م - وعندما كان في الثانية والعشرين من عمره - نشر كتابه **Danmarks Oldtid Oplyst ved Oldsager og Gravhoje** الذي ترجم إلى الإنجليزية في عام ١٨٤٩م تحت اسم الآثار البدائية في الدنمارك **Primeval Antiquities of Denmark**.

لقد كان الكتاب عملاً رائعاً، فقد خرج بنظام العصور الثلاثة من متحف كوبنهاجن لتطبيقه على المخلفات الأثرية في الحقل وبرهن بالتجربة الميدانية على التعاقب الطبقي لهذه العصور بعد إجراء حفريات في بعض القبور. خلال الأعوام ١٨٢٩-١٨٤٣م أخذ نظام العصور الثلاثة مكانه حقيقة واقعةً مثلما أصبح ماقبل التاريخ حقيقة واقعة. إن الضباب والظلمة اللذين سادا في أيام كولت ونيرب قد أزيحا، وحل مكانهما نور ساطع مسلط على مخلفات ماقبل التاريخ، وقد كان ديشلِت Dechellette محققاً حين أشار إلى نظام العصور الثلاثة في عام ١٩٠٨م على أنه: «أساس دراسة ماقبل التاريخ» أو كما سماه ماكالستر Macalister في عام ١٩٢٠م: «حجر الزاوية لعلم الآثار الحديث».

لقد استطاع فارسيه أن يبرهن في الحقل حقيقة نظام العصور الثلاثة، ثم جاء دليل عملي آخر من الحفريات التي أجريت على مستوطنات البحيرات السويسرية القديمة.

في أثناء شتاء جاف خلال الأعوام ١٨٥٣-١٨٥٥م كشف انخفاض في مستوى بحيرة زيورخ في أوبرمايلن عن بقايا أكوام خشبية وفؤوس حجرية وأدوات مصنوعة من قرون الحيوانات وفخار وأخشاب متفحمة. قام دكتور فيردناند كيلر Ferdinand Keller من زيورخ بفحص هذه المخلفات ونسبها لمستوطن قديم حول البحيرة. ومنذ سنوات خلت تحدثت تقارير لصائدي

الأسماك عن غابات مغمورة على مقربة من سواحل البحيرات السويسرية، إلا أن علم الآثار لم يتوصل إلى حقيقة مستوطني البحيرات هؤلاء إلا بعد العمل الذي قام به كيلر في بحيرة زيورخ. فبعد الاكتشاف الذي تم في أوبرمايلن تلاحت اكتشافات قرى البحيرات كتلك التي عرفت من مورج على بحيرة جنيف وكورتايو وأوفيرنييه وكونسير وكورسليت على بحيرة نويشاتل وروبنهاوزن على بحيرة بفايكن. في عام ١٨٦٣ قام الكولنيل شواب Schwab بحصر ست وأربعين من هذه القرى على ضفاف بحيرة نويشاتل، وبحلول عام ١٨٧٥ أمكن حصر مئتي موقع في سويسرا. وقد طبعت تقارير عن مكتشفات كيلر في البدء في شكل سلسلة مذكرات في زيورخ ثم ترجمت إلى الإنجليزية في عام ١٨٦٦ تحت اسم مستوطنات البحيرات في سويسرا وبعض مناطق أوروبا **The Lake Dwellings of Switzerland and Other Parts of Europe**. احتوى هذا الكتاب على أبحاث دكتور روتماير Rutimeyer عن المخلفات الحيوانية وكذلك أبحاث هير Heer و Rutimeyer عن المخلفات النباتية في هذه المواقع، وكانت هذه من أوائل المسوحات الأثرية. في ذلك الحين كان يسود اعتقاد بأن هذه المستوطنات قد بنيت فوق مصاطب أنشئت داخل البحيرة، وتتصل باليابسة عبر ممرات كما يلاحظ عند بحيرة كونستانس، لقد كان ذلك تفسيراً خاطئاً والرأي السائد اليوم أن هذه المستوطنات قد أقيمت على شواطئ البحيرات. اتضح بعد فترة وجيزة أن قرى البحيرات في سويسرا لا تعود إلى فترة زمنية واحدة، فقد قام ترويون Troyon بتصنيفها إلى مجموعات ثلاث تتوافق مع العصور الثلاثة، الحجري، والبرونزي، والحديدي^(١).

(١) انتشر هذا النوع من مستوطنات البحيرات في أوروبا خلال حقبة ما قبل التاريخ، ولعل موقع استار كار Star Carr (الألف الثامن ق.م.) المشهور في بريطانيا يقع ضمن هذه المستوطنات. (المترجم).

بانتشار نظام العصور الثلاثة الإسكندنافية إلى بقية الدول اتضح جلياً أن العصر الحجري في الدنمارك كما تعكسه مواقع المستنقعات وركام الأصداف والمقابر لايشكل سوى مرحلة متأخرة من العصر الحجري، وأن هناك مراحل مبكرة تمثلها تلك الأدوات من حجر الصوان التي عثر عليها جون فريير في هوكسن بإنجلترا، وبوشيه دوبرت في السوم بفرنسا، وماكينري وشميرلنج وبنغلي في حفرياتهم في كهوف بلجيكا وبريطانيا. واقترح رجال الآثار الفرنسيون التمييز بين عصرين حجريين: عصر الأدوات الحجرية المشحوذة وعصر الأدوات الحجرية المصقولة.

أما سير جون لوبك John Lubbock (١٨٣٤-١٩١٣م)، الذي أصبح فيما بعد لورد افبري فقد نشر في عام ١٨٦٥ كتابه أزمان ما قبل التاريخ Prehistoric Times وأخذ بالتقسيم الفرنسي لكنه ابتدع عبارتي: «عصر حجري قديم» Pa-leolithic و: «عصر حجري حديث» Neolithic لهذين العصرين. وعرف العصر الحجري القديم أنه: «تلك الفترة التي شارك فيها الإنسان الحياة مع الماموث ودب الكهوف ووحيد القرن ذي الشعر الكثيف وغيرها من حيوانات منقرضة»، أما العصر الحجري الحديث: «فهو الأحدث أو عصر الحجارة المصقولة، وهي حقبة تميزت بأدوات وأسلحة جميلة صنعت من الصوان وأنواع أخرى من الحجارة، ولا يوجد ما يدل على معرفة الإنسان خلال هذه الفترة بأي نوع من المعادن سوى الذهب الذي يبدو أنه قد استعمل في بعض الأحيان للزينة».

وهكذا أصبح نظام العصور الثلاثة الدنماركي يتكون من أربعة عصور: عصر حجري قديم، عصر حجري حديث، عصر برونزي، وعصر حديدي، وقد أصبح هذا هو القالب الذي تصب فيه جميع المكتشفات الأثرية خلال العقد السادس من القرن الماضي.

وسرعان ما اتضح أن العصر الحجري القديم نفسه يحتاج إلى تقسيمات فرعية: فهناك عصر حجري قديم أسفل يتميز بتلك الفؤوس الحجرية التي عثر عليها في هوكسن والسوم، ثم عصر حجري قديم أعلى تميزه تلك المعثورات التي وجدت في كهوف الجنوب الفرنسي. إن اكتشاف إنسان العصر الحجري القديم الأعلى سيظل دوماً مرتبطاً باسم إدوار لارتيه Edward Lartet (١٨٠١ - ١٨٧١) الذي عمل قاضياً في مقاطعة غير Gers ثم هجر القانون إلى حقل الباليونتولوجيا. في عام ١٨٥٢م وضع أحد عمال الطرق من أورينياك Aurignac في أوت غارون Haute - Garonne يده في جحر أرنب وأخرج منه عظماً بشرياً، ثم قاده الفضول إلى مواصلة الحفر لينتهي إلى ملجأ صخري يسده حجر. وهناك كان يرقد سبعة عشر هيكلًا عظمياً بشرياً إلى جانب عظام بعض الحيوانات المنقرضة وأدوات مصنوعة من حجر الصوان والعاج إلى جانب بعض المنحوتات على العظام. وقد أعيد دفن تلك الهياكل البشرية في مقبرة مسيحية قريبة من الموقع وبقيت دون أن تثير الانتباه حتى علم لارتيه بالأمر، وقد ظنّ في البدء أنها مقبرة جماعية ترجع إلى العصر الحجري الحديث، إلا أنه عدل عن رأيه وأعلن أنها تعود إلى ما قبل العصر الحجري الحديث.

في عام ١٨٦٠م قام لارتيه بالتنقيب في موقع آخر في البرنيز هو ماسات في اريبج، حيث عثر على مواقد للنار وبجانبها عظام الرنة وأدوات حجرية ورماح لصيد السمك ومخارز ورأس رمح منحوت عليه رسم لرأس دب، ونشر لارتيه هذا الاكتشاف في عام ١٨٦١م إلى جانب نقشين لغزالين على عظم رنة كان بروي قد عثر عليهما في كهف شافو في الفينّ ماين عامي ١٨٣٤ و ١٨٤٥م، وظنّ بروي وآخرون أن المعثور يرجع إلى عهد السلت، إلا أن لارتيه أعلن أن النقش أقدم من ذلك بكثير. إن تقديره لمغزى تلك المعثورات وتاريخها كان أول

إشارة واضحة لما نسميه فنون العصر الحجري القديم الأعلى في أسبانيا وفرنسا. أثناء عمله في كهوف برنيز وصل إلى لارتيه صندوق يحوي أدوات حجرية وشظايا من العظام جمعت من كهف ليزايزي في وادي الدوردون، وقيل له: إن كهوف بريغور تزنخر بمثل هذه المعثورات، مما جعل لارتيه ينتقل إلى ليزايزي حيث بدأ في عام ١٨٦٣م سلسلة حفريات في كهوف مثل جورج دنفير لوجيري أوت ولامادلين ولومستيه وجميعها أسماء لامعة في حقل الآثار اليوم.

قام رجل أعمال بريطاني يدعى هنري كرسطي Henry Christy بمساعدة لارتيه بماله وبشخصه، وقد نشرت النتائج الأولى لأعمالهما المشتركة في عام ١٨٦٤م، وكانا يخططان لمشروع أكبر إلا أن وفاة كرسطي في عام ١٨٦٥م ومن بعده لارتيه في عام ١٨٧١م قضت على تلك الفكرة، غير أن روبرت جونز Robert Johnes وجون إيفانز John Evans قاما بنشر الأعمال الكاملة لكرستي ولارتيه بين عامي ١٨٦٥ و ١٨٧٥م تحت عنوان المخلقات الأكوأثانية: مساهمة في فهم آثار وباليونتولوجيا بريغور والمناطق المجاورة في جنوب فرنسا Reliquiae Aquitanicae: being contributions to the Archaeology and Palaeontology of Perigord and the adjoining provinces of Southen France لقد كان هذا العمل علامة مميزة في مسيرة تطور علم آثار العصر الحجري القديم.

كان هناك آخرون يعملون في أجزاء أخرى من فرنسا في مجال آثار العصر الحجري القديم الأعلى، فقد كان الفيكونت دو لاستك ساجاك Vicomte de Lastic - Saint Jal وفيكتور برن Victor Brun يعملان في برينيك، وكان غاريغو Garrigou ومارتا Martin يعملان في لورد، كما كان فري Ferry وارسلان Arcelin ينقبان في سلوتر. أما دوبون Dupont فقد كان ينقب في كهوف بلجيكا وقد نشر في عام ١٨٧٢ كتابه عصور ما قبل التاريخ في بلجيكا:

الإنسان خلال العصور الحجرية في ماجاور دنيان - سير - ميز، Les Temps antehist oriques en Belgique: L'Homme pendant Les Age de la Pierre dans les Environs de Dinant-Sur-Meuse كذلك قام البريطاني بويد دوكنز Boyd Dowkins بنشر استكشافاته في بعض الكهوف في كتابه البحث عن الكهوف: أبحاث في حياة سكان أوروبا القدماء Cave-Hunting: Researches on the Ev- idence of Caves respecting the Early Inhabitants of Europe وفي كتاب المخلفات الأكواتانية ذكر لارتيه عن مواقع لوموستيه ولوجيري أوت ولامادلين ما نصه: «على الرغم من كونها تقع في إطار ذلك العصر الذي تميز بصناعة الأدوات الحجرية البسيطة ولم يعرف استئناس الحيوان؛ إلا أنها لا تشكل وحدة صناعية أو تقنية تبرز انسجاماً في ما بينها». وهكذا كان لابد إذن من تقسيم العصر الحجري القديم الأعلى، وعليه اقترح لارتيه تقسيمات تعتمد على المخلفات الحيوانية المصاحبة لكل فترة مثل: ١- فترة دب الكهوف. ٢- فترة الماموث ووحيد القرن. ٣- فترة الرنة. ٤- فترة الجاموس الوحشي. أما غاريغو فقد جعل هذا التقسيم مسبقاً بفترة رمنية دافئة سابقة لاحتلال الكهوف سادت خلالها الأفيال وفرس البحر تشمل مواقع سنت أشول وأيفيل حين كان الإنسان يقطن المواقع السهلية. لقد ارتكزت تقسيمات لارتيه وغاريغو على أساس ريولوجي وباليونتولوجي، بعدها اقترح لارتيه ثلاثة أقسام للعصر الحجري القديم: أسفل (فرس البحر) وأوسط (دب الكهوف والماموث) وأعلى (الرنة).

لقد طرحت هذه المقترحات التقديمية مبدأً جديداً تماماً يقوم على تصنيف المخلفات الأثرية اعتماداً على مادة غير أثرية، إلا أنه على امتداد النصف الثاني من القرن التاسع عشر فضل الآثاريون تصنيف المخلفات الحضارية التي

يدرسونها على أساس تلك المواد نفسها، حتى جاء غبرائيل دو موريتيه Gabriel de Mortillet ليضع تقسيمات لارتيه في قالب أثري: فأصبحت فترة لارتيه الأولى (عصر فرس البحر) هي الفترة الشيلية، وتحول جزء كبير من حقبة دب الكهوف والماموث ليصبح حضارة العصر الموستيري التي أخذت اسمها من كهف موستيه. أما الفترة التي تلت ذلك فتمثلها الحقب السلترية والأرغناسية والماجدلينية^(١). كان لارتيه يرى ضرورة تقسيم حقب الماضي على أساس المخلفات العظمية، والحق أن تلك الحقب هي من صنع جماعات بشرية كما هو الحال في الفترات التاريخية التي جاءت نتاجاً لأعمال الإغريق والأترسكان والرومان. أما نظام دو مورتييه الذي اعتمد في النهاية على دراسة الطبقات الجيولوجية وتطورها اللاحق فقد أصبح الصيغة المعتمدة لما يعرف: «بما قبل التاريخ» واستمر الأمر كذلك خلال القرن العشرين.

مصر ووادي الرافدين:

إن مجموعة المئة وسبعة وستين عالماً الملقين تهكماً «بالحمير» - الذين اصطحبهم نابليون معه إلى مصر لتشكيل بعثة للدراسات العلمية والفنية - قد بدأت عملها بمجرد وصول نابليون إلى مصر في ٢١ يوليو ١٧٩٨م (ومن الجدير بالذكر أن نابليون كان قد أخذ معه إلى مصر نسخة من كتاب كارستين نيبور Carsten Niebuhr رحلات في جزيرة العرب Travels in Arabia). لقد أقيم المعهد الفرنسي المصري في أحد القصور في القاهرة، وخلال ثلاث سنوات استطاع أن ينجز أعمالاً كثيرة. وكان نشر كتاب وصف مصر Description de L'Égypte

(١) تمثل هذه الحقب الأدوار الثقافية للعصر الحجري القديم الأعلى في فرنسا. (المترجم).

لجومار Jomard (١٧٧٧ - ١٨٦٢م) بداية للدراسات الجادة في الآثار المصرية، حيث ظهر المجلد الأول من تلك السلسلة عام ١٨٠٩م، وقد تم نشر المجموعة في أربعة وعشرين مجلداً فخماً تزخر بالرسومات خلال الأعوام ١٨٠٩ - ١٨١٣م.

كان من بين أعضاء هذه البعثة العملاقة دومنيك فيفان بارون دو دنون Dem- inique Vivant, Baron de Denon (١٧٤٧ - ١٨٢٥م) الذي عمل مديراً للمتاحف في فرنسا خلال الفترة ١٨٠٤ - ١٨١٥م. وكان قد رافق نابليون إلى النمسا وأسبانيا والبرتغال. وجاء في الطبعة الرابعة عشرة من دائرة المعارف البريطانية عنه: «كان مستشاراً للفتح في اختيار الغنائم الغنية من مختلف المدن التي أخضعها»، لقد نشر وصف رحلاته إلى مصر في عام ١٨٠٢م في فرنسا، وفي وقت متأخر من السنة نفسها ظهر باللغة الانجليزية تحت عنوان أسفار في مصر العليا والسفلى أثناء غزوات جنرال بوناپرت **Travels in Upper and Lower**

Egypt during the Campaign of General Bonaparte

على أن حجر رشيد قد استولى عليه الإنجليز ونقلوه إلى لندن؛ إلا أن أحد جنرالات نابليون - وقد كان عالماً - استطاع أن يعد ترجمة للجزء المكتوب بالإغريقية في أسفل النقش. وكان في رأيه أن النقش قد كتب في عام ١٩٦ق.م بواسطة كهنة من ممفيس، وهو يحوي مدحاً للملك البطلمي أبيفانس لإحسانه الجرم ويهب له التشريف الإلهي. أما الجزء الأعلى من المخطوط فقد كان مكتوباً بالهيروغليفية، وهو خط سبق أن لاحظته الرحالة في مصر إلا أنه لم يقرأ. وكان الجزء الأوسط مكتوباً بالديموطيقي وهو نوع من الخط تطور من الهيراطيقي وهي كتابة مختزلة لأحد أشكال الكتابة المصرية القديمة، وقد ثبت في وقت لاحق صحة افتراضه وهو أن هذا النقش يحوي لغات ثلاث، وأن

الخطين الديموطيقي والهيروغليفي يمكن قراءتهما بالاستعانة بالخط الثالث وهو الإغريقي.

وهكذا فقد جند الباحثون في إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا أنفسهم لفك رموز هذا النقش مستعينين بنقوش أخرى كذلك الذي وُجد على مسلة عُثْر عليها في عام ١٨٢٢م بجزيرة فيلة^(١). واستطاع الفرنسي سلفستر دوساسي Sylvestre de Sacy أن يقرأ عدة أسماء من النص الديموطيقي كان من بينها اسم بطليموس، إلا أنه اعتقد استحالة فك كل رموز النقش. وبمقارنة النص الديموطيقي بالنص الإغريقي تمكن السويدي ج.د. أكربلاد Akerblad من قراءة كل أسماء الأعلام وعدد من الكلمات الديموطيقية.

أما المحاولة الجادة الثانية في هذا المجال فقد قام بها الدكتور توماس ينج Thomas Young، وهو طبيب من كمبردج اشتهر باكتشافاته في حقل البصريات وبنظريته في الموجات الضوئية، عمل دكتور توماس على قراءة النقش الديموطيقي ونشر نتائجه في معجم المفردات الديموطيقية وفي مقال في دائرة المعارف البريطانية.

إلا أن الفضل في فك رموز حجر رشيد بصفة نهائية يرجع إلى الفرنسي جان فرانسوا شامبليون Jean Francois Champollion (١٧٩٠ - ١٨٣٢م). يحكى عنه في صباه - وكان ابن أحد عشر عاماً - أن عرض عليه عالم الرياضيات جوان - بابتست فورنييه Jean-Baptiste Fournier كتابات هيروغليفية على برديات وألواح، وسأله إن كان أحد يستطيع قراءتها، وحين

(١) فيلة، جزيرة صغيرة قرب أسوان عند الشلال الأول تضم عدداً من المعابد التي تؤرخ إلى الفترة من القرن الرابع ق.م. إلى القرن الأول الميلادي. (المترجم).

أجاب فورنييه بالنفي قال شامبليون: «أنا سأقرأها»، وكان له ما أراد. كان شامبليون طفلاً عبقرياً، فقد ألف كتاباً وهو في الثانية عشرة من عمره، وحين بلغ الثالثة عشرة كان في استطاعته أن يقرأ العربية والسريانية والقبطية. ومنذ ذلك الحين جتّد نفسه لعلم المصريات، حيث بدأ العمل في دراسة حجر رشيد في عام ١٨٠٨م وأمضى أربعة عشر عاماً وهو يفك رموز النقش. وفي سبتمبر من عام ١٨٢٢م اكتشف ختماً فرعونياً جاء من أبي سمبل يحمل اسم أحد الملوك وقد استطاع أن يميز اسم الفرعون المصري رمسيس، واستنتج من ذلك أن الهيروغليفية كانت لغة تخاطب. وهنا أسرع إلى أخيه صائحاً: «لقد وجدتها» وسقط مغشياً عليه. وسرعان ما عاود عمله ليكمل رسالته المشهورة رسالة إلى السيد داسييه، السكرتير الدائم للأكاديمية الملكية للكتابات والآداب، في موضوع أبجدية الرموز الهيروغليفية الصوتية *Lettre á M Dacier, Secretaire perpétuel de l'Académie royale des Inscriptions et Belles-Lettres relative à l'alphabet des hiéroglyphes phonétiques* bet des hiéroglyphes phonétiques التي نشرت في ٢٧ سبتمبر ١٨٢٢م، وفيها أتم فك الرموز الهيروغليفية. وبعد ذلك بعامين ظهر مجلده مختصر نظام الكتابة الهيروغليفية *Precis du Système hiéroglyphique* الذي أوضح فيه أن الهيروغليفية خليط من رموز المعاني ورموز الأصوات.

تم تعيين شامبليون أميناً لمتحف اللوفر، وبعد ذلك قاد بعثة أثرية إلى مصر في عام ١٨٢٨م بمعاونة تلميذه نكلو روسيليني Nicolò Rosellini وعاد إلى باريس في عام ١٨٢٩م إلا أن المنية عاجلته بعد ثلاثة أعوام، وبعد وفاته نشر له كتاب قواعد اللغة المصرية القديمة *Grammaire Egyptienne* والقاموس المصري *Dictionnaire Egyptin*.

امتد المسح الذي قام به شامبليون وروسيليني جنوباً حتى أسوان، وفي عام ١٨٤٠م أجرى ريتشارد لبيسيوس Richard Lepsius مسحاً لمنطقة النوبة امتد جنوباً حتى الخرطوم، كما أجرى حفريات في ممفيس وأماكن أخرى واكتشف نقشاً آخر شبيهاً بحجر رشيد متمثلاً في مرسوم كانوب^(١)، كما عثر على نقوشٍ مصرية قديمة في سيناء تركها العاملون في مناجم النحاس هناك.

بدأ بعض المغمورين يشغلون أنفسهم بما يمكن تسميته مجازاً «حفريات»، إلا أنه كان في الواقع نهباً للقبور، وكان أشهر هؤلاء جيوفاني باتستا بلزوني Gio-vanni Battista Belzoni الذي لقب «بسامسون البتغوني»، ولد في بادوه وعاش في إنجلترا حيث كان يتكسب من القيام بأعمال جسمانية بهلوانية في السيرك، ثم سافر إلى مصر لتسويق مضخات الري، وحين فشل في هذه اتجه بقدراته تلك إلى جمع التحف ونهب القبور. بدأ بحثه عن الفراعنة في طيبة في عام ١٨١٧م ووصف كيف دخل أحد هذه المقابر شاقاً طريقه وسط حطام الآثار قائلاً: «في كل خطوة خطواتها كنت أحطم جزءاً من موميا... فحين أدوس بثقلي على جسد أحد المصريين كان يتفتت من تحتي كصندوق خشبي هش، لقد ابتلعتني الموميات المهشمة إلى جانب العظام والخرق والصناديق، ولم يكن بوسعي تحاشي الأمر فقد كانت العظام تغطيني في وقت كانت الأرجل والسواعد والجماجم تنهال عليّ من أعلى».

(١) كانوب هي الميناء الرئيس في مصر لتجارة الإغريق قبل الإسكندرية، وقد شهدت تجمعاً للكهنة في عام ٢٣٧ق.م. (٢٣٩ق.م.)، أصدر ما يعرف بمرسوم كانوب الذي منح بطلميوس الثالث لقب «المانح»، كتب المرسوم بالهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية، ويعد هذا المخطوط الثاني بعد حجر رشيد في فك رموز الهيروغليفية والديموطيقية. (المترجم).

لم يكن مدهشاً أن يغمى على بلزوني مراراً أثناء تلك الأعمال الطائشة، وفي أحد المرات كان مسحوراً إلى الحد الذي جعله «يهيم في نشوته». كان بلزوني يعمل لحساب القنصل العام البريطاني كما عمل لحسابه الخاص، ونتيجة لذلك وجد عدد هائل من المقتنيات طريقه للمتحف البريطاني.

قدّم بلزوني سجلاً لرحلاته تلك سماه قصة العمليات والاكتشافات الأخيرة في الأهرامات والمعابد والمقابر والحفريات في مصر والنوبة (١٨٢٣) *Narrative of the Operations and recent discoveries Within the Pyramids, Temples, Tombs and excavations in Egypt and Nubia* احتوى الكتاب على مداخلات رائعة مثل: «المصاعب التي سببها السكان المحليون... وجندي يطلق النار عليه... وإفزع ضبع»، لقد كان بحق أحد الشخصيات الغريبة الفظيعة الممتلئة بالنشاط والحيوية في علم الآثار، وهي صفات لها مدلولها.

عند عودته إلى إنجلترا في يوم ١٨٢١م قام بلزوني بعرض مقتنياته في القاعة الملكية في بيكادلي، وهي قاعة للعرض أنشأت في عام ١٨١٢م ذات واجهة شُيّدت على الطراز المصري. لقي المعرض إقبالا هائلاً وبرهن على الاهتمام المتزايد بالآثار، فقد زار المعرض في يوم افتتاحه ١٩٠٠ شخص دفع كل منهم نصف كراون^(١). وقبل الافتتاح استعان بلزوني ببعض الأطباء في إزالة الغطاء عن مومياء، ووصف بلزوني تلك المومياء في وقت لاحق بأنها كانت: «سليمة في كل جزء منها».

سُمّ بلزوني البحث في علم المصريات والإقامة في لندن فسافر إلى غرب

(١) الكراون عملة نقدية بريطانية تعادل خمسة شلنات (٢٥ر. جنيه). (الترجم).

إفريقية في عام ١٨٢٢م لاكتشاف منابع النيجر وهناك وصل إلى بنين^(١) حيث هاجمه مرض الدوسنتاريا الذي أودى بحياته.

بحلول منتصف القرن الماضي كانت معظم الآثار المصرية البارزة للعيان قد اكتشفت ووصفت بدءاً من كتاب وصف مصر حتى أعمال لبيسيوس، كما أن الهيروغليفية والديموطيقية قد فكت رموزها. وأخذت بعض الكتب العامة التي تصف آثار مصر تظهر في الأسواق، مثل كتاب جون كنريك J Kenrick مصر القديمة تحت الفراعنة (١٨٥٠) **Ancient Egypt under the Pharoahs** وكتاب سير جون قاردنر ويلكنسون Sir John Gardner Wilkesnson عادات وتقاليده المصريين القدماء (٨٣٧ و ١٨٤١) **Manners and Cusstoms of the Ancient Egyptians**. ومنذ ذلك الحين ظهر بعض الكتاب الذين يزعمون أن مصر هي أقدم المدنات وأنها الأصل الذي نبعت منه المدنات اللاحقة، كتب كنريك: «ليس هناك صعوبة في تحديد البلد الذي بدأ منه التاريخ القديم»، وقال أيضاً: «إن آثار مصر ونقوشها وآدابها تسبق رصيفاتها في الهند والصين بعدة قرون».

بدأ اهتمام أوغستي مارييت Auguste Mariette (١٨٢١-١٨٨١) بالآثار في شبابه الباكر، حيث شب في بولون، ثم عمل بالتدريس فيها. وفي عام ١٨٤٩م حصل على وظيفة متواضعة في متحف اللوفر، وفي العام التالي أرسل إلى مصر ليجمع المخطوطات القبطية، إلا أنه أصبح مولعاً بالآثار الشاخصة أكثر من جمع الوثائق، وبدأ يجري بعض الحفريات. لم يعد مارييت إلى وظيفته السابقة في اللوفر بل بقي في مصر، وفي عام ١٨٥٨ عينه الخديوي محافظاً

(١) بنين هو الاسم الحالي لما كان يعرف بدهومي، وهي قطر في غرب إفريقية يقع بين نيجيريا وتوجو، وقد جاء الاسم من اسم مملكة إفريقية قديمة قامت في تلك المنطقة. (المترجم).

على الآثار المصرية الشيء الذي جعل منه مسئولاً عن هيئة الآثار المصرية حديثة النشأة، وتلك هي الوظيفة التي ظل يشغلها حتى وفاته، وكان - كما لقب بحق - المؤسس لعلم الآثار المصرية.

على امتداد الفترة التي قضاها مسؤولاً عن الآثار قام بحفر ما يزيد على ثلاثين موقعاً مهماً، كان من بينها سيراييوم ممفيس ومعبد أوزير - أيس ومقبرة الثيران المقدسة الملحقة به، ومعبد أبي الهول في الجيزة ومدافن سقارة ومعابد أيدوس، ومدينة هابو والدير البحري وأدفو، وقد تعرضت طريقته في التنقيب مراراً للنقد حيث وصف بيتري كيف أن ماريت استخدم الديناميت في حفرياته على مقربة من أبي الهول ليزيح حطام المعبد المتراكم. وذكر بيتري في عام ١٨٨٣م أنه: «لم ينجز أي شيء بخطة موحدة»، بدأ العمل وتركه قبل أن يكتمل، ولم يعط أي اعتبار لما تتطلبه الحفريات مستقبلاً، كما لم يستعمل أي أدوات حديثة تختصر الجهد، إنه لشيء مؤسف أن نرى الدرجة التي حطم بها كل شيء والقليل الذي بذل للمحافظة عليها.

والحق أن ماريت قد صبّ اهتمامه على البحث عن تحف ثمينة وآثار جذابة، ولم ينشر نتائج أعماله بطريقة وافية (بل إن بعض حفرياته لم تنشر على الإطلاق). لقد كان سعيداً بتكديس كمية هائلة من المواد دون أن يسجل تفاصيل أماكن العثور عليها أو دراسة أهميتها التاريخية. إلا أن ماريت قد أدخل أسلوباً جديداً في العمل الأثاري الميداني حتى وإن كان لا يرقى إلى مستوى حفريات بيتري قياساً بما كان عليه الحال في نهاية القرن التاسع عشر. كان يصر على أنه الوحيد الذي يملك حق العمل في مصر وأوقف ذلك النوع من التكالب على الآثار الذي كان يحدث في وادي الرافدين في ذلك الوقت. كذلك خلّص مصر من ناهبي القبور وجامعي التحف من الجواسيس المتكررين

في أزياء علماء الآثار. لقد انتهى عصر بلزوني، ولأول مرة استطاعت مصر السيطرة على التنقيب والبحث الآثاري.

لقد بذل ماريت جهداً خارقاً لمنع تسرب الآثار المصرية لخارج القطر، وكانت رغبته أن تبقى مخلفات مصر القديمة في مكانها في مصر الحديثة، وأن تحفظ الآثار المنقولة في مصر كذلك، ولهذا فقد أنشأ المتحف القومي للآثار المصرية. إن قيام هيئة الآثار المصرية وتعيين ماريت مديراً لها وإنشاء المتحف لم تكن نتيجة لرغبة معرفية عند الخديوي سعيد باشا بل على النقيض من ذلك، فالآثار لم تشغل بال الخديوي على الإطلاق، وإنما جاءت نتيجة لمكايد وملاحقات دوليسبس الذي كان مشرفاً على حفر قناة السويس في ذلك الوقت، وكذلك لرغبات نابليون الثالث.

يقول ماسبيرو Maspero في هذا الخصوص: «إن سعيداً قد وافق على مضض، لأنه سيكون أكثر قبولاً عند الإمبراطور إن أظهر بعض الميول تجاه هؤلاء الفراعنة». وكانت مهمة ماريت شاقة في تحويل هذا التعاطف إلى اهتمام حقيقي ودعم مادي، إذ لم يستطع في الماضي تأمين مصادر تمويل منتظمة أو دائمة من قبل الحكومة، وكان عليه دوماً أن يطلب دعماً متقطعاً، مما كان عرضة للموافقة أو الرفض حسب الحالة النفسية للخديوي، لقد توقفت بعض حفرياته لتوقف الدعم بطريقة فجائية.

لكي يجد مكاناً لحفظ مجموعته من الآثار المصرية فقد أُعطي ماريت في البداية مسجداً خرباً مهجوراً، وكذلك بعض السقائف القذرة ومنزلاً ممتلئاً بالحشرات ليعيش فيه، ويعزم أكيد حول هذه إلى أول متحف مصري. لقد كان لجواهر الملكة اعح حوتب الفضل في تحريك مشاعر الخديوي. ففي عام ١٨٥٩ وجد عمال ماريت تابوتاً رائعاً يخص الملكة اعح حوتب بالقرب من طيبة،

وقبل أن يتمكن ماريت من إيصاله إلى القاهرة استولى عليه مدير قنا وقام بفتحه في منزله، ثم استقل مركباً حاملاً المجوهرات لتقديمها للخديوي هدية منه! قام ماريت بمطاردته بقارب بخاري واستطاع اللحاق به ونزع المجوهرات بعد مشاجرة بالأيدي بينهما. عد الخديوي أن هذه لاتعدو كونها مهزلة، فقدم سلسلاً ذهبياً لإحدى زوجاته واحتفظ لنفسه بجعران وأمر بإعادة ماتبقى إلى متحف يشيد لهذا الغرض. وفي عام ١٨٥٩م تم إنشاء هذا المتحف في بولاق وكان على ماريت حماية هذا المتحف، إذ أخذ يمتلىء العام تلو العام بالكنوز التي تدفع بها الحفريات الجديدة. لقد أبدى الخديوي مراراً رغبته في إهداء بعض هذه القطع لأصدقائه، وفي إحدى المرات طرح فكرة رهن المتحف بكامله ضماناً لقرض كان يفاوض عليه.

إلا أن المتحف أخذ ينمو ويزدهر، ونقل من بولاق إلى قصر مهجور في الجزيرة في عام ١٨٨٩م، وفي عام ١٩٠٢م نقل إلى مكانه الحالي بقصر النيل في القاهرة. ومهما وجه لماريت من انتقادات لاحقه، إلا أنه عند وفاته كان قد حقق ثلاثة إنجازات باهرة: إنشاء أول هيئة للآثار في الشرق الأدنى، وقيام أول متحف قومي في الشرق الأدنى، وبث الوعي بخطورة تصدير الآثار إلى خارج منطقة الشرق الأدنى.

بدأ العمل الآثاري في وادي الرافدين في الوقت نفسه الذي بدأ فيه في مصر تقريباً. بدأت الأعمال الميدانية مع كلوديس جيمس رتش (١٧٨٦ - ١٨٢١) Claudius James Rich وهو عالم لغات بارع التحق بشركة الهند الشرقية. وفي سن مبكرة وهو في الحادية والعشرين عين في منصب الممثل البريطاني المقيم في المناطق العربية الخاضعة لتركيا، واتخذ من بغداد مقراً له في عام ١٨٠٨م. وكان يمضي أوقات فراغه في زيارة المواقع القديمة في وادي الرافدين

وبجمع التحف والمخطوطات. وكان زيارته الأولى لبابل في عام ١٨١١م حيث أجرى مسحاً مكثفاً واختباراً للموقع، ونشر في عام ١٨١٢ مذكرات عن خرائب بابل *Memoir on the Ruins of Babylon* ثم ألحقه بـ مذكرات ثانية عن خرائب بابل *Socond Memoir on the Ruins of Babylon* في عام ١٨١٨م. وخلّد لورد بايرون هذه المذكرات في دون جوان *Don Juan* حيث يقول: «كلوديس رتش، المحترم، وجد بعض مباني الطوب وكتب عنها لاحقاً مذكرتين».

إلا أن رتش قد مات مأسوفاً عليه في عام ١٨٢١م بمرض الكوليرا، وظهر وصف بعد موته يحوي أسفاره الأخيرة تحت اسم: قصة مقيم في كردستان وفي موقع نينوى القديم، مع سجل لرحلة على نهر دجلة حتى بغداد ووصف عن زيارة لشيراز وبيرسبولس *Narrative of Residence in Koordistan and on the Site of Ancient Nineveh, with Journal of a Voyage down the Tigris to Baghdad and an account of a Visit to Shiraz and Persepolis.*

كان بول أميل بوتّا *Paul Emile Botta* هو القنصل الفرنسي في الموصل في عام ١٨٤٢. وقد عين في هذه الوظيفة نتيجة للاهتمام المتزايد الذي يلقاه وادي الرافدين وآثاره عند العلماء الفرنسيين، وقد عززته مذكرات رتش وقصته. قام بوتّا في عام ١٨٤٢م بحفريات في نينوى التي تقع قبالة الموصل على الضفة الأخرى لنهر دجلة، وكذلك في خورسبارد^(١) في عام ١٨٤٣. كانت هذه أول حفريات في وادي الرافدين، وعندما كان يقوم بالتنقيب في نينوى سمع عن حجارة منحوتة في خورسباد التي تقع على بعد أربعة عشر ميلاً إلى الشمال،

(١) خورسباد، وتُكتب أحياناً خورزباد، مدينة قديمة قرب الموصل، تحوى قصرأ بناء سارجون الثاني في حوالي ٧١٧ ق.م. (المترجم).

فحول اهتمامه إليها.

في خلال أسبوعٍ عشرٍ على بقايا قصر آشوري هائل يحوي حجارة منحوتة ونقوشاً مسمارية، لقد حدّد رتش - وكان محققاً كما تأكد فيما بعد - أن التلال التي تظهر عبر النهر من الموصل هي بقايا مدينة نينوى. واعتقد بوتّا أن رتش كان مخطئاً في ذلك وظنّ أن خورسباد هي نينوى، وحين اتضح له الأمر أرسل برقية من مكان حفرياته في خورسباد إلى باريس يقول فيها: «لقد عُثر على نينوى». ولكننا نعلم الآن أن خورسباد هي في الحقيقة دُرشاروكن^(١) مدينة الملك الآشوري سارجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) والمكان الذي كان ينقب فيه بوتّا هو قصر الملك. أثارت اكتشافات بوتّا اهتمام الفرنسيين وأعدت الحكومة دعماً مالياً بعد أن كان يدعم الحفريات بنفسه. وأرسل فنان قدير هو م.ي. فلاندين ME Flandin لتسجيل المعثورات والمنحوتات، ولدى عودتهما لفرنسا نشر بوتّا وفلاندا اكتشافات خورسباد في خمس مجلدات ضخمة تحت اسم آثار نينوى Monument du Ninive ظهرت في باريس خلال الأعوام ١٨٤٩ - ١٨٥٠ م. حوى المجلد الأول وصفاً للمعثورات، أما المجلدات الأربعة الأخرى فقد شملت الرسومات التي أعدها فلاندين. وفي عام ١٨٤٦ أرسلت معظم القطع المنحوتة من خورسباد إلى باريس حيث بقيت حتى اليوم في متحف اللوفر.

في هذه الأثناء كان أوستن هنري ليارد (١٨١٧ - ١٨٩٤) Austin Henry Layard يجري حفريات في نمرود^(٢). في البدء وخلال الأعوام ١٨٤٥ -

(١) أي دار سارجون. (المترجم).

(٢) نمرود موقع أثرى آشوري قرب الموصل، أنشأها شلمنصر الأول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م). ثم أعاد بناءها آشور بنينال (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م)، ويحوي الموقع زقورة ومعابد وقصوراً. (المترجم).

١٨٤٧م كان يقوم بتمويل حفرياته بنفسه إلى جانب دعم مالي تلقاه من سير استراتفورد كنج الذي كان يعمل سفيراً لبريطانيا لدى «الباب العالي». ثم تولى المتحف البريطاني بعد ذلك تمويل الحفريات. لم تقتصر حفرياته على نمرود وحدها بل شملت مواقع كيونجيك^(١) وآشور^(٢). وفي نمرود اكتشف قصور الملوك الآشوريين آشور ناصربال وأسارحدون وشلمنصر الثالث. وقد أرسلت معظم المعثورات إلى المتحف البريطاني حيث وصلته بعد مخاطر عديدة في عام ١٨٤٨م، وذلك بعد أن بقيت لفترة في رصيف ميناء بومبي حيث تم عرضها وألقيت محاضرة عنها، كانت الكنوز تحوي الثيران المجنحة والمسلة السوداء الخاصة بشلمنصر الثالث وتماثيل لآشور ناصربال، وهي الآن من أكبر ممتلكات المتحف البريطاني قيمة.

اكتسبت أعمال ليارد شهرة واسعة، ففي عام ١٨٤٧م نشرت صحيفة المورنغ بوست رسائل أخبارية لمراسلها الذي زار حفريات نمرود، ظن ليارد أن نمرود هي نينوى تماماً كما كان يظن أن خورسباد هي نينوى. عرض المتحف البريطاني مبلغ أربعة آلاف جنيه إسترليني لنشر المادة الأثرية التي جاء بها ليارد بشكل مماثل للمجلدات الخمسة التي نشرها بوتّا وفلاندين، إلا أن وزارة الخزانة البريطانية لم توافق على تخصيص المبلغ، وظهر مجلد يحوي رسومات باسم آثار نينوى *The Monuments of Nineveh* طبع على النفقة الخاصة في عام ١٨٤٩م، وكذلك كتاب شعبي آخر باسم نينوى ومخلفاتها *Nineveh and its Remains, 1848-49* طبع بين عامي ١٨٤٨-١٨٤٩. هذا الكتاب الأخير أصبح

(١) كيونجيك تل في نينوى. (المترجم).

(٢) آشور هي العاصمة الدينية للآشوريين وتقع على بعد ستين ميلاً إلى الجنوب من الموصل. (المترجم).

فور صدوره واحداً من أنجح الكتب وأكثرها رواجاً، إذ بيعت منه ثمانية آلاف نسخة في عام واحد، وقال عنه ليارد بفخر له مايرره: «إنه يقف جنباً إلى جنب مع كتاب السيدة رندال عن فن الطبخ». بعد ذلك بعام أو اثنين بدأ جون مري John Murray الذي أشرف على إصدار تلك الكتب، بنشر سلسلة من الكتب يقرأها المسافرون في القطارات، وكانت تباع في أكشاك الكتب التي أقامها و. هـ. اسمث في محطات القطارات، وكان من بين الكتب الستة التي نشرت عند بدء السلسلة كتاب تقرير مبسط عن اكتشافات نينوى **A Popular Ac-**

count of Discovres at Nineveh

وجد ليارد نفسه محاطاً بالشهرة؛ فقد منحته جامعة أكسفورد درجة الدكتوراة الفخرية في عام ١٨٤٨م في عمر لم يتجاوز الحادية والثلاثين. بعدها قام برحلة ثانية إلى وادي الرافدين في عام ١٨٤٩-١٨٥٠ بتمويل من المتحف البريطاني وقام بحفريات في الموقع الحقيقي لنينوى هذه المرة كما حفر في نمرود وآشور وبابل. أما اكتشافاته الرئيسة فقد كانت في قصر سنحريب في كيونجيك الذي حوى مكتبة ضخمة من الألواح المسمارية. ولا بد من القول: إن مقياس ليارد لنجاح حفرياته كان هو العثور على قطع فنية وتحف يسهل حملها، لقد أصيب بخيبة أمل لقلة ما عثر عليه في آشور وبابل لذلك أخذ يركز على القصور الآشورية، وعند عودته إلى إنجلترا وجد أن شهرته قد طغت وقد كرمته مدينة لندن كما منح لقب «سير»، وفي عام ١٨٥٣م نشر المجموعة الثانية من آثار نينوى **A Second Series of Monu-**

ments of Nineveh ، وكذلك كتاباً للعمامة باسم اكتشافات في خرائب نينوى

Discoveries in Ruins of Nineveh and Babylon وبابل

ضمن كتاب صدر عام ١٩٧٨م باسم البحث عن الماضي **Ouest for the Past** انتقد براين فيغان بشراسة منهج ليارد واصفاً كيف أن ليارد في كيونجيك قد قام

خلال فترة وجيزة بكشف ميلين من الممرات المنقوشة وأفرغ سبعين حجرة في قصر سنحريب من محتوياتها. ومضى فيغان يقول: «إن ليارد قد شق طريقه بالمجرفة إلى عمق الماضي... لقد مزق نمرود ونيوى إلى أشلاء وفي أثناء ذلك أضاع معلومات أثرية لا تقدر بثمن».

قام روي Rouet الذي خلف بوتّا قنصلاً لفرنسا في الموصل بإرسال أعوانه إلى الريف لاختبار بعض التلال بطريقة عشوائية لتثبيت حق فرنسا فيها وبالتالي منع البريطانيين بقيادة ليارد من إجراء حفريات فيها. نتيجة لذلك اضطر ليارد لفعل الشيء نفسه، ومرت فترة غريبة حتى بمفهوم ما كان يجري في القرن التاسع عشر، فقد قام الفرنسيون الذين لا يعترفون بحق ليارد في العمل الأثري بإجراء حفريات جانبية في الوقت نفسه في التلال التي كان ليارد يجري حفريات فيها.

على أن أعمال ليارد في وادي الرافدين لم تتعد خمسة الأعوام إلا بقليل، فقد ترك العمل الأثري في عام ١٨٥١م وخلفه مساعده هرمز راسام Hor-muzd Rassam وهو بريطاني من أصل موصل، انخرط راسام من غير حياة في ما وصفه سيتون لويد بأنه كان ذا: «ولع غير كريم بنهب الآثار»، ومن مقره في الموصل استطاع راسام أن يختبر تلالاً أثرية في مساحة تقدر بمئتي ميل تاركاً عماله يحاولون جاهدين العثور على بعض الكنوز قبل أن يحصل خصومه على الحق في حفرها، ولم يؤاخذ ضميره لحظة وهو يحفر تلال سبق وأن خصصت لغيره. إن اكتشافه لمكتبة آشور بانيبال في تل كيونجيك في نينوى كان عملاً من أعمال القرصنة المخجلة. لقد قسمت كيونجيك بموافقة الإنجليز على قسمين: منطقة شمالية للفرنسيين وأخرى جنوبية للإنجليز. خلف فكتور بلاس Victor Place بوتّا في عام ١٨٥١م ليدير الحفريات الفرنسية، واستأنف العمل في

خورسباد حيث كشف عن أساسات قصر سارجون. وفي عام ١٨٥٣م كان عمال بلاس يحفرون في الجزء الشمالي من كيونجيك بينما كان راسام يحفر في المنطقة الجنوبية. اشتاط راسام حنقاً حينما لاحظ أن عمال بلاس وهم يعملون في القطاع المخصص لهم في المدينة يقتربون من ما ظنه أكثر أجزاء المدينة إثارة. وغامر راسام كما جاء على لسانه: «بدخول المياه الدافئة مع م. بلاس». فقام بالحفر في القطاع الفرنسي من التل ليلاً حتى عثر على قصر آشور بانيبال والمكتبة الخاصة به وقاعة صيد الأسود المشهورة. وصف راسام هذه المسرحية بأنها: «استخدام للإستراتيجية» زاعماً - إن كنا سنُصدِّقه - أن بلاس قد قبل هذا السلوك دون اعتراض، بل وهناه على حسن حظه.

واصل وليام كنيث لفتس William Kennet Loftus عمل راسام في نينوى، كان لفتس يعمل في جنوب وادي الرافدين حيث رار عدداً من التلال التي قال عنها: «لقد درجنا منذ صبا على عدها مهد الجنس البشري». قام في بداية العقد السادس من القرن الماضي بالتنقيب في الوركاء، موقع أرخ (آرش)، التي جاء ذكرها في العهد القديم ومقر البطل السومري الأسطوري جلجامش، حيث عثر على فسيفساء ملونة وأشكال مخروطة من الطين المحروق وألواح مسمارية.

قام ج. ي. تايلر J Taylor الذي كان يعمل نائباً للقنصل البريطاني في البصرة بحفريات خلال الفترة ١٨٥٤ / ١٨٥٥م في تل مخير، وهو تل يحوي إحدى زقورات أور مدينة الكلدانيين، كما حفر في تل أبو شهرين (أردو القديمة). هذه الحفريات التي قام بها لفتس وتايلر، على الرغم من الأهمية التي اكتسبتها لاحقاً في كشفها لمبانٍ سومرية؛ إلا أنها لم تثر اهتماماً يذكر في وقتها: فهي لم تأت بمثل تلك المعثورات الرائعة كالتي جاءت من حفريات آشور.

قام الفرنسيون إضافة إلى إرسال بلاس ليخلف بوتّا بتدبير تمويل «البعثة العلمية وفنية لوادي الرافدين وماريا». لقد ضمت البعثة فرسن Fresnes وأوبير Oppert وفيلكس توما Fetix Thomes من الذين عملوا في عدة مواقع مثل كيش وبابل في جنوب وادي الرافدين. وفي عام ١٨٥٥م كانت المراكب والقوارب التي تحمل معثورات البعثة الفرنسية إلى جانب مئتين وأربعين صندوقاً من المواد الأثرية من خورسباد ومن قصر آشوربانيبال ببنوى تبهر جنوباً حين تعرضت لغدر مبيت حيث هاجمتها عصابات من قطاع الطرق بالقرب من القرنة في رأس شط العرب.

لقد كانت كارثة القرنة خسارة فادحة لعلم الآثار وخاصة للمتاحف الأوربية التي كانت تنتظر وصول المادة الآشورية لعرضها في قاعاتها، ومع ذلك فإن آثار بلاد الرافدين كانت ممثلة بصورة جيدة ضمن المجموعات الأثرية في أوروبا. فحين طلب خليفة بلاس من السلطات الفرنسية المزيد من الدعم المادي لإجراء حفريات أخرى، جاءته الإجابة: «لا... إن التنقيبات قد انتهت، ولقد أنفق أكثر من اللازم»، كذلك فإن المتحف البريطاني قد امتلأ بالمواد الأثرية من بلاد وادي الرافدين مما دفعهم لتخصيص حجرة إضافية للآثار الآشورية في قصر كريستال. وفي عام ١٨٥٥م أدى اندلاع حرب القرم إلى توقف الحفريات في وادي الرافدين وسادت فترة ركود استمرت لما يقارب عشرين عاماً^(١).

في هذه الأثناء فكت رموز الخط المسماري، وفي نهاية القرن كان عالم ألماني يدعى ج. ف. غروتفند G. F. Grotefend يدرس النسخ التي أعدها نيبور لنقش

(١) حرب القرم، حرب خاضتها تركيا وبريطانيا وفرنسا وسردينيا في مواجهة روسيا خلال الأعوام ١٨٥٣-١٨٥٦ حين حاولت روسيا بسط نفوذها في البلقان، وقد انتهت باتفاقية باريس. (المترجم).

بيرسبولس المكتوب بلغات ثلاث، وبحلول عام ١٨٠٢م كان قد فك رموز ثلاثة من الأسماء الملكية المكتوبة باللغة الفارسية القديمة، وهي أسهل اللغات الثلاث، وفي وقت لاحق استطاع أن يفك ثلث الرموز المستخدمة في تلك اللغة. إلا أن غروتفند لم يكن مستشرقاً، ولذا فإنه لم يستطع أن يمضي قدماً في أبحاثه تلك. وقدم أطروحة تضم أبحاثه إلى أكاديمية غوتنغن إلا أنها لم تقبل للنشر، ولم تنشر في الحقيقة إلا في عام ١٨٩٣م لأهميتها التاريخية فقط. إن هنري كرسويك رولنسون Henry Creswicke Rawlinson (١٨١٠-١٨٩٥م) يوصف دائماً على أنه الرجل الذي كان وراء فك الرموز المسمارية إلا أنه لم يكن على علم بما قام به غروتفند، لقد كانت لديه معرفة واسعة باللغات الشرقية الشيء الذي كان يفتقده غروتفند.

لقد عمل رولنسون في البدء على دراسة نقش من النقوش المكتوبة بثلاث لغات وجد بالقرب من همدان وبعدها على النقش المشهور المكتوب بثلاثة لغات أيضاً الذي نقش عام ٥١٦ ق.م. بتوجيه من داريوس هستاسبس (٥٢١-٤٨٥ ق.م.)^(١) على جبل بهستان أو بستين بالقرب من كرمنشاه. ترتفع هذه النقوش ٤٠٠ قدم عن سطح الأرض على واجهة كتلة صخرية يصل ارتفاعها إلى ١٧٠٠ قدم (٥١٨ متراً) عن السهل المحيط بها. بدأ رولنسون بنسخ النقوش الفارسية القديمة والعلامية في عام ١٨٣٥. ثم عاد إليها في عام ١٨٤٤ حين كان الاقتراب من تلك النقوش أمراً بالغ الصعوبة. أخيراً وفي عام ١٨٤٧ وبمساعدة أحد أكثر الشخصيات غير المعروفة إثارة «صبي كردي قروي قادم من بعيد» قام بعمل بطولي فذ، تعلق هذا الصبي بصخرة في واجهة الجبل

(١) داريوس هستاسبس هو دارا الأول الامبراطور الفارسي. (المترجم).

مستعملاً أصابع يديه ورجليه، وتأرجح بالحبال عبر الفجوات ناسخاً تلك النقوش على الورق من على كبسول معلق يتأرجح به، وبذلك أمكن تسجيل النقش البابلي.

بنهاية عام ١٨٣٧م كان رولنسون قد فرغ من ترجمة فقرتين من النقش الفارسي القديم المكتوب بالخط المسماري، وفي عام ١٨٤٦م أصدر مجلدين، نقوش بهستان المسمارية الفارسية **The Persian Cuneiform Inscription of Behistun** يحويان الترجمة الكاملة. وفي العام نفسه أصدر دكتور إدوارد هنكس Edward Hincks ترجمة منفصلة للنقش. بعد ذلك عكف كل من رولنسون وهنكس وأويرت وفوكس تالبوت وآخرون على دراسة النقش البابلي وبعد فترة وجيزة أمكن ترجمته ومن ثم توفر مفتاح اللغتين البابلية والآشورية. وفي عام ١٨٥٧م ترجم رولنسون للمتحف البريطاني نقشاً أسطوانياً يخص تقلات بلسر الأول^(١). وقبل النشر طُلب من هنكس وفوكس تالبوت وأويرت أن يقوموا بترجمات منفصلة للنص، وأرسلت هذه في رسائل مغلقة إلى رئيس الجمعية الملكية الآشورية حيث تم فحصها بواسطة لجنة أقرت أن التراجم متشابهة للحد الذي لم يعد هناك شك في أن الرموز المسمارية قد فكت.

هذا العمل هو الذي مكّن رولنسون من تحديد هوية التلال الواقعة عبر النهر من الموصل بأنها نينوى وبأن سنكارا هي مدينة لارسا القديمة، وتل مخير هو مدينة أور الكلدانية، وتل أبو شهرين هو أريدو التي وردت في العهد القديم. لقد وجد رولنسون أن شهرته تضارع شهرة ليارد ومنحته جامعة أكسفورد درجة الدكتوراة الفخرية كما منح لقب «سير» في عام ١٨٥٦م.

(١) تقلات بلسر الأول (١١١٥-١٠٧٧ ق.م). أحد الملوك الآشوريين وقد اشتهر بفتوحاته في الشام. (المترجم).

بلاد الإغريق والرومان: بداية علم الآثار الكلاسيكية:

لم يتردد الرحالة من فرنسا وألمانيا وبريطانيا خلال القرن الثامن عشر من حمل التحف المنقولة من إيطاليا وبلاد الإغريق والشرق الأدنى إلى المتاحف في شمال أوروبا وغربها. كانت حجتهم أن السكان المحليين ليسوا جديرين باقتناء هذه التحف، كما أنهم لا يملكون مقدرة المحافظة على الأعمال الفنية القديمة. يقول روبرت وود Robert Wood في كتابه خرائب بالميرا (1753) *Ruins of palmyra*: «كنا نسخ النقوش التي تقع في أيدينا، ونحمل القطع الرخامية كلما كان ذلك ممكناً، إلا أن جشع السكان المحليين وخرافاتهم جعلت المهمة صعبة وأحياناً غير ممكنة».

في عام 1799م بُعث لورد إلجين Lord Elgin (1766 - 1841) وهو لورد ودبلوماسي أسكتلندي، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، سفيراً لبريطانيا في القسطنطينية. وقد طلب منه صديقه المهندس توماس هرسون Thomas Harri-son أن يعد له نماذج جصية لبعض التماثيل الإغريقية، تبنى إلجين هذه الفكرة وقام بإعداد رسومات وصنع نماذج جصية لأكثر عدد ممكن من تلك التماثيل. وحين زار الأكروبول في أثينا تبين له أن التماثيل فيه معرضة بصورة دائمة لمخاطر الهدم والإهمال العام. وقد تلقى بعد ذلك الموافقة بنقل بعض واجهات مبنى البارثنون. عمل حوالي ثلاثمئة إلى أربعمئة عامل لمدة عام كامل في نزع المنحوتات الفنية من البارثنون. تسبب هذا العمل في الكثير من التخريب، كما قيل: «Quod non fecerunt Gothi, Fecerunt Scoial» وتم استدعاء لورد إلجين في عام 1803م وشحنت مجموعته في اثني صندوق ملأت عدداً من السفن أبحرت بها إلى إنجلترا. وتحطمت منها السفينة «منتور» على مقربة من كاب ماليا، وقد استغرق انتشال تلك المخلفات ثلاث سنوات من عمل بعض

الغطاسين المهرة، ولم ترسل إلى بريطانيا إلا في عام ١٨١٢م. وفي عام ١٨١٦م وبعد محاورات تم شراء تلك المعثورات من إيجن لمصلحة الدولة بمبلغ ٣٥٠٠٠ جنيه إسترليني وتم عرضها في المتحف البريطاني. دار حينذاك - ومازال يدور - جدل طويل عن إن كان من اللياقة نقل تلك القطع الرخامية إلى بريطانيا وإمكانية إعادتها إلى بلاد الإغريق. مما لاشك فيه أن هذه الآثار قد بقيت في المتحف البريطاني محاطة برعاية واهتمام بالغين، وكان من الممكن أن يلحق بها الكثير من الضرر لو بقيت في موطنها الأصلي.

قام أدوارد دانيال كلارك (١٧٦٩ - ١٨٢٢) Edward D Clarke أحد أعضاء مجلس جامعة كيمبردج وأول أستاذ لعلم المعادن بها، الذي أصبح فيما بعد أميناً لمكتبة الجامعة بأسفار مكثفة في بلاد الإغريق. واكتشف قبر يوكليد في أثينا (لم يكن الأخير هو عالم الرياضيات المعروف ولكن كلارك ظنه كذلك) كتب كلارك يقول: «يا للإثارة.. هذه التحفة يجب أن تذهب لجامعة كيمبردج حيث يوقر اسم يوكليد». أما مذكره عن نقل تمثال «حاملة السلة المقدسة» في إلوسيس^(١) الذي يرقد حالياً بمتحف فتزوليام^(٢)؛ فهو كشف مدهش للوسائل المستعملة في ذلك الحين: «وجدت المعبودة مدفونة حتى أذنيها في تل من الروث. أما الفلاحون المحليون فعند سماع أول بادرة لنقل التمثال، عدوني كمن يمكنه إحضار القمر من مداره، وقالوا ماذا سيحدث لمحصول الذرة لو حُرِّكت السيدة حاملة السلة المقدسة؟ ذهبت إلى أثينا وتقدمت بطلب إلى الباشا داعماً طلبي بمنظار تلسكوبي إنجليزي ونجحت المهمة».

(١) إلوسيس Eleusis مدينة إغريقية قديمة على مسافة عشرة أميال إلى الشمال الغربي من أثينا، وهي

أحد المراكز المهمة لعبادة ديمتر وابنتها بيرسيفوي. (المترجم).

(٢) يوجد هذا المتحف بمدينة كيمبردج البريطانية. (المترجم).

كان جون ديزني John Disney محامياً وأحد شخصيات مقاطعة إسكس. استدعي للمحكمة في عام ١٨٠٣م وهي السنة نفسها التي اعتقل فيها لورد إلجين تحت قانون نابليون أثناء مروره بباريس. كان ديزني من عشاق الفنون وجامعاً للتحف كما كان صديقاً لكلارك، وكما فعل كلارك فقد أهدى ديزني مجموعته إلى جامعة كيمبردج بل ذهب خطوة أبعد من ذلك حيث أنشأ كرسيًا للأستاذية في الآثار في الجامعة، في عام ١٨٥١^(١) كان الاتفاق بينه وبين الجامعة يقضي بوضوح: «أن من واجب الأستاذ أن يقدم في كل عام أكاديمي. . ست محاضرات تشمل على الأقل موضوعات الآثار الكلاسيكية وآثار العصور الوسطى والآثار الأخرى والفنون الجميلة وكل الأمور الأخرى المتعلقة بها». على الرغم من أن كرسي ديزني كان أول كرسي للآثار في الجزر البريطانية إلا أنه لم يكن بأية حال الأول في أوروبا. لقد سبقت الإشارة إلى وجود كرسي للآثار بجامعة ابصالا منذ عام ١٦٦٢م، وكان أولف فيريلوس Olof Verelius أول من عين فيه. بعد ذلك وفي عام ١٨١٨م عين كاسبر ياكوب كرستيان رويفنز Casper Jacob Christian Reuvens في كرسي الآثار الذي أنشأ وقتها بجامعة لايدن، وحدد تخصصه في «حقل علم المصريات والمسكوكات وتاريخ العمارة والآثار الكلاسيكية وغير الكلاسيكية».

كان فوفيل Fauvel، القنصل الفرنسي في أثينا نشطاً في جمع التحف، ويرجع له الفضل في اقتناء اللوفر لتلك اللوحة الرائعة من أفريز البارثنون.

(١) مازال هذا الكرسي يحمل اسمه حتى الآن، وهو الكرسي الذي يحتله رئيس قسم الآثار بجامعة كيمبردج، ومن بين الشخصيات الأثرية التي احتلته جراهام كلارك وغلين دانيال (مؤلف هذا الكتاب) وكولن رنقرو. (المترجم).

قامت مجموعة من الرجال ضمت من الإنجليز ك. ر. كوكريل و. ج. فوستر ومن الدنمارك بروونشتد وكدوس والبارون أوتو ماغنس فون إشتكلبرج ومعماري من نورمبرج يدعى البارون هالر فون هالرشتاين بإجراء تنقيبات فيما يفترض أنه معبد زيوس في إيجينا ومعبد أبولو في باساي، وذلك في عام ١٨١١م^(١). وقام النحات تورفالدين بصيانة التماثيل من تلك الحفريات ثم تقاسم شراءها كل من الملك لويس الأول ملك بافاريا والمتحف البريطاني. وفي عام ١٨٢٩م قامت بعثة أثرية فرنسية بتنقيبات في البلوبينز ونشرت نتائج أعمالها في البعثة العلمية إلى موري *Expedition Scientifique de Moree*.

في عام ١٨٢١م قام الفيكونت دو مارلو Vicomte de Marellus سكرتير البعثة الفرنسية في أثينا، وبتعليمات من رئيسه المركيز دو ريفيير Marquis de Ruvere سفير بلاده في القسطنطينية بشراء تماثيل فينوس دي ميلو الشهير الذي يوجد الآن بمتحف اللوفر. كتب عنه يقول: «يافينوس، سحر عيني وذكرياتي، فبعد أن نامت لأكثر من ألف عام تحت نبات قمح لا يتج، وأعشاب برية، فإنها استيقظت على صوتي...».

تحررت بلاد الإغريق من الحكم التركي في عام ١٨٢٩م، وبوصفها أمة حديثة الاستقلال بدأت الاهتمام بماضيها، وبمساعدة عدد من الأثاريين الأجانب أنشأت في عام ١٨٤٦م المدرسة الفرنسية للآثار، وكانت أول مدرسة أجنبية من هذا النوع في بلاد الإغريق، تبعثها في وقت لاحق مدارس مشابهة ألمانية وبريطانية وأمريكية وإيطالية. ومع أن وقت انغماس القناصل والسفراء في علم

(١) إيجينا جزيرة إلى الجنوب من أثينا، وباساي موقع في غرب شبه جزيرة البلوبينز. أما البلوبينز فهي الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الإغريق. (المترجم).

الأثار كعمل جانبي آخذ في الزوال؛ إلا أن مجرى حياة الإنجليزي شارلس توماس نيوتن Charles Thomas Newton يقدم المثل لتداخل علم الآثار والدبلوماسية. كان نيوتن موظفاً في المتحف البريطاني حين أرسل في مهمة دبلوماسية بواسطة مكتب الاتصال الخارجي لمدة سبعة سنوات في الشام يجمع فيها بين مهامه الدبلوماسية وإعداد مادة متحفية للمتحف البريطاني. وقد نجح نيوتن في تحديد موقع ضريح هاليكارناسوس Halicarnassus، أحد عجائب العالم القديم^(١). وفي المتحف البريطاني تمكن من تجميع كل ماتبقى منه بما في ذلك بعض القطع التي سبق أن أخذت إلى جنيف والقسطنطينية ورودرس. كما اكتشف أيضاً خريطة مدينة كنيديوس الإغريقية في عام ١٨٥٨ / ١٨٥٩م، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تكشف فيها بدقة وحذر خريطة لمدينة قديمة، وقد استخدم نيوتن التصوير الفوتغرافي بكثرة في أعماله تلك.

أما في إيطاليا فإن التنقيبات خلال القرن الثامن عشر في موقعي هيراكليوم وبومبي قد استمرت لعدة سنوات تقوم بها مجموعات صغيرة من أربعة إلى ثمانية إلى ثلاثين عاملاً على الأكثر، وكانت هذه الأعمال صيداً للكنوز أكثر منها أعمالاً أثرية جادة.

لقد كشفت بعض البيوت ونهبت وقطعت بعض اللوحات منها، وتركت المنازل المنهوبة لتتهدم ولم تكمل الحفريات في أي من المنازل إلا نادراً، إذ كان العرف السائد هو أن تحفر الأدوار العليا وتترك لتتهدم على خنادق الحفر وتدفن الأدوار السفلى. في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وبفضل

(١) هاليكارناسوس تقع على الساحل الغربي من آسيا الصغرى وهي موطن هيرودوت وديونيسيوس، والضريح المشار إليه هو قبر موسولوس. (المترجم).

كرم ملوك نابلي وحماسهم في الحفبة النابليونية؛ نظمت حفريات في بومبي أشرف على إدارتها ميكيلي أريديتي Michele Arditi من علماء نابلي. وكانت تلك هي أول حفرية بهذا الحجم يخطط لها في التاريخ، وقد جُمعت أموال كافية لدعمها، وقد عمل فيها في بعض الأحيان ستمئة عامل. في عام ١٨٦٠م تحول الإشراف على حفرية بومبي إلى جيوسبي فيورلي Giuseppe Fiorelli الذي كشف النقاب عن أنسولا Insulae كاملة قام بحفرها بعناية متتبعاً الطبقات واحدة إثر الأخرى ومحتفظاً بالظواهر المهمة في أماكنها^(١). ثم أنشأ ما سماه بمدرسة بومبي للتنقيب حتى يتمكن الآثاريون الأجانب والإيطاليون على السواء من تعلم هذه الطرق الحديثة في العمل الأثري. وقام هو بإجراء دراسة خاصة للمواد الخام وتقنية البناء في بومبي، كذلك طور الوسائل التي تصنع بها النماذج الجصية للأجسام بصب الجص في الفراغات التي تكونت في الرماد البركاني بعد تحلل الأجسام، وذهب أبعد من ذلك في عمل نماذج للأبواب والآثاث وحتى السقوف.

كان فيورلي عالماً متمكناً ورائداً في التحليل الإستراتيجي، يصف غاستون بوسيه Bossier الوسائل التي طبقها فيورلي في بومبي بقوله: «لقد أعلن (أي فيورلي) وكرر في تقاريره أن مركز الاهتمام في حفريات بومبي هو بومبي نفسها، فاكتشاف الأعمال الفنية موضوع ثانوي في أهميته، لقد توجهت الجهود قبل كل شيء لكشف مدينة رومانية تصور لنا الحياة في عصور مضت، كان من المهم رؤية المدينة بكاملها وبتفاصيلها الدقيقة ليكتمل الدرس الذي نتعلمه منها. هذه المعرفة لاتبجيء فقط من قصور الأغنياء بل من أكواخ الفقراء أيضاً، بأدواتها

(١) «الأنسولا» مجموعة وحدات سكنية تفصلها شوارع متقاطعة. (المترجم).

البسيطة وزيتها المتواضعة، من أجل هذه السعاية يصبح لكل شيء أهميته ومضمونه، وليس لدى المرء الحق بأن يبرز شيئاً على حساب آخر». كان هذا تعبيراً رائعاً ومسايراً للعصر.

أوروبا البربرية:

أجرى ميكالي وانغرامي Micali & Inghirami وجيرهارد Gerhard دراسات على الأتروسكيين في بداية القرن التاسع عشر، كما تم اكتشاف لوحات كورنيتو الجدارية في عام ١٨٢٧م. وفي وقت لاحق كشفت مواقع ومقابر أخرى في فيفي وتشويسكي وكيرفيتيري وأورفيتو. وكان اكتشاف مقبرة ريفولينيني غالاسي في كاييري^(١) في عام ١٨٣٤م بمحتوياتها الثمينة مثلاً للاهتمام بآثار الأتروسكيين وسبباً لجذب الباحثين عن الكنوز. وقد تعرف العالم الناطق بالإنجليزية إلى الأتروسكيين بفضل كتاب لجورج دينس George Dennis سماه مدن ومدافن أتروريا^(٢) (١٨٤٨) Cities and Cemeteries of Etruria وهو كتاب شائق واسع الانتشار.

لم يكن دينس يشك في الدور الكبير الذي لعبه الأتروسكيون في نشر مدنيات البحر الأبيض المتوسط إلى شمال وشمال غرب أوربا. كتب يقول: «يتفق الآثاريون الآن أن كل البرونزيات القديمة التي عثر عليها إلى الشمال من

(١) كاييري موقع في إيطاليا إلى الشمال من روما. (المترجم).

(٢) «أتروريا» هي الاسم القديم لغرب إيطاليا وإليها ينسب الأتروسكيون الذين كانت لهم علاقات تجارية واسعة مع سواحل المتوسط وأواسط أوربا خلال الفترة ٦٥٠-٤٥٠ ق.م. وفي منتصف القرن الخامس ق.م. تدهورت حضارتهم بسبب غزوات قبائل أواسط أوربا على مدنها وسيطرة الفينيقيين على تجارة حوض المتوسط. (المترجم).

جبال الألب وحتى الدنمارك ومن أيرلندا إلى المجر وولاشيا^(١) ترجع إلى أصول أترسكية».

أما الأسكاثيين Scythians فقد وصفهم هيرودوت من قبل^(٢). كانت أول مكتشفات عرفها لهم آثاريون حديثون هي تلك التي قام بها بول دوبرو Paul Dubrux في كول أوبا بالقرب من كيرش في عام ١٨٣٠^(٣). وقد وصفت أعمال لاحقة في آثار الأسكاثيين عند هيرودوت (١٨٦٦ - ١٨٧٣) «Les Anti- quites de la Scythie d'Herodote» الذي قامت بنشره الجمعية الملكية للآثار في سانت بطرسبرج. أنشأت جمعية أوديسا الملكية للتاريخ والآثار في عام ١٨٣٩م، وبعد عشر سنوات أصبحت تسمى بالجمعية الملكية للآثار، وفي عام ١٨٤٦م قامت في روسيا جمعية للآثار والمسكوكات.

أما الآثار السلتيه وتلك التي تخص العصر الحديدي في حقبة ما قبل الرومان في أوربا بوجه عام؛ فقد برزت إلى الوجود خلال العقدين السادس والسابع من القرن التاسع عشر. بالطبع كانت المواد الأثرية التي ترجع إلى العصر الحديدي وما قبل الرومان في أوربا معروفة قبل أن يضع طومسن وخلفاؤه تعريفاً للعصر الحديدي، إلا أن هذه المواد صُنِّفت على أنها إما بريطانية أو تيوتونية^(٤) أو غالية، وكان هنالك خلط فيما هو منسوب للفترة قبل الرومانية والرومانية

(١) ولاشيا هي إحدى المقاطعتين اللتين تكونت منهما رومانيا. (المترجم).

(٢) الأسكاثيون هم أهل أسكاثيا التي تقع في جنوب شرق أوربا، اعتمد اقتصادهم على الرعي وسيطروا على سهول الاتحاد السوفيتي حيث لعبت الخيول دوراً في تسهيل ترحالهم وذلك خلال القرن الخامس ق.م. (المترجم).

(٣) كول أوبا موقع على الساحل الشمالي للبحر الأسود.

(٤) التيوتون هم شعب ألماني قديم، استوطن منطقة يوتلند في القرن الرابع ق.م. (المترجم).

وبعد الرومانية. وصف كولت هور Colt Hoare لجامات الخيل والعجلات الحديدية وأدوات أخرى من هامدن هل على أنها بريطانية تعود إلى حقبة ما قبل الرومان. كذلك وصف البارون دوبونشتتن de Bonstetten ركام الأسلحة الحديدية وأدوات الخيول وبقايا المراكب الحربية والعملات السلطية والفخار التي عثر عليها في تيفناو بالقرب من بيرن على أنها «ألمانية» ترجع إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي. أجرى الكولونيل شفاف Schwab حفريات في موقع لاتين على بحيرة نويشاتل Neuchatel في عام ١٨٥٨م. استمرت هذه الحفريات لعدة سنوات بعد ذلك، وقد كشفت ضمن أشياء أخرى عن مجموعة من السيوف الحديدية التي قام فيردناند كيلر Ferdinand Keller بدراستها وقرر أنها لا تعود للفترة الرومانية ولا للعصر البرونزي، وإنما تخص الحضارة السلطية جزءاً من الحقبة الهلثية^(١) لما قبل التاريخ في سويسرا وإلى العصر الحديدي.

في عام ١٨٤٦ بدأ رامساور Ramsauer حفريات في هالشتات^(٢) في النمسا لصالح متحف فينا واستمرت لما يقارب عشرين عاماً. وفي عام ١٨٦٦م قامت مجموعة من الآثاريين المعروفين بحفريات أخرى في هالشتات، كان من بينهم جون إيفانز ولوك وفرانكز ولارتيه ومارلو. كتب إيفانز عن هذه الحفريات قائلاً: «لقد رتبنا الأمر مع بيرغممايستر Bergmeister لوضع عدد من الرجال ليقوموا بالحفر على أن نلحق بهم في صباح الغد الباكر لنرى النتائج، وربما تطلب الأمر أن نبقي هناك طوال اليوم». وفي اليوم التالي كتب يقول: «لقد وجدنا في حفرياتنا متعة لم نستطع تركها، تناول لوبك وشخصي إفطاراً مبكراً

(١) هلثية تعني سويسرية. (المترجم).

(٢) هالشتات موقع في النمسا يبعد ٣٠ ميلاً إلى الشرق من سلسبرج ويعود إلى العصرين البرونزي والحديدي. والموقع يحوي مقبرة ضخمة وقد اشتهر بمناجم الملح فيه. (المترجم).

بعد السادسة بقليل، وفي حوالي السابعة والنصف كنا عند الجبانة... وجدنا الرجال قد اكتشفوا سواراً برونزياً وجزءاً من عظم الشظية، وفيما بعد وجدت بنفسني في أحد المعجسات التي حفرتها فأساً حديدية لاتزال مثبتة في مقبضها وعليها أثر طبقات قماش ناعم ربما كانت ترقد عليه».

نشر ملخص لنتائج الحفريات التي استمرت قرابة عشرين عاماً في كتاب بعنوان جبانة هالشتات (1986) *Das Grabfeld von Hallstatt* للبارون فون ساكن Von Sacken ، وكانت قد تم حفر 993 قبراً، والمقبرة فيما يبدو تمثل فترة انتقال من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي في أوروبا. وفيما بعد اقترح هلدبراند Hildbrand في عام 1872 أن يقسم العصر الحديدي في أوروبا على مرحلتين؛ المرحلة المبكرة أو الهالشتاتية والمرحلة المتأخرة أو اللاتيونية^(١).

لفت جون كمبل John Kemple الانتباه إلى مجموعة من الأدوات رينت على الطراز اللاتيني كان فرانكس Franks يقوم بدراستها في المتحف البريطاني. وأثناء ترتيبه ووصفه للوحات التي كان كمبل ينوي نشرها في كتابه الأزمان الغابرة *Horne Ferales* (الذي نُشر بعد وفاة كمبل في عام 1863)، غامر فرانكس بإطلاق عبارة «السلتية المتأخرة» عليها، وقد قصد استعمال عبارة سلتية إذ إن انتشار هذه الطرز الغنية متزامن فيما يبدو مع الاحتلال السلتي، إلى جانب أن أنماط الزينة تبدو مقترنة بتلك التي عرفها الفن المسيحي القديم في أيرلندا، وهي تختلف تماماً عن الفنون الرومانية والساكسونية والدنماركية التي عثر عليها في إنجلترا.

(١) اللاتيونية عُني بها La Tene وهو موقع في سويسرا على الضفة الشرقية لبحيرة نويشتاتل يعود إلى العصر الحديدي. (المترجم).

جاء أول دليل قاطع لتأريخ الفن اللاتيني من حفريات في مون أوكسوا (اليسيا) ومون ريفي اليزسانت رين في برغندي^(١)، جرت خلال الأعوام ١٨٦١-١٨٦٥م بأمر من نابليون الثالث. وقد عثر في خنادق لمعسكر روماني على سيوف وحرا ب إلى جانب قطع نقدية رومانية وغالية، ولا يبدو أن أيّاً من تلك السيوف والحرا ب يمكن أن تؤرخ إلى مابعد عام ٥٤ ق.م. الشيء الذي يعطي الأدوات اللاتونية تاريخاً سابقاً للفترة الرومانية أو إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد على أقل تقدير. كان هذا هو أول تأريخ موثوق به للفن اللاتيني، وقد مكّن الآثاريين في فرنسا وإسبانيا من أن ينسبوا بعض المكتشفات والقبور إلى العصر الحديدي في حقبة ما قبل الرومان. وفي الوقت نفسه بدأت تتضح أبعاد حضارة اللاتيون السلتيّة. في عام ١٨٧٠م لاحظ دو مورتية أن المعثورات التي وجدت في قبور في مارزابوتو Marzabotto بالقرب من بولونا^(٢) تشابه الأدوات اللاتينية التي جاءت من قبور في المارن وهكذا عُرِفَت آثارياً فترة الغزاة السلتيين في إيطاليا.

سبقت الإشارة للقس بريان فوست الذي قذف به في طفولته قرد لأبويه في النار، ولكنه نجا من الحريق ليصبح أحد أوائل المنقبين في إنجلترا، لقد عاش ليجري حفريات في المقابر خلال القرن الثامن عشر. كان فوست يظن أنها مقابر ترجع للفترة الرومانية إلا أنها كانت في الحقيقة أنجلو ساكسونية. لم تنشر مذكرات فوست الخاصة بتلك الحفريات، حتى قام بذلك شارلس روش سمث Charles Roach Smith في كتابه بيان بمحتويات المدافن (١٨٥٦) Inventorium Sepulchrale وذلك قبل عام من نشر ج. يونج أكرمان J Yong Akerman

(١) برغندي منطقة في وسط فرنسا. (المترجم).

(٢) بولونا موقع في شمال إيطاليا. (المترجم).

كتابه بقايا مملكة السكسون الوثنية **Remains of the Pagan Saxendom** . كان كمبل متأثراً بأيكerman عندما لاحظ تشابهاً بين الفخار الأنجلو ساكسوني في إنجلترا والجرار التي كانت تستعمل لحفظ الموتى في هانوفر، وقد نشر اكتشافه ذلك في عام ١٨٥٦م. وفي العام التالي تم اكتشاف كوخ أنجلو ساكسوني في مقاطعة أكسفورد، وهكذا شهد العقد السادس من القرن الماضي ميلاد علم الآثار الأنجلو ساكسوني.

بدأ جوزيف دبروفسكي (١٧٥٣ - ١٨٢٩) Joseph Dubrovsky في عام ١٧٨١ دراسة لعادات الدفن عند السلافين القدماء محاولاً وضع تلك المخلفات في إطارها التاريخي. كان من أوائل الأثاريين في العالم الذين ألحوا على استخدام طرق علم آثار ما قبل التاريخ ووسائله في المصادر المكتوبة، وكان قد سمى معثوراته الأثرية «الدليل الناطق». أعد كذلك بياناً بحفريات عام ١٨٠٣م لقبور تعود للعصر الحديدي بالقرب من لوخونيس في بوهيميا، وكانت تلك هي أول حفريات علمية تتم وتنشر في ما كان يعرف بتشكوسلوفاكيا.

أمريكا:

تطرقنا في الفصل الأول لاهتمام الجمعية الفلسفية الأمريكية بالآثار وإلى المنشور الذي أصدره توماس جفرسون رئيس الولايات المتحدة في عام ١٧٩٩م. في عام ١٨١٢م أنشأ الناشر إيسايا توماس Isaiah Thomas الجمعية الأمريكية للآثار في ماسشوست وكانت الأولى من نوعها في العالم الجديد، وكان هدفها هو: «... جمع آثار بلادنا وعرضها إلى جانب المعثورات الفنية والطبيعية النادرة القيمة التي تسعى إلى توسيع مجال المعرفة الإنسانية... وتحسين وإرشاد النشء». عقدت الجمعية أول اجتماع لها في بوسطن حيث أنشأت مكتبة

وجمعت مواد للمتحف وخططت وشجعت الأبحاث، وفي عام ١٩٢٠م صدر أول مجلد للجمعية تحت اسم مداولات Transactions وقد تضمن مقالاً لكالب أتوتر (١٧٧٨ - ١٨٦٧م) Caleb Atwater بعنوان: «وصف الآثار التي اكتشفت في ولاية أوهايو وولايات غربية أخرى» وفيه وصف السكاتب عدة مقابر بالقرب من مدينته سيركلفيل في أوهايو والمناطق المجاورة لها ودعم ذلك بالرسومات.

لم يكن الوصف الذي قدمه ولا ملاحظاته عن تلك القبور بالشيء المفيد^(١) مثل فائدة عمله المساحي؛ قسم تلك المقابر فترات ثلاث أحدثها تلك التي تخص الأوروبيين المحدثين، تسبقها تلك التلال التي تخص الهنود الأمريكيين المحدثين، أما أقدمها فهي التي أقامها بناء التلال الذين عبروا من الهند في طريقهم للمكسيك.

في عام ١٨١٧م نشر دكتور جيمس ماكلو James McCulloh الابن الذي لم يقم بأية حفريات كتابه أبحاث في أمريكا Researches in America وفي عام ١٨٢٩م نشر أبحاث فلسفية وآثارية تتعلق بتاريخ الأمريكيين البدائيين Researches Philosophical and Antiquarian Concerning the Aboriginal History of America نفى من خلالها مزاعم أتوتر عن بناء التلال قائلاً: «إن تلك التلال قد بناها الهنود الأمريكيون»، وقد كان محقاً.

في عام ١٨٤٨م نشر الصحفي ب. غ. اسكوير E. G. Squier والطبيب

(١) لعله من الإنصاف القول: إن الجزء الأول من هذا المؤلف الذي يحوي وصفاً لتلك الآثار كان دقيقاً رائعاً للحد الذي جعل البعض يرى أن أتوتر هو الثاني بعد جفرسون بين آثاربي تلك الفترة؛ إلا أن الجزء الثاني من الكتاب الخاص باستنتاجاته لم يكن موفقاً. (المترجم).

ب. هـ. ديفس E. H. Davis وكلاهما من أوهايو كتاباً بعنوان الآثار القديمة لواء المسيسيبي *The Ancient Monuments of the Mississippi Valley* بعد أن قاما بمسح عدد كبير من المواقع وحفرا بعضها، كما نشرا مقطعاً عن أحد هذه المدافن الذي نقب بواسطة مالك الأرض التي يقع عليها وهو أبلارد تملنسون Abelard B Tomlinson في عام ١٨٣٨م. كان الكتاب مزيجاً من أعمالهما وأعمال آخرين، وكانت نبؤاتهم قاصرة، إلا أنهم كانوا من المؤمنين بنظرية شعب بناء التلال مؤكدين أن الهنود الأمريكيين وأسلافهم لم يكونوا قادرين على بناء هذه التلال.

ادعى تملنسون أنه عثر في المدفن على لوح من الحجر الرملي عليه نقوش كتابة غير معروفة الأبجدية، وحين قام الجيولوجي وعالم الإثنوغرافيا هنري راوسكولكرافت Henry Rowe Schoolcraft بدراسة هذه المعثورات وغيرها أعلن أن: «هناك القليل مما يثبت الاعتقاد أن هذه الأعمال تخص قبائل ذات خصائص حضارية راسخة ورفيعة. . من أصول آسيوية أو أوربية» وهي كما يراها: «مخلفات بربرية وليس مدنية». وجدت أفكاره هذه القليل من الاهتمام وبقيت حبيسة في مؤلفه ذي ست المجلدات الموسوم بـ معلومات تاريخية وإحصائية تخص تاريخ القبائل الهندية في الولايات المتحدة وأحوالها (١٨٥١ -

Historical and Statistical Information Respecting the History Condition and Prospects of the Indian Tribes of the United States.

أصبح صمويل هيفن Samuel Haven أميناً لمكتبة الجمعية الآثارية الأمريكية في عام ١٨٣٧م وهو المنصب الذي ظل يعمل فيه حتى وفاته. في عام ١٨٥٦م نشر كتابه آثار الولايات المتحدة. . . *The Archaeology of the United States or Sketches Historical and Bibliographical of the Progress of In-*

formation and Opinion Respecting Vestiges of Antiquity in the United

States وقد وصف ويلبي Willey وسابلوف Sabloff هذا الكتاب بأنه: «نموذج للوصف والمناقشة المنطقية»^(١) (A History of American Archaeology, 1974, 47)

يقول هيفن: «يجب أن نقف حيث يتوقف الدليل... ويجب ألا نقدم أي تخمينات عن الجهة التي قدم منها الأمريكيون الأوائل أو عن المصدر الذي انبثقت عنه حضارتهم». إلا أنه ذكر أن الأمريكيين القدماء هم على أية حال أصحاب حضارة عريقة وأن: «خواصهم المميزة تجدد شبيهاً عند الآسيويين الأوائل، وأن قناة الاتصال التي تدفقوا عبرها إلى هذه البلاد قد حددت».

نشر كتاب هيفن الذي وضع حجر الأساس لعلم الآثار الأمريكي الحديث بواسطة معهد الأسمثنيان. كان جيمس اسمثون الثري البريطاني غريب الأطوار الذي لم يزر الولايات المتحدة في حياته ولم يبد أدنى اهتمام بها قد ترك مبلغاً (بناء على رغبة ابن أخيه) يفوق خمسمئة ألف دولار لإنشاء معهد في واشنطن «لزيادة المعرفة ونشرها بين البشر». ويعد المعهد الأسمثوني اليوم الذي تم افتتاحه في عام ١٨٤٦م أحد أكبر مراكز البحوث في العالم.

بعد ذلك بقليل وفي عام ١٨٦٦م قام رجل البر الثري الأمريكي جورج بيبودي George Peabody الذي كان يعيش في لندن بإنشاء متحف بيبودي للآثار والأثنولوجيا في هارفارد. كان لبيبودي ابن أخ يدعى أثيل مارش Oth-niel Marsh أصبح مولعاً بالآثار الأمريكية بعد أن قرأ كتاب شارلس لايل قدم الإنسان The Antiquity of Man وحين التقى لايل حثه الأخير على البحث في الآثار الأمريكية وقد فعل ذلك. وحين كان يجري حفريات في أحد التلال

(١) «مقارنة بالأعمال المشابهة التي تمت في تلك الفترة». (المترجم).

بالقرب من نيوارك في أوهايو خطرت له فكرة إقناع عمه بإنشاء متحف للآثار والأثنولوجيا، ولم يكن جورج بيودي في حاجة إلى جهد كبير ليقتنع بالفكرة. لقد كان - ولا يزال - للمعهد الأسمثوني في واشنطن ومتحف بيودي في هارفارد دور كبير في تطور الأبحاث الأثرية في أمريكا.

حين كان الجدل على أشده حول بناء التلال في أمريكا الشمالية لم يشهد حقل الآثار في أمريكا الوسطى تقدماً يذكر، إلا أنه وفي عام ١٨٠٤م أرسل شارلس الرابع ملك أسبانيا رجلاً فرنسياً يدعى جيليرمو دوبي -Guillermo Du- paix لفحص خرائب قديمة في المكسيك ترجع إلى حقبة ما قبل الغزو الأوربي. أنهى جيليرمو مهمته إلا أن تقاريره تركت في مدينة المكسيك دون دراسة. قام آثاريون آخرون ورحالة ومكتشفون من أمثال جون جالندو John Galindo الأيرلندي المولد الجواتيمالي الجنسية وجان فردريك والديك Jean Frederic Waldec بمحاولات للفت نظر العالم إلى مواقع مثل بالنك وغيره. ونشر كتاب والديك في باريس في عام ١٨٣٨م تحت عنوان رحلة رائعة/ طبيعية وآثرية في إقليم يوكاتان مابين السنوات ١٨٣٤ و ١٨٣٦ Voyage pittoresque et archéologique dans al Province d'Yucatan pendant les années 1834. et,1836.

لقد أثار الرحالة الأول الحماس في دوائر المتعلمين، وقد نظمت بعثتان علميتان الأولى نظمت محلياً في هندوراس بواسطة ضابط هو النقيب جون كادي John Caddy، وأحد رجال الخدمة المدنية باتريك وكر Patrick Walker، فأصدرا أول تقرير علمي عن بالنك طواه النسيان حتى أعيد اكتشافه منذ وقت قريب. وعلى أي حال فقد طغت على هذه البعثة أعمال بعثة أخرى قادها غاذروود Gatherwood واستيفتر Stephens بدعم من حكومة الولايات

المتحدة. كان جون لويد استيفنز (١٨٠٥ - ١٨٥٢) المحامي الأمريكي قد قام من قبل برحلة في العالم القديم زار خلالها مصر وفلسطين ونشر في عام ١٨٣٧م كتابه أحداث في رحلة في بلاد العرب البثرائية **Incidents of Travel in Arabia Petraea**. أما فردريك غاذروود فهو رسام ومعماري إنجليزي، بدأت رحلتها من بليز في عام ١٨٣٩م ونشرا تفاصيلها في أحداث في رحلة في أمريكا الوسطى، شيباس ويوكاتان (١٨٤١) **Incidents of Travel in Central America, Cheapas and Yucatan** وكذلك في أحداث في رحلة في يوكاتان **In-cidents of Travel in Yucatan**. هذه الكتب التي تضمنت رسومات رائعة لغاذروود جذبت المزيد من الاهتمام بآثار أمريكا الوسطى.

على أن الأعمال التي قام بها استيفنز وغاذروود كانت أعمالاً وصفية؛ إلا أنه تأكد لهما أن المخطفات التي درسها هي من وحي الهنود المحليين وتنفيذهم، كتب استيفنز يقول: «ليس لدينا ما يبرر العودة للأمم العالم القديم للبحث عن بناء هذه المدن، إذ إنها ليست من عمل أناس طواهم الزمن وضاع تاريخهم، إن هناك أسباباً قوية تدعونا للاعتقاد بأنها من صنع جماعات من أصل الجماعات نفسها التي كانت موجودة عند وقوع الغزو الأسباني أو هي لأسلاف ليسوا بعدين عنهم».

سبقت الإشارة إلى دانيال ولسون (١٨١٦ - ١٨٩٢م) الذي يعد كتابه الآثار وحوليات ما قبل التاريخ في أسكتلندا (١٨٥١) **The Archaeology and Pre-historic Annals of Scotland** أول محاولة كبيرة لتطبيق نظام العصور الثلاثة الأسكتلندي في بريطانيا. كان ولسون أحد أولئك الذين أنتجتهم حركة التنوير الأسكتلندية، وقد هاجر إلى كندا وأصبح أول مدير لجامعة تورنتو. وقد كان له تأثير كبير على تطور علم الآثار والأنثروبولوجيا في كندا وأمريكا الشمالية

بوجه عام، وقد أصدر في عام ١٨٦٢م إنسان ما قبل التاريخ: أبحاث في أصل المدنية في العالمين القديم والجديد **Prelistonic Man: Researches into the origin of Civilization in the Old and New Worlds**، وفيه أيد الرأي القائل بالتطور المستقل الموازي الذي ينتج عن الوحدة النفسية عند البشر، وهو موقف مشابه لما طرحه لويس مورغن في وقت لاحق.

الهند وآسيا:

في القرن السابع عشر كتب بعض الرحالة الأوروبيين عن الآثار الهندية، إلا أن علم الآثار الهندية بدأ فعلياً بإنشاء «جمعية البنغال الآسيوية» في كلكتا في عام ١٧٨٤م. تم ذلك على يدي السير وليام جونز (١٧٤٦ - ١٧٩٤) William Jones الصديق لصمويل جونسون Samwel Johnson الذي ذهب لكلكتا قاضياً للمحكمة العليا في عام ١٧٨٣م. كانت غاية الجمعية هي: «البحث في تاريخ الآثار والفنون والعلوم والآداب الآسيوية»، وقد أنشأت متحفاً خاصاً بها في عام ١٨١٤م وقامت بإصدار مجلتها أبحاث أثرية **Archaeological Researches** في عام ١٧٨٨م.

في عام ١٧٩٠م عثر على عملات رومانية بالقرب من نيلُور إلى الشمال من مدراس. كتب الإسكندر ديفدسون Alexander Davidson حاكم مدراس إلى الجمعية الآسيوية يقول: «إن محراث أحد الفلاحين قد اصطدم بمبانٍ من الطوب، وعند الحفر كشف عن بقايا معبد هندوسي عثر في أسفله على جرة فخارية وعملات رومانية وميداليات ترجع إلى القرن الثاني».

أبدى جيمس برنسب (١٧٩٩ - ١٨٤٠) James Prinsep اهتماماً بالغاً بالآثار

الهندية وعمل لسعدة سنوات مقررأ للجمعية الآسيوية، وقد كان مقربأ من الجنرال الإسكندر كتنغهام Alexander Cunningham الذي أنشأ دائرة المسح الأثري الهندية في عام ١٨٦١م.

في عام ١٨٢٣م عثر بابنغتون Babington على أدوات حديدية في مدافن ميغاليشية في ملابار. وفي عام ١٨٤٥م نشر جيمس فيرجسون James Fergusen الذي كان يعمل بزراعة النيلة كتابه المعابد الصخرية في الهند Rock-cut Temples of india. وكان هذا بداية لاهتماماته الأثرية والمعمارية التي أدت إلى كتابه تاريخ العمارة (١٨٦٥ - ١٨٦٧) History of Architecture وكتابيه المباني الحجرية البدائية في كل الأقطار: عمرها ووظائفها (١٨٧٢) Rude Stone Monuments in all Countries: Their Age and Uses وكان ذلك أول مسح عام للعمارة الميغاليشية.

أما ما قبل التاريخ في الهند فقد بدأت المعرفة به في عام ١٨٦٣م حين عثر روبرت بروس فوت Robert Bruce Foote في مدراس على أدوات حجرية ترجع إلى العصر الحجري القديم.

علم الآثار في عام ١٨٦٧م :

لعل عام ١٨٦٧م هو تاريخ مناسب لإنهاء هذا الفصل الذي أرّخ لبعض الأحداث في علم الآثار منذ أواخر القرن الثامن عشر حين بعث جون فريير بفوؤسه الأشولية من هوكسن إلى لندن راعماً أنها ترجع إلى: «فترة موغلة في القدم، أقدم من عالمنا المعاصر»، وحين بدأت مجموعة العلماء الذين أتى بهم نابليون عملهم في الآثار المصرية شهدت السبعون عاماً الممتدة من ١٧٩٧م وحتى ١٨٦٧م ميلاد علم الجيولوجيا الحديثة وقبول فكرة قدم للإنسان وتبني نموذج نظام العصور الثلاثة الدنماركي المعدل بواسطة لوبك إلى نظام العصور الأربعة.

كان عام ١٨٥٩م هو عام الإنجاز كما يطلق عليه عادة، فقد شهد إلى جانب القبول بفكرة قدم الإنسان^(١) صدور كتاب شارلس داروين Charles Darwin **أصل الأنواع The Origin of Species by Means of Natural Setection or the Preservation of Favoured Races in the Struggle for Life**

كانت قراءة كتاب لايل مبادئ الجيولوجيا هي التي أوحى إلى داروين بنظرية العامة للتطور، تماماً كما كانت قراءة مقال مالتس Malthus «مقال عن السكان» Essay on Population قد أوحى له بأفكاره عن الصراع من أجل البقاء والبقاء للأصلح.

كثيراً ما قيل: إن أصل الأنواع كان له أثر عميق في تطور علم الآثار. في البدء لم يعبر داروين عن رأيه حول تأثير نظريته على موضوع أصل الإنسان، ولم يتطرق في ذلك الكتاب لتشابه في التركيب الفيزيقي بين الإنسان والرئيسيات سوى ذكره أن قبول نظريته يوحي: «بالقاء المزيد من الضوء على أصل الإنسان وتاريخه». إن الباحث الذي أدخل الدارونية في دراسة الإنسان هو ت. هـ. هكسلي (١٨٢٥ - ١٨٩٥) T. H. Huxley «مرافق داروين» كما كان يرى نفسه. نشر هكسلي كتابه مكان الإنسان في الطبيعة Man's Place in Nature في عام ١٨٦٣م. بعد ذلك قدم داروين امتداداً لنظريته لتشمل الإنسان ونشر كتابه أصل الإنسان (١٨٧١) The Descent of Man وكذلك نشر كتابه التعبير عن العواطف لدى الإنسان والحيوان Expression of emotions in Man and Animals في عام ١٨٧٢م. وحين هدأ غبار المعركة بين القائلين بالتطور والمعارضين له وقبلت الدارونية على نطاق واسع؛ كان من الطبيعي أن تقود

(١) يرمي المؤلف إلى اجتماع الجمعية الملكية في لندن في ٢٦ / ٥ / ١٨٥٩م. (المترجم).

نظرية التطور العضوي إلى تهيئة الناس لقبول فكرة قدم الإنسان. لقد أصبحت الفؤوس الحجرية الخشنة الصنع من السوم وسفوك ليست مقبولة فحسب، وإنما أمراً ضرورياً وكذلك الحال بالنسبة لإنسان نياندرتال.

إن المعرض الضخم الذي أقيم في لندن في عام ١٨٥١م لم يحو مخلفات أثرية ولم يكن هناك سبب لذلك، لقد كانت الغاية منه هو عرض التقدم المادي الذي تم خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، والكشف عن إمكانية توقع المزيد من التقدم. إلا أن مخططي معرض باريس الذي أقيم في عام ١٨٦٧م رأوا أن يجمعوا بين النظرة إلى المستقبل والماضي، فعرضوا مواد من حقبة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ. تضمنت المجموعة الفرنسية لما قبل التاريخ أدوات من أورينياك وليزابزي إلى جانب رسومات صخرية ومواد ميغاليثية من بريتون^(١) وأخرى من قرى البحيرات في لوبورجية Lac du Bourget. أعد غابريل دو مورتييه دليلاً مرشداً للمعرض سماه جولة فيما قبل التاريخ في المعرض الدولي (١٨٦٧) - Promenades prehistoriques à L'Exposition Universelle وذكر في خاتمته أن هناك ثلاثة حقائق قد برزت نتاجاً للدراسات العلمية فيما قبل التاريخ، وقد طبعها بأحرف بارزة:

قانون تطور الإنسانية .

قانون التطور المشابه .

القدم البعيد للإنسان .

قام ماريت بتنظيم عرض القطع المصرية في معرض باريس وقد نال عرض المجوهرات إعجاب الإمبراطورة يوجيني Eugénie للحد الذي كتبت فيه

(١) بريتون مقاطعة في شمال غرب فرنسا. (المترجم).

للخديوي إسماعيل تقول: «إنها ستسعد كثيراً بتقبل المجموعة الكاملة هدية منه!». اندهش الخديوي لهذا الطلب ولكنه في الوقت نفسه كان يسعى لإرضاء فرنسا، وكعادته فقد كان يفتقر إلى الإمكانيات المادية. وافق على الطلب مشروطاً بموافقة ماريت، وأخبر مندوب الإمبراطورة أن: «هناك شخصاً في بولاق أكثر نفوذاً مني، عليكم مخاطبته». ذهب المندوب مندهشاً ليقابل برفض صارم من ماريت، وهكذا عادت مجموعة الآثار المصرية سالمة من باريس إلى بولاق.

كانت هذه لحظة عظيمة بالنسبة لعلم الآثار تماماً كما كان حضور علم الآثار في معرض باريس. بعد ذلك بأربع سنوات كتب ي. ب. تايلر E. B. Tylor في كتابه الثقافة البدائية (1871) **Primitive Culture**: «لقد اتخذ التاريخ وما قبل التاريخ مكانهما في مجال المعرفة» كان تفاؤله رائداً عن الحداثة، إذ إن البعض مازال يرى - وبعد مرور قرن أو يزيد على ذلك - أن علم الآثار لم يأخذ مكانه المناسب في مجال المعرفة، إلا أنه على أية حال قد بلغ رشده بحلول عام 1867م.

الفصل الثالث المنقبون والمسنكشفون (١٨٦٨-١٩١٤م)

العصر الحجري القديم وفنونه :

إن القبول بأصالة فنون العصر الحجري القديم بعد مقال لارتيه وكورستي بعنوان كهوف بريغورد Les cavernes du Périgord الذي نشر في عام ١٨٦٤م؛ لم يكن مباشراً ولم يقبل على نطاق واسع. غير أن فارسيه أعلن في مؤتمر الآثار الذي عُقد بمدينة كوبنهاجن في عام ١٨٦٩م قبوله بحقيقة فنون شافو Chaffaud، وإثر ذلك أصبحت فنون العصر الحجري حقيقة مُسلماً بها في تاريخ البشرية، إلا أنها حقيقة مثيرة للدهشة.

بعد ذلك بستة أعوام بدأ الإسباني مارسيلينو دي ساوتولا Marcellino de Sautoula حفريات في كهف الظميرا^(١) Altamira بالقرب من سانتاندر San-tander، وعثر على رسومات باللون الأسود على ظهر الكهف، وزعم أن هذه الرسومات ترجع إلى الفترة نفسها التي تعود إليها مخلفات من العصر الحجري في الكهف ذاته. بعد ذلك بأربع سنوات كانت ابنته - وهي في الخامسة من

(١) يقع كهف الظميرا في شمال شرق إسبانيا، ويحوي مجموعة رائعة من الرسومات الصخرية التي تخص الثقافة الماجدلينية (حوالي ١٥٠٠٠ ق.م. - ٨٠٠٠ ق.م.) إحدى ثقافات العصر الحجري القديم الأعلى. (المترجم).

عمرها - قد سئمت من متابعة تنقيبات والدها فذهبت تتجول في أعماق الكهف التي لم يصلها والدها من قبل لصعوبة الدخول إليها، وهناك وتحت وميض متقطع من مصباح كانت تحمله رأت على سقف الكهف الداخلي الرسومات المشهورة اليوم واضحة باهرةً بألوانها المتعددة الزاهية، من ثيران وبايسون وخنازير برية؛ فهرعت إلى الخارج لإخطار والدها بما رأت صائحة «ثيران!، ثيران! تعال يا أبي لتشاهد الثيران!» زحف والدها داخلاً ليرى تلك الرسومات الرائعة، وأعلن اكتشافه للعالم في حينه. في تلك الأثناء عثر شيرون Chiron على رسومات في عام ١٨٧٨م على جدران شابو Chabot في ألارديشي L'Ar-deche وزعم أنها تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى.

قادت هذه الاكتشافات والمزاعم إلى الكثير من الجدل في أوساط أثاريي ما قبل التاريخ. فرأى البعض أنها غير حقيقية أو أنها على أحسن الفروض ترجع إلى عهد الغال والرومان، في حين آمن البعض الآخر بحقيقتها وقدمها. وفي عام ١٨٧٧ قبل غبرائيل دو مورتية حقيقة فن الكهوف معلناً: «أن هذه هي طفولة الفن وليست هي فن الطفولة». وبعد ذلك بعشر سنوات أعلن أدوار بيت Edouard Piette عن صحة هذه الرسومات وأنها تعود للحضارة الماجدلينية، وقبل بحقيقتها في مؤلفه ذوات الحوافر من العصر الجيولوجي الرابع بناءً على التصاوير المنحوتة في هذا العصر^(١) Equides de la Periode quaternaire d'apres les Gravures de ce Temps ، إلا أن أميل كارتيلاك Emile Cartailhac في كتابه فرنسا ما قبل التاريخ La France Prehistorique وسالومون رايناخ Salomon Reinach في كتابه الترسبات والكهوف Alluvions et Cavernes اللذين نشر في

(١) العصر الجيولوجي الرابع Quaternary بدأ منذ حوالي ٣ مليون سنة ولا يزال، ويشمل حقبتَي البلايستوسين (العصر الجليدي) الذي انتهى منذ ١٢ ألف سنة وحقبة الهولوسين (العصر المطير). (المترجم).

عام ١٨٨٩م قاما بإثارة الكثير من الشكوك والتحفظات، ورفضاً كون تلك الرسومات تعود إلى العصر الحجري. وفي عام ١٨٩٥م اكتشف بيرميرو Ber-toumeyrou وزوجته بعض الرسومات على جدران كهف لاموت La Mouthe بالقرب من ليزايزي Les Eyzies، وفي العام التالي قام أميل ريفير Revière بتنقيب كامل في لاموت. لقد كانت مخلفات العصر الحجري القديم والحديث تسد مدخل الكهف قبل أن تبدأ الحفريات. وفي الداخل عثر على لوحات ورسومات من بينها لوحة الكوخ الشهيرة التي تؤرخ للعصر الحجري القديم، ومن هنا نبعت أهمية لاموت في تاريخ علم الآثار. فبما أن اللوحات قد تم اكتشافها فقط بعد إزالة ركام المخلفات الحضارية الأخرى؛ أيقن ريفير أنها إما معاصرة لاستيطان العصر الحجري القديم في الكهف أو أنها أقدم منه. وهذا هو ما أكدته ريفير في كتاباته لأكاديمية العلوم الفرنسية في عام ١٨٩٦م. لقد اقتنعت مجموعة الآثاريين والجيولوجيين الذين زاروا لاموت بصحة هذه اللوحات والنقوش وبوجود فن الكهوف في العصر الحجري القديم الأعلى.

في هذه الأثناء كان فرانسوا دالو Francois Daleau يقوم بالتنقيب في كهف بر - نو - بر في الجيروندي Gironde على بعد اثنين وستين ميلاً إلى الغرب من ليزايزي حيث شاهد في عام ١٨٨٣م رسوماً على جدار الكهف، إلا أنه لم يعرها اهتماماً، لكنه حين سمع باكتشافات لاموت قام بغسل الجدران بسائل واستطاع على أثر ذلك أن يتبين رسومات لاثني عشر حيواناً كان يغطيها ركام مخلفات المستوطن الذي يرجع إلى العصر الحجري القديم الأعلى.

كان الأب بروي Abbe Breuil في هذه الأثناء شاباً في الثالثة والعشرين، وذلك قبل أن يصبح عميداً لعلماء العصر الحجري وأكبر مرجع في فنون العصر الحجري. قام بروي بزيارة لاموت في عام ١٩٠٠م، ولاحظ أن فنون بر-نو-بر

مطابقة من حيث الأسلوب لتلك التي عرفت من لاموت، وأن الدلائل من لاموت لا تترك مجالاً للشك في صحة رجوع تلك الرسومات للعصر الحجري القديم الأعلى، وقد نشرت النسخ التي أعدها لتلك الرسومات في النشرة العلمية *Revue Scientifique* في عام ١٩٠١م.

وأخذت الأمور تسير في اتجاه معاكس؛ ففي تلك السنة نفسها ١٩٠١م ذكر أحد الرجال الذين عملوا مع ريفيير في كهف لاموت أنه شاهد رسومات مشابهة في مكان مجاور. وفي ٨ سبتمبر قام كل من كابتان Capitan وبيروني Peyrony وبروي بزيارة للكهف الشهير في الكومبارل Les Combarelles وشاهدوا الرسومات. وفي ١٥ سبتمبر من العام نفسه اكتشف بيروني لوحات جدارية في كهف فو دو غوم Font de Gaume على مسافة تقل عن الميل الواحد عن الكومبارل.

وفي جلسة للجمعية الفرنسية لتطوير العلوم Association Francaise pour L'avancement des sciences عقدت في مونتوبان في عام ١٩٠٢م نوقشت اكتشافات الكومبارل وفو دو غوم، ولكن غالبية الحاضرين من الآثاريين رفضوا الاعتراف بها، وكان الحال كذلك بالنسبة لأطميرا ولاموت وبر - نو - بر إلا أن رحلة جماعية نظمت إلى ليزايزي قادت إلى إقناعهم في النهاية.

في كتاب أربعمئة قرن من فن الكهوف (١٩٥٢) *Four Hundred Centures of Cave Art* نشر بروي صورة لتلك الرحلة الجماعية للجمعية الفرنسية لتطوير العلوم لكهف لاموت في ١٢ أغسطس ١٩٠٢م، والصورة تظهر كل من ريفيير وبيروني وكارتيلاك كارتيللا وأدرين دوموتيسيه ودالو والأب بروي، كان بروي محققاً في زعمه: «أنها وثيقة تاريخية لأنها تؤرخ لليوم الذي اعترف فيه العالم العلمي بالفنون الجدارية لكهوف عصر الرندير».

لم يصدق كارتيلاك الذي كان يعمل أستاذاً بتولوز وعميد آثاري ماقبل التاريخ الفرنسيين برسومات الطميرا ولم يتشكك في كونها رسومات حديثة، لذا لم يكلف نفسه عناء النظر إليها بعد إعلان اكتشافها، إلا أنه بعد اكتشاف لاموت وبر - نو - بر وفو دو غوم ولو كومبارل تبين له خطؤه وتحقق من التطابق بين فنون فو دو غوم والطميرا. وحينما اصطحب معه الشاب بروي لزيارة الطميرا أصيبا بالدهشة وعاد بروي وهو محمل بأعداد من نسخ الرسومات الملونة التي شاهدها. ونشر كارتيلاك مقاله الشهير بعنوان الكهوف المزينة بالرسومات: مغارة الطميرا، واعتراف منكر **Les Cavernes Ornées de des-** **sins: La grotte d'Altamira Mea culpa d'un Sceptique** نشر المقال في مجلة أنثروبولوجيا في عام ١٩٠٢م، وفيه عبّر عن تحوله إلى الإيمان بفن الكهوف. ومن هنا فصاعداً عد فن العصر الحجري سواء أكان من الملاجىء الصخرية أم الكهوف أول دليل - أو على الأقل أول دليل بين أيدينا - على الإيضاحات الفنية للجنس البشري.

في عام ١٩٠٦م تم اكتشاف نيو، وفي العالم التالي نشر بيت مؤلفه الفن في عصر الرندير **L'Art Pendant L'Age du Renne**. وكان أمير موناكو مهتماً بهذه الاكتشافات الحديثة المثيرة، حيث أنشأ في باريس معهد دراسات باليونتولوجيا الإنسان **Institut de Paléontologie Humaine**، كما تكفل بتمويل سلسلة هائلة من المجلدات التي تصف فنون العصر الحجري القديم في الكهوف، نشر أول هذه المجلدات في عام ١٩١٠م تحت عنوان كهف فو دو غوم **La Caverne de Font de Gaume** وقد قام بإعداده كل من بروي وكابتان ويروني.

كذلك حدث تحول فيما يخص محتويات الملاجىء الصخرية، ففي عام ١٨٩٢م عثر على تمثال عاجي مكسور لآنتى في براسمبوي في جنوب غرب

فرنسا، كما عثر على المزيد من تماثيل فينوس، أهمها ذلك الذي عثر عليه في فلندورف في النمسا. لقد ترسّخ فن العصر الحجري للحد الذي جعل رايناخ ينشر في عام ١٩١٣م كتابه كتلوج فنون العصر الجيولوجي الرابع *épertoire de L'Art Quaternaire*.

في عام ١٩١٢م اكتشف الأخوة بغوين Begouen كهف لونوك دو أدوير في البرنيس، وقد استوجب الوصول إلى مجسمين لثور من الطين إزالة اثنين من الأعمدة الكنسية.

في هذه الفترة أصبح معروفاً أن إنسان العصر الحجري لم يكن فناً فحسب، بل كان يحمل أفكاراً عن الموت والحياة الآخرة. ففي عام ١٨٦٨م عثر عمال كانوا يحفرون في ليزايزي لرصف خط السكة الحديدية الذي يمر من بيرغسو إلى آجن على أدوات حجرية وعظام حيوانات ومخلفات بشرية في الملجأ الصخري المعروف بكروماغنون (ويقال: إنه المكان الذي يحتله اليوم موقف السيارات الخاص بفندق كروماغنون)، قام لويس ابن أدوار لارتييه بالتنقيب في الملجأ الصخري، وفي ظهر الملجأ عثر على خمسة هياكل عظمية بشرية وإلى جانبها بعض أدوات الزينة التي تحوي أصداً مثقوبة. يمكن إضافة هذه المعثورات إلى تلك التي وُجدت في أوريناك لتؤكد ممارسة عادة الدفن في العصر الحجري القديم الأعلى. أما مقبرة العصر الحجري القديم الأعلى التي وجدها بكلاند في بافلاند فقد أرخت وقتها للفترة الرومانية/البريطانية. وتوالت بعد ذلك اكتشافات عدد من مدافن العصر الحجري القديم الأعلى. ففي عام ١٨٧٢ بدأ ريفير التنقيب في الكهوف التسعة في غريمالدي^(١) أو باوسي روسي بالقرب من منتون، وجد ريفير في الكهف الرابع المسمى بغروت دو كافيون

(١) غريمالدي موقع على ساحل البحر المتوسط عند الحدود الفرنسية الإيطالية. (المترجم).

هيكلاً عظيماً مغطى بمسحوق الهيماتيت، وكانت الجمجمة مزينة بنحو مئتي قطعة من الصدف المثقوب واثنين وعشرين من أنياب الغزال المثقوبة أيضاً. وفي عام ١٨٧٤ / ١٨٧٥ م وجد ريفير في الكهف (ماعرف فيما بعد بمقبرة الأطفال) هيكلين لطفلين ومعهما أدوات حجرية وبقايا حزامين في منطقة الوسط من الهيكل، يحويان أكثر من ألف صدفة مثقوبة.

لم يكن أمام المشككين منذ أمد طويل إلا أن يصلوا إلى قناعة بأن إنسان العصر الحجري القديم الأعلى لم يكن فناً فحسب، بل كان لديه ربما ما يمكن تسميته بمعتقدات دينية.

في هذه الفترة تعرضت تقسيمات العصر الحجري إلى عدة تعديلات وطورت أكثر من مرة أثناء هذه الفترة لتبلغ ذروتها في مقالة بروي أقسام العصر الحجري القديم الأعلى ودلالاتها **Les Subdivisions du Paleolithique Supérieur et leur Signification** التي ظهرت في عام ١٩١٢ م. ظهرت مشكلة إنسان العصر الجيولوجي الثالث (أي الفترة التي سبقت العصر الجيولوجي الرابع) وذلك في عام ١٨٦٣ م حينما عثر ج. دينوايه على عظام متحجرة عليها بعض الخطوط في سان برست بالقرب من شارتر، في طبقات ترجع إلى العصر البلايوسيني^(١).

وفي عام ١٨٦٧ م عثر الأب بورجوا على ما ادعى أنها أدوات حجرية من العصر البلايوسيني في موقع سان برست وأخرى من العصر المايوسيني^(٢) في تيناي (لوار - أي - شر). هذه وغيرها من المعثورات التي ادعى أنها تؤكد وجود

(١) عصر مناخي ساد خلال الفترة من ١٢-٣٥ مليون وهو آخر حقبة العصر الجيولوجي الثالث. (المترجم).

(٢) عصر مناخي يغطي الفترة بين ٢٥-١٢ مليون سنة. (المترجم).

إنسان أثناء العصر الجيولوجي الثالث^(١) وصفت بأنها أدوات حجرية بدائية تمثل فجر الصناعة الحجرية، وقد أثارت هذه جدلاً ظل محتدماً لفترة طويلة حول صحة هذه الأدوات. ولعل الأعمال الأثرية التي تمت خلال العقدين الأخيرين في تنزانيا وكينيا وأثيوبيا التي كشفت عن مخلفات قديمة؛ لا تدع مجالاً للشك في وجود الإنسان في العصر الجيولوجي الثالث، أما عن استعمال الإنسان لتلك الأدوات التي سميت في فرنسا بفجر الصناعة فسيبقى محل تساؤل. لقد أفرد دو مورتيه حقبة لهذه الأدوات سماها الترتياريّة أو الإيوليثية ووضعها في أول جدول له لقب ما قبل التاريخ.

كانت هناك مناقشات عديدة حول تلك المخلفات التي ترجع إلى نهاية العصر الحجري القديم أو بداية العصر الحجري الحديث. إن نظام العصور الثلاثة الدنماركي الذي عدّه لوبك إلى نظام عصور أربعة يظهر فجوة واضحة بين العصر الحجري القديم والحديث. وقد أصبحت هذه حقيقة يعمل بها في الدراسات الأوروبية في هذا المجال. فالصيادون الماجدليونيون^(٢) في العصر الحجري القديم الأعلى كان يفترض أنهم تتبعوا الرندير المتراجع شمالاً، وأن حضارة العصر الحجري الحديث بفوؤسها المصقولة وحيواناتها المستأنسة ومعرفتها بالزراعة وصناعة الفخار قد جاءت من آسيا إلى أوروبا غير المأهولة بالسكان آنذاك. وأعتقد أن الفجوة أو «الفراغ القديم» بين العصر الحجري القديم والحديث كاملة؛ إذ أشار علماء ما قبل التاريخ الفرنسيون إلى وجود طبقات

(١) ساد العصر الجيولوجي الثالث Tertiary بين ٦٨ - ٣٥ مليون سنة من وقتنا الحالي. (المترجم).

(٢) سادت الثقافة الماجدلينية في فرنسا وإسبانيا بين ١٥ - ٨ ألف ق.م. وهي تمثل قمة التطور الثقافي لثقافة العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا. تميزت الماجدلينية بأدوات مثل الحراب والخطاطيف المصنوعة من العظام والقرون واشتهرت كذلك بفنون الكهوف. (المترجم).

خالية من المعشروات في بعض المواقع بين الثقافة الماجدلينية وثقافات العصر الحجري الحديث، دليلاً جيولوجياً وبرهاناً لا يقبل الجدل على هذا الفراغ.

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر كشفت في بعض المواقع في فرنسا مخلفات تؤرخ لما بعد الماجدلينية ولكنها سابقة لثقافات العصر الحجري الحديث. كيف يمكن وضع مواقع مثل مزييل، فير - ان - تاردنوا لتجد مكاناً في نموذج لارتييه - دو مورتية للتسلسل الثقافي؟ وأين هو مكان الثقافة الأزيلية والتاردينوسية^(١)؟

بعد ذلك اقترحت فترة العصر الحجري الوسيط Mesolithic لتملأ الفراغ بين العصر الحجري القديم والحديث. خاطب هودر فستروب Hodder West-ropp المعهد الملكي للعلوم الاجتماعية في عام ١٨٦٦م (بعد عام من نشر كتاب لوبك أزمان ما قبل التاريخ Prehistoric Time) مقترحاً تقسيم تلك الفترة من ماضي الإنسان، التي استعمل فيها أدوات حجرية على عصر حجري قديم ووسيط وكينولثك Kainolithic. وقد شرح فكرته هذه في كتابه حقب ما قبل التاريخ أو مقالات أولية في آثار ما قبل التاريخ Prehistoric Phases, or Introductory Essays in Prehistoric Archaeology الذي ظهر في عام ١٨٧٢م. وقد ضمت الحقبة التي سماها العصر الحجري الوسيط أو «مرحلة الصيد» تلك المخلفات من الدوردين التي نسبها لارتييه وكروستي للعصر الحجري القديم الأعلى إلى جانب المخلفات التي وجدت في رديم طبقات المطابخ القديمة في

(١) الثقافة الأزيلية Azilion هي إحدى ثقافات العصر الحجري الوسيط في شمال إسبانيا وجنوب غرب فرنسا، ويعتقد أنها تطورت من الثقافة الماجدلينية وتتميز صناعتها بخطاطيف عظمية وتؤرخ إلى الألف التاسع ق.م. أما الثقافة التاردينوسية Tardenoisian فقد سادت في نهاية العصر الحجري الوسيط في غرب أوروبا ووسطها وتميزت بأدوات حجرية قزمية. (المترجم).

الدنمارك، كذلك أجرى مقارنة بين اقتصاد مجموعات ما قبل التاريخ الخاصة بهذه الفترة وبين اقتصاد الهنود الأمريكيين.

سرعان ما نسي الناس عبارة «كينولثك» لهودر فستروب، كما نسيها هو نفسه، أما مصطلح «العصر الحجري الوسيط» فلم يعد يستعمل. وينسب قاموس أكسفورد الإنجليزي أول استعمال لعبارة عصر حجري وسيط إلى ج. ألن براون J. Allen Brown الذي قرأ بحثاً في المعهد الملكي للدراسات الأنثروبولوجية في عام ١٨٩٢م يصف فيه بعض الأدوات الصوانية بقوله: «إلى هذه الأشكال التي يبدو أنها ترجع إلى فترة انتقالية، أود أن أطلق عبارة: "العصر الحجري الوسيط"». ومن الغريب أن الآثاريين في عام ١٨٩٢م ماعادوا يذكرون أعمال فستروب على أنه لم يمض عليها سوى عقدين من الزمان، كما أنهم لم يكونوا على علم أن أوتو تورل Otto Torell - وهو أستاذ في الجيولوجيا في جامعة لوند - قد استعمل عبارة: "العصر الحجري الوسيط" في المؤتمر العالمي للآثار والأنثروبولوجيا الذي عقد في استكهولم عام ١٨٧٤م. وعلى أية حال؛ فبنهاية القرن كانت عبارة العصر الحجري الوسيط قد توطدت، ففي عام ١٨٩٥م أثبت رسم مقطع لحفريات بيت في مدزيل^(١) أن «الفجوة القديمة» ليس لها وجود، إلا أن الوصف السليم والتقويم للعصر الحجري الوسيط بقي حتى الثلاثينيات من القرن العشرين حين نشر غراهام كلارك Grahame Clark العصر الحجري الوسيط في بريطانيا (١٩٣٢) The Mesolithic Age in Britain وكذلك مستوطنات العصر الحجري الوسيط في

شمال أوروبا (١٩٣٦) The Mesolithic Settlement of Northern Europe.

(١) مدزيل موقع على الحدود الفرنسية الإسبانية يعود إلى حقبة العصر الحجري الوسيط. (المترجم).

من جانب آخر ظل دو مورتية يقسم العصور المختلفة على حقبة مع أنه لم يتطرق إلى العصر الحجري الوسيط. ومن الأمثلة الجيدة لتقسيماته تلك يظهر جدول نشره في عام ١٨٩٧م في كتابه تكون الأمة الفرنسية *Formation de la Nation Francaise*، ففي ذلك الجدول يمثل العصر الحجري الوسيط بالثقافة التوراسية *Tourassienne* ويضع أمامها بين قوسين «الفجوة القديمة». كانت نظرة دو مورتية ورفاقه لقضية وصف المخلفات الحجرية جيولوجية بحتة، إذ كانوا يقسمون ماضي الإنسان في أزمان ماقبل التاريخ على أدوار وفترات تتميز كل منها بمجاميع معينة من الأدوات.

لقد استُنبطت تقسيمات متعددة للعصر الحجري الحديث والبرونزي والحديدي، حيث قام الآثاري السويدي أوسكار مونتليوس (١٨٤٣ - ١٩٢١) *Oscar Montelius* في كتابه أزمان ماقبل التاريخ في السويد *Les emps Pre-historiques en Suede* بتبني تقسيم رباعي للعصر الحجري الحديث في شمال أوروبا، وميز أربع فترات أعقبت فترة طبقات رديم المطابخ، أولها فترة اتسمت بالفؤوس المصقولة المدببة، وتنعدم فيها المقابر الميغاليثية، والفترة الثانية تتميز بفؤوس ذات مقابض رفيعة ومقابر (ميغاليثية فردية ذات شكل مستدير أو مخروط)، وهناك فترة ثالثة تتميز بفؤوس مصقولة ذات مقابض غليظة ومقابر ذات ممرات (مقابر ميغاليثية لها حجرات دفن يصل إليها عبر ممر)، والفترة الرابعة الأخيرة تتميز بأضرحة حجرية طويلة. لم يعط مونتليوس أسماء لهذه الفترات كما فعل لارتية ودومورتية، بل اكتفى بترقيمها فقط، وأعطى فترات العصر الحجري الحديث الأرقام من ١ إلى ٤، لقد كان هذا التصور - مقارنة بغيره - موضوعياً، إذ لم يرتبط بفترات أخذت أسماءها من مواقع في بلدان أخرى.

اقترح آثاريون إيطاليون من أمثال بغوريني Pigorini وكوليني Colini وأورسي Orsi في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عصراً إنبوليثيكياً Ene-olithic بين العصر الحجري الحديث والبرونزي. كما اقترح المجري فون بلسكي Von Pulszky الاعتراف بعصر نحاسي. كذلك ميز سير وليام وايلد William Wilde في دليل الآثار في متحف الأكاديمية الإيرلندية الملكية (دبلن ١٨٦٣) Cat- alogue of the Antiquities in the Museum of the Royal Irish Academy بين الصناعات النحاسية والبرونزية. بل واتفق مع وجهة النظر هذه عدد من الآثاريين الألمان والفرنسيين، أما شانتير Chantre الذي قام في بداية السبعينيات بإصدار عدد من المقالات يقترح فيها تقسيمات ثلاثة للعصر البرونزي، فقد نشر بحثاً بعنوان عصر البرونز L'Age du Bronze خلال الأعوام ١٨٧٥-١٨٧٦ م عد فيه العصر البرونزي عصراً متكاملأً من عصور الحضارة البشرية، سبقه عصر نحاسي.

بدأ يتضح أن نظام العصور الثلاثة الدنماركي ربما أصبح في حاجة إلى تعديل آخر يسمح بإدخال عصر نحاسي أو «انيوليثك»، إلا أن هذا لم يتم بسبب كتابات مونتليوس الذي سبق وأن أشرنا إلى تقسيماته للعصر الحجري الحديث. وقد انضم مونتليوس لدائرة الآثار السويدية وهو في العشرين من عمره وعمل في المتحف القومي السويدي لخمسين عاماً. كان له إيمان عميق بضرورة تدقيق أدوات ما قبل التاريخ ووصفها وتصنيفها للحد الذي يمكن عده مؤسس علم تصنيف ما قبل التاريخ. لقد صنف أدوات ما قبل التاريخ حسب شكلها وتصميمها وزخرفتها بدقة متناهية، ثم ركّز بعد ذلك على أهمية دراسة العلاقة بين هذه الأدوات التي وصفت وصنفت بطريقة جيدة، بعد أن أخذ في ترتيبها مرتكزاً على التغير في الشكل والتصميم والزخرف. الحق أن فكرة التصنيف

وترتيب الأدوات على أساس تطوري حسب أصنافها كان قد ابتدعها فارسيه؛ إلا أن مونتليوس طوّرها وحسّنها للحد الذي مكّنته من وضع جدول زمني لتطور الأدوات الأسكندنافية.

بعد أن قام مونتليوس برحلات مكثفة ودراسات أثرية مقارنة في كل أنحاء أوروبا وشرق المتوسط؛ اقترح تقسيمات مفصلة للعصر البرونزي أعطى كلا منها رقماً، أولها البرونز " ١ " وكان في حقيقته هو العصر النحاسي الذي اقترحه بلسكي ووايلد وهو كذلك عصر الإنيوليثك الذي اقترحه الإيطاليون. نشرت هذه المقترحات ضمن مقالات ومؤلفات خلال الأعوام ١٨٨٥ و ١٩٠٤ م. وقد ميّز خمسة حقب في العصر البرونزي لشمال أوروبا من ١ إلى ٥. وعند تطبيق نظامه هذا على إيطاليا ميّز أربع^(١) حقب بتقسيم الفترة الأولى فترتين: ١(أ) العصر النحاسي و ١(ب) العصر البرونزي المبكر. كان استعماله للأرقام لوصف الفترات - الذي ارتكز على مجموعات من الأدوات - محاولة للخروج من نظام الأدوار الفرنسي، وكان هدفه أن يدخل إلى دراسة العصرين الحجري الحديث والبرونزي نظاماً موضوعياً للتصنيف هو بالضرورة تقني - نوعي.

شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر كذلك محاولات أخرى لتصنيف العصر الحديدي وتقسيمه؛ ففي عام ١٨٧٢ م قسّم هلدبراند Hildebrand العصر الحديدي في فترة ما قبل الرومان قسمين: مرحلة قديمة أو «هالشتات» Hallstatt ومرحلة متأخرة سماها «مابعد لاتيوني» LaTène. وفي عام ١٨٧٥ م تبنى دو مورتية التقسيم الثنائي نفسه للعصر الحديدي، ولكنه سمى الحقبة الثانية منها «الغالية» أو «المارنية». وفي عام ١٨٨٥ م قام أوتو تشرلر Otto Tischler بدراسة

(١) لعلّ المؤلف يقصد ست حقب وليس أربع. (المترجم).

المادة المنسوبة إلى حقبة لاتن في فرنسا وقسمها ثلاث حقبة أخرى هي: قديم ووسيط وحديث، وذلك بعد دراسة مفصلة للمادة الأثرية.

قام رجل أعمال فرنسي من الرون يدعى جوزيف دشلت Joseph Déchelette بمحاولة رائدة ذكية لجمع ما هو معروف عما قبل التاريخ في أوروبا وتحليله، وقدمه في كتابه دليل آثار ما قبل التاريخ: السلتيّة والغالية - الرومانية Ma-nuel d'Archéologie Préhistorique, Celtique et Gallo-Romaine الذي ظهر بعد نهاية القرن. نشر المجلد الأول باسم ما قبل التاريخ Prehistorique في عام ١٩٠٨م. أما المجلد الثاني السلتيّة: فجر التاريخ Celtique ou Protohistorique فقد ظهر في عدة مجلدات: العصر البرونزي في عام ١٩١٠م ثم هالشنات في عام ١٩١٣م ولاتيون في عام ١٩١٥م. وظهرت ملاحق لهذه المجلدات عام ١٩١٠ و ١٩١٣م. وكان دشلت قد قتل في بداية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩١٤م وقام ألبير غرنيه Albert Grenier بتكملة عمله.

على أن أعمال دشلت لا تقدر بثمن إلا أنها كانت من عدة نواح امتداداً لتصوير دو مورتيه ومونتليوس لما قبل التاريخ في أوروبا. واستمر التقليد الخاص بالتقسيم الدقيق لنظام العصور الثلاثة على أدوار وفترات، وبمرور الوقت بدأ الآثاريون يدركون تدريجياً أن تقسيم نظام العصور الثلاثة على أدوار ما هو إلا وسيلة لتصنيف مخلفات ما قبل التاريخ فقط، ولكنه لا يوضح حقيقة قصة ما قبل التاريخ. كانت المشكلة جغرافية بحتة، إذ تبين لهم عدم إمكانية تطبيق نظام تصنيف واحد على أوروبا بكاملها. ومنذ عام ١٨٥٨م اقترح فارسيه أن يدرس عصر البرونز الأوربي على أساس جغرافي، وكرر هذه الفكرة بوضوح في الأعوام ١٨٧٣ - ١٨٧٤م، وكذلك فعل شانتير في كتابه العصر البرونزي L'Age du Bronze حيث ميّز شانتير بين ثلاثة أقاليم في العصر البرونزي في

أوروبا، سماها الأورالية (وتتكون من سيبيريا وروسيا وفنلندا) والدانوية (وتشمل المجر وأسكندنافيا والجزر البريطانية) ومجموعة البحر الأبيض المتوسط (وضمنها إيطاليا واليونان وفرنسا وسويسرا). بعد ذلك وجد دثلت أنه من غير الممكن تطبيق نظام مونتليوس على العصر الحجري الحديث في مناطق غرب البحر الأبيض المتوسط وغرب أوروبا. قام كابتان بدراسة للعصر الحجري الحديث في فرنسا حيث ميّز خمس مجموعات سماها: المرحلة البدائية (للعصر الحجري الحديث) والنوردية والكامبينية والميغاليثية، وأخيراً مجموعة المستوطنات التي تكونت حول البحيرات.

في عام ١٩٠٩م عثر بروي وأوبرماير Obermaier في غروت دوفال على مقربة من غباخه (سانتاندر) على مخلفات أريلية إلى جوانب أخرى تاردينوسية. وبعد هذا تبين أن الأزيلية والتاردينوسية ليستا أدواراً متعاقبة في العصر الحجري الوسيط؛ وإنما مجاميع أدوات متزامنة في الفترة ذاتها. وما قبل هنا عن العصر الحجري الوسيط - أي معاصرة بعض الأدوار الافتراضية لبعضها - يمكن أن يقال عن المراحل التقنية الرئيسة الأخرى في حقب ما قبل التاريخ.

سلطت الاكتشافات الأثرية في اليونان وجزر بحر إيجه المزيد من الضوء على قضية التصنيف لحقب ما قبل التاريخ في أوروبا. كان تصنيف المخلفات في هسارليك Hissarlik (طروادة Tory) بواسطة شليمان Schliemann محاولة موضوعية قامت على تعاقب الطبقات (الإستراتغرافيا) وتجنبت استعمال تقسيمات «العصر البرونزي» و«العصر الحديدي». وفي منطقة بحر إيجه كان الاتجاه هو أن تنسب المخلفات إلى العصر الموكيني وما قبل الموكيني وفترات أخرى تحمل بعض الأسماء. عندما درس آرثر إيفانز Arthur Evans حضارة

العصر البرونزي العظيمة في كريت سماها المينوية Minoan نسبة إلى الملك مينوس Minos الذي تتحدث عنه الأساطير، ثم قام بتقسيمها على أقسام ثلاثة مبكر ووسيط ومتأخر، وكل قسم في داخله ثلاثة أقسام أخرى. وعندما نشر معثوراته الخاصة بالفترة السلطية المتأخرة من إيلسفورد في كنت عام ١٨٩٠م عد الأقسام الذين دفنوا هناك مجموعة قائمة بذاتها ضمن حقبة لاتن.

هل أصبح نظام العصور الثلاثة الذي كان أساساً لكل عمل أثري آيلاً إلى الزوال؟ ولم يعد نظاماً ملائماً للماضي؟ وهل استوفى أغراضه؟

ظن البعض أنه كان منذ البداية نظاماً غير ملائم لوصف الماضي البشري، أو هو على أحسن الفروض مناسب فقط للتصنيف المتحفي. لقد جاء القرن التاسع عشر بعدة تصنيفات للماضي البشري لا تستند على التقنية وإنما على تسلسل مقترح للتطور الاقتصادي. بشر كوليردج Coleridge بأن: «التطور من مرحلة الوحشية إلى المدنية يظهر بجلاء في التقدم من مرحلة الصيد إلى مرحلة الرعي». وفصل سفين نلسون Sven Nilsson أربع مراحل في الماضي البشري، هذه المراحل الأربع لتطور المجتمع أصبحت معروفة على نطاق واسع في أوروبا الغربية حين نشر لوبك ترجمة لكتاب نلسون سكان أسكندنافيا البدائيون The Primitive Inhabitants of Scandinavia وذلك في عام ١٨٦٧م.

اعترف سير أدوارد تايلر Edward Tylor بالنظام الدنماركي واتفق معه على أن العصر الحجري هو بداية تطور الحضارات البشرية في حقب ما قبل التاريخ، إلا أنه اقترح أن نُميّز بين ثلاث مراحل شهدتها الماضي البشري وهي: الوحشية والبربرية والمدنية. عرّف تايلر البربرية في كتابه الأنثروبولوجيا: مقدمة في دراسة

الإنسان (١٨٨١) Anthropology: An Introduction to the Study of Man

على أنها تبدأ بمعرفة الزراعة. أما المدنية فقد ربطها بالمعرفة بالكتابة^(١). أما لويس هـ. مورغن L. H. Morgan عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي فقد عرّف هذه المصطلحات في كتابه المجتمع القديم: أو أبحاث في خطوط التطور البشري من الوحشية عبر البربرية إلى المدنية (١٨٧٧) **Ancient Society: or Researches in the Lines of Human Progress from Savagery through Barbarism to Civilization**. اعترف مورغن أن نظام العصور الثلاثة التقني كان مفيداً في نواحٍ معينة مثل تصنيف الأدوات، إلا أنه كان يعتقد أن الاقتصاد يعطينا أسساً أفضل، وقدم سبع فترات (عرقية) تتعلق بالزيادة التدريجية في مصادر الغذاء، وهي كما يلي:

١- الوحشية السفلى، من ظهور الإنسان إلى اكتشاف النار^(٢).

٢- الوحشية الوسطى، من اكتشاف النار حتى ابتكار القوس والسهم.

٣- الوحشية العليا، من ابتكار القوس والسهم إلى ابتكار الفخار.

٤- البربرية السفلى، من ابتكار الفخار إلى استئناس الحيوان.

٥- البربرية الوسطى، من استئناس الحيوان إلى صهر المعادن.

٦- البربرية العليا، من صهر المعادن إلى بداية الكتابة.

٧- المدنية، من بداية الكتابة وما بعدها.

اعتمد مورغن في تصنيفه على النظام المعمول به في العالم القديم، وقد اختلفت معاييرهِ قليلاً للفترات العرقية في أمريكا حيث لا يوجد عصر معدني

(١) أدوارد تايلر (١٨٣٢-١٩١٧) هو أحد أشهر الأنثروبولوجيين البريطانيين في القرن الماضي. عرّف الحضارة بأنها ذلك «الكل المركب». يعد كتابه الحضارة البدائية **Primitive Culture** الذي نُشر عام ١٨٧١ أحد أهم المؤلفات الأنثروبولوجية في حينه. (المترجم).

(٢) لعل المقصود باكتشاف النار هنا هو اكتشاف طرق إشعالها ومن ثم التحكم فيها. (المترجم).

ولم يعرف استثناس الحيوان. لقد ميّز بين المدنيات القديمة في مصر وجنوب غرب آسيا والعالم الكلاسيكي من ناحية، وبين المدنيات الحديثة التي يعيش فيها هو من ناحية أخرى.

اعتقد مورغن - كما فعل دانيال ولسون من قبله - أن هذه الحقب ذات طابع عالمي، وأنها تظهر تسلسلاً تطوراً بشكل طبيعي في أماكن مختلفة، إلا أنه أيقن أن ما تظهره من تشابه في المتحجرات لا يعني بالضرورة تزامنها في كل أنحاء المعمورة. كتب يقول: «إن الظرف هو الحقيقة المادية، أما الزمن فهو غير مادي». لقد كان تصوره صارماً وغير مرن شأن تقسيمات نظام العصور الثلاثة، ولم يكن هذا التصور مهتماً في تفاصيله بالأدوات والآثار الشاخصة، إلا أنه قد لا يتعارض بصورة أساسية مع السجل الأثري. كما أنه اكتسب شهرة وقبولاً لأن إنجلز^(١) Engels تبناه وطوره، ووصفه في كتابه أصل العائلة (١٨٨٤) - The Origin of the Family بقوله: «إن مورغن - بخبرته الواسعة - كان أول إنسان يحاول أن يقدم تصوراً واضحاً لما قبل التاريخ».

ولم يكن هذا صحيحاً؛ إذ إن فضيلة النموذج التقني الدنماركي هي أنه قدم تصوراً واضحاً لما قبل التاريخ. إن القيمة والأهمية والجاذبية التي اكتسبها مشروع مورغن تكمن - بالنسبة للكثيرين - في استعماله نموذجاً لفترات افتراضية تركز على موارد الاقتصاد المعيشي، إذ يبدو أنه تغلب على المحدودية الظاهرية والحقيقية لآثار ما قبل التاريخ الكامنة في كونها توقفت عند وصف الحضارة المادية لماضي البشرية.

(١) فردريك إنجلز (١٨٢٠ - ١٨٩٥م) فيلسوف ألماني عاصر ماركس وأسهم معه في بعض أعماله. (المترجم).

وماكان مهماً - سواء أقبل نظام العصور الثلاثة الحجري والبرونزي والحديدي أم نظام مورغن الخاص بالفترات العرقية - هو إيجاد طريقة لتأريخ التطور التقني والاقتصادي للإنسان. لقد حاول فارسيه تقديم تواريخ عامة للعصرين الحجري الحديث والبرونزي في أوروبا على أساس تزامنها مع الأدوار الحضارية في شرق المتوسط ومصر. كان بيتري وآثاريون آخرون قد ذهبوا بعيداً في إقامة تسلسل تاريخي مطلق لمنطقة بحر إيجه والحضارات الموكينية بمقابلتها بأحداث تاريخية في مصر^(١). وحاول مونتليوس أن يوسع من استعمال هذه الوسيلة عبر أوروبا لتشمل إيطاليا وفرنسا وبريطانيا وأسكندنافيا، وقدم مثلاً لمنهجه هذا في بحث نشره في مجلة أركيولوجيا في عام ١٩٠٩م، حين ذكر أن العصر البرونزي في بريطانيا قد استمر ١٧٠٠ عام من ٢٥٠٠ ق.م. إلى ٨٠٠ ق.م. ثم حدد تاريخاً لكل من فتراته الخمس على النحو التالي:

(١) (العصر النحاسي) من ٢٥٠٠ ق.م. - ٢٠٠٠ ق.م.

(٢) من ٢٠٠٠ ق.م. - ١٦٥٠ ق.م.

(٣) ١٦٥٠ ق.م. - ١٤٠٠ ق.م.

(٤) ١٤٠٠ ق.م. - ١١٥٠ ق.م.

(٥) ١١٥٠ ق.م. - ٨٠٠ ق.م.

لقد أدهشت هذه التقسيمات الناس وقتها ولا تزال تثير دهشتهم، إذ كيف تجرأ مونتليوس على تقديم وتنقية نظام تاريخي يصل في تحديده إلى فترة نصف القرن مثل ١٦٥٠ و ١١٥٠ ق.م. بقيت وسيلة التأريخ بالمقابلة Cross-dating تستعمل حتى ابتكار وسيلة التأريخ بالكربون المشع (C14) بعد الحرب العالمية

(١) وذلك عبر وسيلة التأريخ بالمقابلة Cross-dating. (المترجم).

الثانية، ولا تزال تستعمل بواسطة أولئك الذين يتشككون في دقة الكربون - ١٤ أو وسيلة التوهج الحراري^(١) Thermoluminescence (TL) للتاريخ. والحق أن معظم هذه التواريخ هي تخمينات، إلا أنها تخمينات أشخاص مؤهلين أكثر من غيرهم في هذا المجال، ومع ذلك فقد كانت تنطوي على بعض المخاطر. فبعد ثلاثين عاماً جاء غردون شايلد Gordon Child الذي كان حوارياً متحمساً لفكر مونتليوس في كثير من الأوجه ليقر آسفاً أنه ما من تاريخ فيما قبل تاريخ أوروبا البربرية سابق لـ ١٧٠٠ ق.م. يمكن الاعتماد عليه.

كانت مشكلة التسلسل التاريخي المطلق واحدة من المشكلات التي شغلت الآثاريين خلال القرن التاسع عشر، أما المشكلة الثانية فكانت كيفية تفسير التحول الحضاري. وظهرت هذه المشكلة في الكتابات المبكرة لطومسن وفارسيه، وبالأخص قضية التعاقب الحضاري في أسكندنافيا الحجري والبرونزي والحديدي؛ هل كانت تطوراً طبيعياً محلياً أم هي نتيجة لغزو أو تجارة؟ الآثاريون الدنماركيون الأوائل لم يؤيدوا فكرة أن هذه العصور الثلاثة تشكل تسلسلاً طبيعياً في أسكندنافيا، وكان فارسيه على استعداد دائم للحوار في قضية أن العصر البرونزي في الدنمارك لم يتطور خطوة إثر خطوة من العصر الحجري: «إذ إن التحول كان فجائياً» كما يقول، «وأن حقبة العصر البرونزي لا بد أن تكون قد بدأت مع ظهور جماعات بشرية جديدة على درجة عالية من

(١) وسيلة التوهج الحراري هي إحدى وسائل التأريخ المطلق في علم الآثار، ويمكن أن تعطي تاريخاً مطلقاً للطين المحروق (الفخار والدمى الطينية والطوب) وذلك بوضع المعثور الفخاري تحت درجة حرارة عالية فتحرر الطاقة المخزنة (التوهج الحراري) التي تراكمت منذ أن حرق الإناء، وعند قياس هذه الطاقة المحررة التي تتراكم بمعدل معروف يمكن أن تحسب الفترة الزمنية التي انقضت منذ أن حرق الإناء، فيصبح عمر الإناء عمراً للموقع. (المترجم).

الحضارة مقارنة بالسكان السابقين لهم». كذلك كان فارسيه يظن أن العصر الحديدي قد جاء نتيجة لغزو آخر، وكان يضع تقديراً كبيراً للرأي القائل بأن العارفين بصناعة البرونز والحديد قد انتشروا من جنوب شرق أوروبا إلى إسكندنافيا بطريقة بطيئة وتدرجية، وعليه فإن عبارات عصر برونزي وعصر حجري ليس لها مدلول محدد أو تاريخ محدد على مستوى العالم بأسره، ثم أعلن: «أن الانتشار العالمي للمعادن لا يمكن أن يحدث إلا بالتدرج». هنا إذن في النصف الأول من القرن التاسع عشر تكمن فكرة الانتشار والغزو ومقابلة المعثورات التي كوَّنت لدى الكثيرين القاعدة التي فسروا بها ما قبل التاريخ في أوروبا، وذلك حتى منتصف القرن العشرين.

في الجانب الآخر فإن سفن نلسون على أنه كان مهيباً لقبول وجهة النظر القائلة بأن موجات من الغزاة هي التي أحدثت التغيرات الحضارية في أسكندنافيا؛ فقد كان لديه إيمان راسخ بأن آثار ما قبل التاريخ بشكل عام تظهر تطوراً تدرجياً في كل مكان. فكما أظهرت الجيولوجيا التطور الطويل لعالم الأحياء فإن آثار ما قبل التاريخ أظهرت التطور الطويل للإنسان. وكانت عمليتنا الابتكار المستقل والتطور هما مفتاح أطروحته. يقول في كتابه سكان أسكندنافيا البدائيون (١٨٦٧) *The Primitive Inhabitants of Scandinavia* : «إن الأمم تظهر إلى حيز الوجود ثم تضمحل وتسقط، لكن المدنية والإنسانية تتقدمان باطراد وتنتشران أكثر فأكثر حتى يأتي يوم تكون معروفة في كل بقعة يقطنها الإنسان». من بين أمور ثلاثة طرحها دو مورتيه في كتابه *Promenades* - وقد انبثقت من دراسة ما قبل التاريخ في ذلك الوقت - كانت فكرة التطور الموازي *Loi du developpment similaire*. إن التعاليم الدارونية الخاصة بالتطور العضوي كان لزاماً عليها أن توحى للجميع بأن التطور العضوي لا بد

أن يمتد ليشمل التطور الحضاري، ومن ناحية أخرى فإن دراسة تاريخ أوروبا والشرق الأدنى قد أوضحت أنه مملوء بالغزوات والهجرات، كذلك فإن فترة مابعد الرومان في أوروبا هي فترة هجرات جماعية، فقد شهدت غزو البرابرة في العصور المظلمة، ليس من المنطق إذن أن نفسّر التغييرات الكبرى التي لوحظت في حضارات ما قبل الرومان على أنها نتاج لغزوات أو هجرات مشابهة؟

كان أستاذ علم الأنثروبولوجيا الألماني أدولف باستيان (١٨٢٦ - ١٩٠٥) Adolf Bastian من المؤمنين بنظرية التطور لدرجة أنه رفض قبول أي احتمال لأي نوع من أنواع الانتشار الحضاري، وأعلن أن هناك قانوناً عاماً هو أن الوحدة النفسية للإنسان في كل مكان تنتج أفكاراً متشابهة. وقد اعترف أن الظرف الجغرافي والمناخي قد يأتي بردود أفعال متباينة، وكذلك ربما كانت هناك - كما يبدو ذلك واضحاً - اتصالات حضارية في الفترات التاريخية المتأخرة. إلا أن أساس فكرة باستيان تكمن في الوحدة النفسية للإنسان ومن ثم التطور المستقل المتوازي للحضارة، لقد بشر بكل وضوح بشكل من التطور مافوق العضوي Supra-organic أو الحضاري أو الاجتماعي.

رسم ذلك القاعدة لأفكار مورغن الذي يقول: «إن الجنس البشري قد بدأ مسيرته من أسفل السلم وتحسس طريقه إلى أعلى من الوحشية إلى المدنية عبر تراكم بطيء من الخبرة العملية». لقد أوضحت كل دراساته كما يقول: «وحدة أصل الجنس البشري وتشابه الرغبة عند البشر في ذات المرحلة من التقدم، وانتظام عمليات الدماغ البشري في الحالات المتشابهة للمجتمع» هذه هي الأفكار التي حملها إنجلز إلى الماركسية وأصبحت جزءاً أساساً من فكر الآثاريين الماركسيين مثل الآثاريين الروس المعاصرين.

كان مونتليوس من المناهضين لنظرية التطور وقد عمل جاهداً لإثبات أن كل

الحضارات الأوربية السابقة للرومان قد جاءت من الشرق الأدنى. يقول في كتابه الشرق وأوربا (١٨٩٩) **Der Orient und Europa**: «في الوقت الذي كان فيه سكان أوربا يفتقرون إلى أية حضارة، كان الشرق - وبالتحديد وادي الرافدين ووادي النيل - يرتع في نعيم حضارة زاهرة، إن المدنية التي أطل فجرها على ظلمات قارتنا بالتدريج قد بقيت مدة طويلة ظلاً باهتاً لحضارة الشرق».

شجب سالمون رايناخ هذه التعاليم الخاصة بتفوق الشرق **ex oriente Lux** في كتابه سراب الشرق (١٨٩٣) **Mirage Oriental** وأعلن أن علماء ما قبل التاريخ الأوربيين ظلوا لفترة طويلة يبحثون عن تفسيرات ساذجة للتغير الحضاري في ظل الغزو والانتشار من شرق المتوسط والشرق الأدنى، واستهانوا بإسهامات السكان المحليين في التطور الحضاري، وهنا قد يكون محقاً، وكان من رأيه أن الحضارات المينوية والموكينية والاترسكية والسلتية كلها حضارات أوربية محلية.

كان العديد من المفكرين من أمثال آرثر إيفانز وجون مايرز **John Myres** يرفضون قبول هذه الثنائية في النظريات التي تتناول أصول الحضارة، يقول مايرز: «أن نميز بوضوح الخلفية الشرقية للأصول الأوربية ليس معناه سراب من الشرق، كما أن العامل الأوربي المحلي لا يخدم عبر مقدرته الذاتية على الاستيعاب». كان هنالك آخرون يحملون وجهة النظر هذه: فالآثاريون الإسكندنافيون الأوائل آمنوا بإمكانية حدوث التطور والانتشار في ذات الوقت؛ كذلك كان بت - ريفرز و أ. ب تايلر اللذين حددا عدة عوامل للتغير الحضاري منها تشابه طرق التفكير وقراءة الدم والتماذج. يقول روبرت لووي **Robert Lowie** في كتابه تاريخ النظرية الإثنولوجية (١٩٣٧) **History of Ethnological Theory** «في معهد الدراسات الأنثروبولوجية في لندن في نهاية القرن التاسع

عشر تعايش التطور والانتشار جنباً إلى جنب».

كان هذا هو الحال بالنسبة لعلماء ما قبل التاريخ المعتدلين الذين يحملون أفكاراً معقولة، ولكن بالنسبة للكثيرين غيرهم في ذلك الحين وحتى يومنا هذا؛ فإن القضية الأساس هي إظهار المحورية بين التطور مقابل الانتشار، هذه إلى جانب أن الخلاف بين وجهتي النظر قد تفاقم بسبب المواقف المتشددة التي اتخذها بعض غلاة الانتشاريين.

كان من أبرز المدارس وأكثرها تأثيراً وتطرفاً في الدفاع عن الانتشارية المدرسة التي سميت بمدرسة مانشستر. جاء غرافتون إليوت اسمث (١٨٧١ - ١٩٣٧) Grafton Elliot Smith الاسترالي الأصل إلى إنجلترا طالباً للطب، وأصبح أول شخص يحتل منصب أستاذ التشريح في المدرسة الطبية الحكومية في القاهرة، ثم أستاذاً للتشريح في مانشستر، وفي وقت لاحق بالكلية الجامعية بلندن. لقد بهرته مصر وأخذ يدرس المخلقات العظمية البشرية القديمة التي أخرجتها الحفريات، وكان بذلك أول شخص يقوم بدراسة مفصلة لأسلوب التحنيط عند المصريين القدماء. كان متيقناً بأن هذا الأسلوب غاية في التعقيد ولا يبدو على الإطلاق أنه يمكن أن يكون قد طور في مكان آخر. وحين سمع عن ممارسات مشابهة للتحنيط وحفظ الموتى في مناطق أخرى من العالم، اضطر إلى القول بأن هذه لابد أن تكون قد انتشرت من مصر. قدّم نظرية ودافع عنها بقوة؛ يقول فيها: «إن الحضارة قد نشأت مرة، مرة واحدة فقط، وقد كان ذلك في وادي النيل». ومضى يقول: «إن كل المدينيات، وبحق كل تقدم خطاه الإنسان من وحشية العصر الحجري القديم هي من صنع مهاجرين من مصر القديمة». طرح أول مرة هذه التعاليم الخاصة بمركزية مصر وإيمانه المتطرف بالانتشار في كتابه المصريون القدماء The Ancient Egyptians الذي صدر في عام ١٩١١.

سيطر هذا الكتاب على خيال العديد من الناس في ذلك الحين ولربع قرن بعد ذلك.

لقد شغلت الآثاريين مشكلة أخرى؛ وهي إلى أي مدى نستطيع استعمال الأسماء القومية واللغوية للإشارة لحقب ما قبل التاريخ وجماعاته، أمضى الآثاريون الدنماركيون الأوائل وقتاً طويلاً في البحث عما إذا كان العصر الحجري يخص اللابين^(١) Lapps وأن العصر البرونزي يخص الفلنديين أو الفينيقيين، وأن العصر الحديدي هو من عمل السلتين أو الغوط. العديد من المجموعات الأثرية في حوض المتوسط صُنفت على أساس أنها فينيقية وإغريقية - فينيقية وطروادية وفريجية ودورية وآخيه وسكلية وليغورية وإيبيرية وخلافها^(٢). كان هناك قبول عام بوجهة النظر القائلة بأن اللاتيونية وربما العصر الهالشتاتي المتأخر من أعمال السلتين. ويبرز سير جون ريز John Rhys في عبارات عديدة في كتاباته عن آثار بريطانيا مثل بريطانيا القديمة: بريطانيا السلتية (١٨٨٢) **Early Britian: Celtic Brtain** فكرة أن العصر الحجري الحديث في بريطانيا هو من عمل الإيبيريين، وأن العصر البرونزي يخص إحدى مجموعات السلتين أو الغويدليين، وأن العصر الحديدي يخص مجموعة سلتيّة أخرى أو البرايثونيين، ومن ثمّ أخذت مشكلة الآريين تلوح في أفق ما قبل التاريخ.

إن دراسة اللغات المقارنة مفتاحاً لدراسة الماضي ترجع إلى ما يعرف الآن بالخطاب الرئاسي والمحاضرات العشر لسير وليام جونز William Johnes التي ألقاها أمام الجمعية الآسيوية في كلكتا في عام ١٧٨٨م. طرح جونز فكرة أن

(١) اللابين إحدى القبائل الإسكندنافية التي كانت تعيش على الترحال. (المترجم).

(٢) هذه مجموعات بشرية عاشت في حوض البحر الأبيض المتوسط (شرق المتوسط وآسيا الصغرى وجنوب أوروبا وجزر المتوسط).

اللغات السانسكريتية والإغريقية واللاتينية والسلتية واللغات الألمانية ترجع جميعها إلى أصل واحد. وأيد هذه الفكرة فرانز بوب Franz Bopp في كتابه النحو المقارن (١٨٣٣ - ١٨٣٥) *Vergleichende Grammatik* حين استعمل عبارة هندي - ألماني، وهي عبارة اقترحها كلاپروت Klaproth أول مرة في عام ١٨٢٣ م. واقترح ماكس مولر Max Mullor عبارة الآريين بديلاً يبطل استعمال عبارة هندي - أوربي، إلا أن المصطلح الأخير طغى بدوره في النهاية. أصبح ما قبل التاريخ الأوربي ينظر إليه من خلال تحركات الفينو - أوغريين وبعد ذلك الآريين. إن كانت اللغات المنتشرة من إيرلندا وحتى أواسط آسيا قد تفرعت جميعها من مصدر واحد، فمن هم هؤلاء القوم وبأي مخلفات أثرية نستطيع ربطهم؟ وما هو الموطن الأصلي للآريين؟ (أو الهنود - الأوربيين)؟ من الأمثلة النموذجية لقضية لغات ما قبل التاريخ خلال القرن التاسع عشر كتاب آيزك تايلر Issac Taylor أصل الآريين: سجل لأجناس وحضارات ما قبل التاريخ في أوربا *The Origin of the Aryans: An Account of the Prehistoric Ethnology and Civilization of Europe* وكتاب ت. ه. هكسلي T. H. Huxley القضية الآرية وإنسان ما قبل التاريخ *The Aryan Question and Prehistoric Man* وقد نُشِرَا في عام ١٨٩٠ م.

مصر ووادي الرافدين:

حين توفي ماريت في عام ١٨٨٠ م خلفه غاستون ماسبيرو (١٨٤٠ - ١٩١٠) Gaston Maspero وهو فرنسي من أصل إيطالي ذو مقدرات عظيمة وطاقة فائقة. بدأ إدارته للآثار في مصر بحفريات في هرم أوناس في سقارة واكتشاف مخطوطات الهرم الشهيرة. وقام كذلك بمراجعة محتويات المتحف وإعادة ترتيبها، كما وجد الوقت لكتابة عدة كتب للعامّة عن مصر القديمة وآثارها،

هذه الأعمال الموجهة للجمهور وعامة الناس شجعت الكثيرين على زيادة الاهتمام بالآثار المصرية، كما أوجدت شعبية ورواجاً في أوساط العامة من غير الآثاريين للسفر إلى مصر.

كانت الأنسة أميليا أدوارو (Amelia Edward ١٨٣١ - ١٩٠٢) واحدة من هؤلاء، فقد قامت بكتابة عدد هائل من القصص ولها مؤلفات في الفن والتاريخ. زارت مصر وسورية في عام ١٨٧٣ - ١٨٧٤ ونشرت بحثاً شائقاً عن رحلتها سمته ألف ميل على النيل (A Thousand Miles up the Nile ١٨٧٧) وبذلك أصبح علم المصريات هو اهتمامها الرئيس. وأوضحت أن الحفريات العلمية قد أصبحت ضرورة، وأنها العلاج الوحيد لوقف التخريب الواسع الانتشار للآثار ولنهب القبور الذي كان سائداً وقتها. جمعت حولها بعض المهتمين وأنشأت في عام ١٨٨٢ «صندوق الاستكشافات المصرية» الذي عملت سكرتيرة له بعد أن تركت كل أعمالها الأخرى. قدمت عدداً من المحاضرات عن علم المصريات وقد نشرت ضمن كتابها الفراعنة، والفلاحون والمستكشفون (Pharoahs, Fellahs and Explorers ١٨٩١). وعند وفاتها كانت قد أنشأت كرسيًا للدراسات المصرية بالكلية الجامعية في لندن، وكان أول من احتل المنصب - حسب رغبتها - هو فلنדרز بيتري.

ظلت السلطات المصرية تحافظ على تقاليد ماريت وتحتفظ بالحق في الاحتفاظ بكل قطعة أثرية تأتي من الحفريات في مصر، إلا أنه من الممكن أن تعطي الأذونات لممثلي الأقطار الأخرى لإجراء الحفريات. أنشأت «البعثة الأثرية الفرنسية» في القاهرة في الوقت نفسه الذي وُجد فيه «صندوق الاستكشافات المصرية»، وبعدها أنشأت منظمات ومعاهد بواسطة السويسريين والألمان والأمريكان. وكان أول من قام بحفريات بتمويل من «صندوق

الاستكشافات المصرية» هو هنري نافيل Henri Naville، وهو سويسري تدرب على أيدي لبسيوس، وظلّ يعمل للصندوق حتى عام ١٩١٣م. منذ عام ١٨٨٣م كان فلندرز بيتري ولفترات متقطعة يعمل للصندوق حتى أنشأ «صندوق البحث المصري» الخاص به في عام ١٨٩٤م، الذي أعيدت تسميته في عام ١٩٠٦م ليصبح «مدرسة الآثار البريطانية في مصر».

كان (سير) وليام ماثيو فلندرز بيتري (١٨٥٣ - ١٩٤٢م)، حفيد كابتن ماثيو فلندرز مستكشف أستراليا مولعاً بالآثار منذ صباه. يقول في مذكراته سبعون عاماً في حقل الآثار (١٩٣١) *Seventy Years in Achaology* إنه في سن الثامنة فزع من الطريقة التي أريحت بها التربة عن فيلا رومانية في جزيرة وايت: «لقد اعتزضت لأن التربة يجب أن تزاح بوصة بعد أخرى لنرى كل ما بداخلها وكيف كانت تتراكم».

كان بيتري ووالده قد أعجبا بقراءة كتاب نشر في عام ١٨٦٤م بعنوان ميراثنا في الهرم الأكبر *Our Inheritance in the Great Pyramid* كتبه شارلس بيازي سمث Charles Piazzi Smyth الفلكي الملكي في أسكتلندا وأستاذ علم الفلك بجامعة أدنبرة. وكان بيازي سمث من المغالين في تقديرهم لقيمة الأهرامات، أولئك الذين لا تزال أفكارهم - بكل أسف - تعيش بيننا. لقد اخترع البوصة الهرمية التي تساوي ٩٩,٩٪ من البوصة البريطانية، وكان يظن أن الهرم الأكبر يقف في مركز العالم وأعلن أن مقاييسه للهرم: «استخدمت وحدة قياس مناسبة بُذل فيها جهد من الصبر، وأصبح من السهل أن أظهر أبعاد المسافة إلى تمبكتو، أو أن أحصى متوسط وزن سمكة الزينة».

من حسن الطالع أن فلندرز بيتري لم يشغله شغف الأهرام وقام في النهاية بأول مسح دقيق للأهرامات، إلا أنه بدأ عمله مساحاً آثارياً في بريطانيا، وقد

نشرت بعض نتائجه في كتاب استون هنج (١٨٨٠) Stonehenge.

وحيث وجد تمويلاً من صندوق الاستكشافات المصرية كتب إلى الأنسة أدوار: «إن التنقيب عن الآثار في مصر أمر شائق بالنسبة لي وآمل أن تأتي النتائج مبررة لقيامي بهذا العمل»، وقد جاءت كذلك بلا شك. بدأ العمل في تانس في عام ١٨٨٥م واستمر في التنقيب عاماً بعد عام، وكان يختم كل موسم بنشر أبحاثه وبمعرض عام في لندن. أقيمت معظم هذه المعارض في القاعة المصرية في بيكادلي التي سبق أن استعملها بلزوني، ومن أشهر اكتشافاته بقايا تل العمارنة ورسائل تل العمارنة والفخار الموكيني وماقبل الموكيني في قروب وكاهون، واكتشاف حضارة ما قبل الأسرات في مصر.

زار بيتري في عام ١٨٩١م موكيناي^(١) لاختبار تاريخ قروب وكاهون، وهنا قام بمساعدته تلميذه السابق أرنست قاردنر Ernest Gardner الذي كان وقتها مديراً للمدرسة البريطانية في أثينا. وهناك لاحظ التأثيرات المصرية حيث عثر على أدوات مصرية في موكيناي تنتمي جميعها للأسرة الثامنة عشرة. وفي كاهون عثر على ما سماه فخار أيجي أو فخاراً من فجر الحضارة الإغريقية مخلوطاً بفخار يرجع للأسرة الثانية عشرة، وقد أوجد تطابقاً في حالتين، إحداهما بين فخار فجر الإغريق والأسرة الثانية عشرة من ناحية، والآخر بين الموكينية والأسرة الثامنة عشرة من ناحية أخرى. أعلن بعد ذلك أن الحضارات الإيجية قد ظهرت إلى حيّز الوجود في حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. أما تاريخ الحضارة الموكينية المتأخرة فيتراوح بين عام ١٥٠٠ ق.م. و ١٠٠٠ ق.م. لقد كانت هذه المقارنة عملاً متميزاً يتم بوسيلة التأريخ بالمقابلة، كما أنها الأولى من

(١) موكيناي Myceane هي الاسم، أما موكيني Mycenaean فهي الصفة. (المترجم).

نوعها في مجال علم الآثار المقارن. ذكر قاردنر: «أن مقام به بيتري في أسبوع واحد يفوق مقام به الألمان في عشر سنوات لإيضاح الأمر اعتماداً على أسس مصرية». كما أن بيتري حين نظر إلى الوراثة في عام ١٩٣١م لتقويم ما قام به في مجال التسلسل الزمني المطلق للإغريق ذكر أن: «هناك القليل الذي يمكن تغييره في الإطار الذي أمكن التوصل إليه مع أن أربعين عاماً قد مضت على ذلك العمل». ومن الأمور التي لم تنل حظاً من الاهتمام أن بيتري قد أطلق بثقة وصدق على الفخار المستورد الذي عثر عليه في كاهون عبارة: «الإيجي» أو: «فخار فجر الحضارة الإغريقية» في وقت لم يكن هذا النوع من الفخار قد عثر عليه أو قد وصف في إيجة نفسها!

تجيء معرفتنا بحضارة مصر في فترة ما قبل الأسرات من أعمال بيتري في نقادة وبلاص في عام ١٨٩٤-١٨٩٥م، وفي ديوسبولس بارفا (هو) في عام ١٨٩٨-١٨٩٩م. تبين أن نقادة تحوي مقبرة لما قبل الأسرات فيها ٢٠٠٠ قبر، وقد أطلق اسمها «حقبة نقادة» على تلك الفترة مما قبل التاريخ في مصر. لقد رفض المتحف البريطاني بكل أسف طلباً من بيتري لحفظ أصناف الفخار من نقادة بحجة أن المادة من فجر التاريخ أكثر من كونها تخص ما قبل التاريخ، وعليه فقد ذهبت المادة للمتحف الأشمولي. وفي كتاب ديوسبولس بارفا (١٩٠١) *Diospolis Parva* رتب بيتري فخار ما قبل الأسرات المصري حسب تقنيته بما سماه التاريخ بالتسلسل^(١). *Sequence dating* لم يكن من أنصار أي

(١) عرف هذا الأسلوب بالتتابع *Seriation* أيضاً، وهي وسيلة أثرية بحتة تخدم التأريخ النسبي في علم الآثار وتعتمد على ترتيب المعثورات من النوع الواحد في شكل تتابعي تطوري عبر الزمن، مستندة على حقيقة أن الحضارة البشرية في تطور دائم، وأن الطرز تظهر ثم تنتشر قبل أن تضمحل وتختفي، تعود أصول هذه الوسيلة إلى نظام العصور الثلاثة لطومسن ومن بعده فارسيه ومونتليوس وإيفانز، قام بيتري بتطويرها وتطبيقها على فخار ما قبل الأسرات في مصر، وجاءت بنتائج عظيمة. (المترجم)

من النظم التي تفرعت من نظام العصور الثلاثة. كان نظامه مرتكزاً على التسلسل النوعي لفخار ما قبل التاريخ. بدأ السلسلة بـ س. د. : ٣٠ مفترضاً - وقد كان مُحَقِّقاً -: «أن أقدم مواد ما قبل التاريخ لم تُكتشف بعد»، وتابع التسلسل إلى فترة الأسرات في س. د. : ٨٠. كتب عن نظامه هذا يقول: «إن هذا النظام يعطينا القدرة على التعامل مع مادة ما كان لها أن تؤرخ بغير تلك الطريقة. . . ليس هنالك من سبب يحول بيننا وبين دراسة عصور ما قبل التاريخ التي توجد مجموعات من مخلفاتها، بالثقة والوضوح نفسه الذي نتعامل به مع العصور التاريخية ذات التاريخ المسجل». تفاؤله هذا ليس له ما يبرره، ونظام التاريخ بالتسلسل الذي بشر به لم يتبناه العلماء بصورة عامة، لكنه كان عملاً بارزاً وابتداعاً مثيراً خدم غرضه فيما يختص بالمادة الأثرية المصرية.

في عام ١٨٩٢م نشر بيتري كتابه عشر سنوات من الحفريات **Ten Years of Digging**، وفي عام ١٩٠٤م نشر وسائل علم الآثار وأهدافه **Methods and Aims in Archaeology**، الذي أوضح فيه خطته من التاريخ بالمقابلة والتاريخ بالتسلسل إلى جانب مبادئ المسح والحفريات الأثرية وكيفيةها. لقد اشتكى من أن صندوق الاستكشافات المصرية لم يقدم له أي تدريب أو نصيح، وكان عليه أن يجيء بطرق ووسائل من عنده وكان عمله: «مسألة اقتحام لمجالات جديدة في علم الآثار».

ذكر أن طريقته قد اعتمدت على المبادئ الأربعة التالية:

- ١- الاهتمام بالآثار المنقبة واحترام زوار ومنقبي المستقبل.
- ٢- الاهتمام بالتفاصيل أثناء الحفر وجمع ووصف كل ما يعثر عليه.
- ٣- المسح والتخطيط الدقيق المفصل للمباني الأثرية والحفريات.
- ٤- نشر كامل للنتائج بأسرع ما يمكن.

كذلك بدأ دراسة علمية للمواد التي استعملها الإنسان في فترتي ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، وأوضح أنه على الأثاريين دراسة كل تفاصيل المادة الأثرية من لون وطراز إلى جانب المسائل التقنية للأدوات.

كان فورتفانغلر Furtwangler قد طور دراسة الفخار الملون والمزخرف بوصفه وسيلة لقياس الزمن في علم الآثار. وفعل بيتري الشيء نفسه بالنسبة للفخار غير الملون حيث بدأ يتفهم هذه الطريقة حينما كان يجري حفريات في نوقراطيس Naucratis خلال الثمانينيات من القرن الماضي. إلا أن الفضل يرجع إلى حفريات قام بها في تل الحسى في فلسطين عام ١٨٩٠م، أضاءت الطريق أمامه للتعامل مع هذه القضية المعقدة. في هذا التل كان يتعامل مع ستين قدماً (حوالي ثمانية عشر متراً) من الركام الحضاري، وكانت مقسمه على طبقات تتميز كل منها بنوع من الفخار على أن نوعيات الفخار والطبقات لايسيران على نسق واحد كما لاحظته، استطاع كذلك أن يزامن بعض طبقات تل الحسى مع طبقات لأسرات مصرية، وعليه تمكن من إقامة تسلسل مطلق لطبقات ذلك الموقع التي يبلغ عمقها ستين قدماً. كان ذلك أيضاً عملاً يضارع في أهميته التاريخ بالمقابلة الذي قام بها في موكيناي. وماقام به في تل الحسى كان إنجازاً رائداً في دراسة المواقع السطحية التي تحوي معثورات من فترات مختلفة، وكان عملاً متقدماً على ما قام به شليمان ودوريفلد في طروادة.

لقد كان بيتري أحد العمالقة في حقل الآثار، والطرق والوسائل التي اتبعها والحفريات التي قام بها تجعل من الربع الأخير من القرن التاسع عشر عصر إنجاز بالنسبة للآثار المصرية.

خلال العقد الثامن من القرن التاسع عشر، وبعد فترة ركود أعقبت اندلاع حرب القرم، عاد الاهتمام الغربي لآثار ما بين النهرين، فأصدر جورج اسمث

George Smith - وهو موظف صغير بقسم الآثار الآشورية بالمتحف البريطاني - عام ١٨٧١ م كتابه تاريخ آشور بنيبال مترجم من المخطوطات المسمارية - **The History of Assyria - Banipal translated from the Cuneiform Inscriptions** وفي العام التالي - وبينما كان عاكفاً على ترجمة ألواح طينية من مكتبات نينوى - عثر على نقش غير مكتمل يحوي عبارة تقول: «لقد رست السفينة على جبال نرور» ويمضي المخطوط يتحدث عن إرسال حمامة فشلت في العثور على مرفأ قريب، يقول اسمث: «على الفور أيقنت أنني قد عثرت على جزء على الأقل من قصة الكلدانيين عن الطوفان». عثر اسمث على أجزاء أخرى من المخطوط واستطاع ترجمة النص البابلي لقصة الطوفان وقراؤها أمام الجمعية الإنجيلية للآثار في عام ١٨٧٢ م. أثار هذا الاكتشاف اهتماماً واسعاً، وكانت هنالك قطعة من لوح الطوفان مازال مفقودة، وقد قدمت صحيفة الديلي تلغراف مبلغ ألف جنيه إسترليني لتجهيز بعثة يقودها سميث للبحث عن تلك القطعة. لم يكن سميث منقباً مدرباً، كما أنه لم يسبق له أن زار وادي الرافدين من قبل. بدأ عمله في كيونجيك في عام ١٨٧٣ م، «وبرمية من غير رام» عثر على القطعة المفقودة في اليوم الخامس من بداية عمله. قام اسمث بأعمال حقلية إضافية لصالح المتحف البريطاني حتى وافته المنية في حلب عام ١٨٧٧ م وهو في طريق عودته بعد موسم الحفريات الثالث، وكان قد أصدر تقارير شعبية حول أعماله، مثل مكتشفات آشور **Assyrian Discoveries** والرواية الكلدانية لسفر التكوين **The Chaldean Account of Genesis** وبذلك أصبح منافساً لليارد في مبيعات الكتب الخاصة بالآثار.

خلف اسمث مديراً لحفريات المتحف البريطاني في وادي الرافدين هرمزد راسام **Hormuzd Rassam** الذي عاد للعمل بعد غيبة طويلة، كانت آخر

حملاته خلال الأعوام ١٨٧٨-١٨٨٢م طاف خلالها في الكثير من أنحاء البلاد يحفر التلال في كل مكان باحثاً عن الكنوز والنقوش لموليه في لندن. واكتشف في عام ١٨٧٨م في تل بلوات البوابات البرونزية الشهيرة التي تخص شالمنصر الثاني. وفي عام ١٨٨٠م بدأ حفريات استمرت لثمانية عشر شهراً في أبو حبه في جنوب وادي الرافدين، واستطاع أن يحدد ذلك الموقع على أنه صبار، وأن المعبد هو معبد إله الشمس شماس. عثر راسام هناك على عدد كبير من الألواح والأسطوانات، وفي أحد هذه النقوش تسجيل عن كيفية قيام نابونيد - الذي سبق ذكره - آخر ملوك بابل بحفريات في أساس المعبد ليكشف عن بناته الأوائل، وقد عثر على عمق ثمانية عشر ذراعاً تحت السطح على حجر الأساس الذي وضعه نارام سن ابن سارجون الأكادي «الذي لم يره (أي حجر الأساس) ملك منذ ٣٢٠٠ عام». ربما كانت هذه الوثيقة التاريخية تسجل أول نشاط أثاري قام به الإنسان.

بدأ وعي العلماء يزداد تدريجياً بوجود حضارة في واد الرافدين تسبق حضارات بابل وآشور، تلك التي نسميها الآن الحضارة السومرية، التي سبق أن عثر كل من لفتس وتايلر ورولتسون على بعض مخلفاتها. وكان أوبرت Oppert في عام ١٨٦٩م قد سلّم - مستنداً على أرضية لغوية - بوجود حضارة لأقوام غير ساميين في وادي الرافدين سابقة للحضارة البابلية.

أصبح السومريون حقيقة واقعة بفضل الحفريات في طلوه التي أجراها أرنست دو سارزيك Ernest de Sarzec القنصل الفرنسي في البصرة. ففي عام ١٨٧٤م أخبر بعض الأعراب دو سارزيك بوجود تماثيل حجرية في طلوه، وعليه بدأ حفرياته هناك في عام ١٨٧٧م، وواصل عمله على فترات متقطعة حتى عام ١٩٠٠م. كان يظن أن الموقع هو مدينة لاغش (لاخش) السومرية، وقد عثر على

عدة منحوتات قديمة ترجع إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، من بينها التماثيل النصفية لغودي الحاكم السابع للاغش. يصف دليل متحف اللوفر لعام ١٩٠١م لاغش بأنها تمثل: «بومبي الآثار البابلية» ويعلن أوبرت أنه: «منذ اكتشاف نينوى... لم يتم اكتشاف يضارع الاكتشافات الكلدانية الأخيرة». إن الفضل يعود إلى أعمال سارزيك في تعريفنا بشكل واضح بفنون السومريين القدماء وتاريخهم ولغتهم. لقد كان مخطئاً في رعمه عن لاغش، إذ تبين الآن أنها ليست طلوه وإنما هي تل الهبا المجاور. أما طلوه فهي قرشو Girsu القديمة (انظر سلتون لويد Selton Lloyd آثار وادي الرافدين *The Archaeology of Mesopotamia*).

نظمت أول بعثة أثرية أمريكية لوادي الرافدين في عام ١٨٨٤م، وقد كانت بعثة استطلاعية فقط، إلا أنه بعد ثلاثة سنوات بدأ بيترز Peters وهلبرخت Hilprecht حفريات في نيور، انتهى الموسم الأول بكارثة حيث أغار رجال القبائل على المعسكر، بعد ذلك عاودوا الحفريات مرة أخرى في عام ١٨٩٠م واستمرت حتى عام ١٩٠٠م، وقد تمكنت البعثة من العثور على ٥٠٠٠٠ لوح مكتوب، معظمها باللغة السومرية تغطي فترة زمنية تزيد على ألف عام.

بعد عشرة أعوام من بدء أعمال سارزيك في طلوه قامت بعثة ألمانية تحت رعاية جمعية المستشرقين الألمان بمسح استطلاعي لعدد من المواقع السومرية المهمة، إلا أنها لم تقم بأية حفريات كاملة في أي منها، كان هذا هو بداية الاهتمام الألماني الجاد بوادي الرافدين. فمنذ عام ١٨٩٩م وحتى اندلاع الحرب في عام ١٩١٤م ظل الألمان بقيادة روبرت كولدي Robert Koldewey وولتر أندري Walter Andrae يحفرون بصورة شاملة في موقعي بابل وآشور. لخص كولدي أعماله في بابل في كتابه الحفريات في بابل (١٩١٤) *The Excavations at Babylon*. لقد جلب إلى وادي الرافدين أساليب الحفريات التي طورها

الألمان في العالم الكلاسيكي، وكانت أعماله هي أول حفريات علمية مكتملة تجري في موقع كبير في وادي الرافدين.

قام ولتر أندري بحفريات في آشور من عام ١٩٠٣م إلى ١٩١٤م. هنا لم يكتف فقط بأن يجري حفريات بدقة وبمقدرة فائقة في أول عاصمة للآشوريين، بل تبنى للمرة الأولى في وادي الرافدين الحفر بواسطة نظام المجسات، اخترقت حفريات الألمان معبد عشتار وبقايا المعابد الأخرى تحته حتى وصلوا إلى المعبد السومري القديم. وصف سلتون لويد العمل الأثاري في آشور على أنه: «عمل أثاري فذ ذكي رسم الطريق للاختبارات المستقبلية القائمة على تعاقب الطبقات» أساسات في الغبار (Foundations in the Dust: 1947: 202).

لقد كانت المباني التي قام الآثاريون بالتنقيب فيها في اليونان ومصر مبنية من الحجارة، أما العمارة في وادي الرافدين فكانت في معظمها من الطوب (اللين)، وكان تتبع هذه الجدران من الأمور غير المعروفة للمنقبين الأوائل، وكان كولدفي وأندري أول من تتبع هذه الجدران المصنوعة من الطوب (اللين) بنجاح.

الآثار الكلاسيكية :

يعزى تطور علم الآثار في اليونان وإيطاليا - على الأقل في النصف الأول من الفترة التي يعالجها هذا الفصل - إلى أعمال الألمان والنمساويين من المختصين والهواة. حفر الإسكندر كونزه Alexander Conze في ساموثريس في عام ١٨٧٣ و ١٨٧٥م، وقد صحبه اثنان من المعمارين ومصوّر إلى جانب رجل من الجيش وضعتهم الحكومة النمساوية تحت تصرفه. قام كونزه بنشر تقرير مطول كامل عن حفرياته، وصف بأنه أول تقرير حفريات «حديث» بين أيدينا، لقد تضمن خُطّاً جيدة الرسم وصوراً فوتغرافية، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تستخدم فيها الصور الفوتغرافية في التقارير الأثرية.

أنشأ فرع من المعهد الألماني للآثار في أثينا خلال العقد الثامن من القرن التاسع عشر، وبدأت الحفريات في أوليمبيا تحت إشراف إيرنست كورتيوس Ernst Curtius ومساعدته المعماري فريدرش أدلر Friedrich Adler، هذا العمل الضخم استغرق زهاء خمسة مواسم شتوية من عام ١٨٧٥ إلى ١٨٨٠ م. دفعت الحكومة ٣٠.٠٠٠ جنيه إسترليني كما تحمل الإمبراطور وليم تكلفة الموسم الأخير. سمحت الحكومة اليونانية بنسخ من المعثورات للتصدير خارج البلاد، وعليه كان على الحكومة الألمانية أن تتخلى عن حقوقها في المادة المكتشفة، ثم أنشئ متحف صغير في أوليمبيا ليضم هذه المعثورات. وكسياسة ماريت في مصر تولد هنا أيضاً وعي أثاري ودرست طبقات أوليمبيا بعناية وسجلت بالتفصيل، وكان دوربفلد Dorpfeld يتقد حماساً من أجل تطوير طرق للتنقيب وحماية الآثار.

قادت أعمال كونزه وكورتيوس إلى حقبة ثلاثين عاماً اتسمت بتنقيبات رئيسة في الآثار الكلاسيكية، استطاعت خلالها التقاليد الألمانية التي عرفت مواقع ساموثريس وأوليمبيا أن تستقطب - إلى جانب الألمان - الأثريين الفرنسيين والبريطانيين والأمريكيين والإغريق. ومهما يكن؛ فإن الاسم الذي يرتبط عند الغالبية بتطوير الآثار الكلاسيكية لم يكن لعالم محترف بل لهاو أمضى جلّ صباه وشبابه رجل أعمال ذلك هو هاينرش شليمان (١٨٢٢ - ١٨٩٠) Hein-rich Schliemann. يرجع الفضل إلى هذا الرجل في معرفتنا الأولى الدائمة بآثار ما قبل التاريخ في بلاد الإغريق وبحر إيجه. لقد كان كما وصفه ولتر ليف Walter Loaf: «منشئ علم آثار ما قبل التاريخ في بلاد الإغريق». كانت هناك اكتشافات معزولة تخص خقب ما قبل التاريخ بين عام ١٨٢٦ م واكتشاف طروادة، إلا أنها لم تكن بذلك القدر الذي يذكر، كما أنها لم تلفت انتباه

العلماء أو خيال العامة.

وُلد سليمان لأب الماني كان يعمل قسيساً، أهدى ابنه بمناسبة أعياد الميلاد نسخة من كتاب يارر Jarrer تاريخ الكون **Universal History**، يحوي الكتاب صورة لطروادة وهي تحترق. ولأن سليمان كان شغوفاً بالملاحم الهومرية فقد احتفظ بتلك الصورة في مخيلته وهو يقوم بأعماله التجارية لمدة طويلة في هولندا وروسيا وأمريكا، كان متيقناً من صحة الأحداث التي ذكرها هومر. وحين بلغ السادسة والأربعين كان قد جمع ثروة هائلة فتقاعد عن العمل ليتفرغ لعلم الآثار وبالتحديد للعثور على طروادة. قام بأسفار مكثفة وحفر في إيتاكا Ithaca في عام ١٨٦٩م، ونشر كتابه إيتاكا والبلوبنيز وطروادة **Ithaca, The Pelopennese & Troy**، وفيه يشير إلى أن قبور أغاممنون Agamemnon وكلايمسترا Clytemnestra ليست ماسمي «بالكنوز» خارج الحصن في موكناي، ولكنها داخل الحصن وأن طروادة ليست بأسطورة وإنما تقع في هسارلك على موقع مدينة إليون التاريخية.

بعد ذلك بعامين بدأ سليمان حفريات في هسارلك حيث أمضى أربعة مواسم (١٨٧١ / ١٨٧٣ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨٢ / ١٨٨٣م)، ومن عام (١٨٨٩م حتى وفاته). أمضى الموسم الأول يعمل بمفرده وبمعاونة زوجته صوفيا الحسنة الإغريقية الأصل، وفي الموسمين الأخيرين استعان بخبرة دوريفلد الذي واصل العمل في طروادة بعد وفاة سليمان حتى عام ١٨٩٤م.

بين الموسمين الأول والثاني في هسارلك عمل سليمان في موكناي وإيتاكا؛ وفي عام ١٨٨٠م عمل في كنوز ميناس في أرخومينوس Orchomenos ، وبين عام ١٨٨٤-١٨٨٥م في ترينس. قام بنشر أعماله كاملة وبسرعة فائقة، حيث

أصدر الآثار الطروادية Trojan Antiquities في عام ١٨٧٤ ، وموكيناي Mycenae في عام ١٨٧٦ ، وأليوس Ilios في عام ١٨٨٠ وترويا Troia في عام ١٨٨٤ وأرخومينوس Orchomenos في عام ١٨٨٧ . ظهرت هذه المؤلفات في البدء باللغة الألمانية وسرعان ما ترجمت إلى الفرنسية والإنجليزية . كتب و . ي . قلاستون الذي كان يومها رئيساً للوزراء مقدمة للطبعة الإنجليزية من كتاب موكيناي في عام ١٨٧٧ م ، كما حضر اجتماع الجمعية الأثرية في لندن في آذار (مارس) ١٨٧٧ م . وحين قدم سليمان محاضرة عن موكيناي وصل المحاضر إلى لندن صبيحة يوم المحاضرة بعد «ثمانية أيام بلياليها من السفر المتواصل» .

لقد أثارت اكتشافات سليمان اهتماماً كبيراً وحماساً بالغاً حتى بين أولئك الذين لم يصدقوا بحقيقة ما عثر عليه ، وكان ذلك طبعياً إذ إنها أول حفريات بهذا الحجم الكبير يتبعها المثقفون على مستوى العالم بهذا الحماس .

برهن سليمان أن هسارلك هي موقع حصين لمستوطنة مما قبل التاريخ . لقد تعرّف إلى سبع مدن ميّز الثانية منها على أنها طروادة هومر «حصن بريام» The Citadel of Priam . وفي اليوم السابق لانتهاؤ موسم الحفريات من عام ١٨٧٣ م عثر سليمان على مجموعة كنوز ذهبية في المدينة الثانية ادعى أنها كنوز بريام . وعلى أنه أخطأ في تحديد طروادة هومر (إذ ربط دوربفلد بعد ثلاث سنوات من وفاة سليمان المدينة السادسة بطروادة هومر) إلا أنه قد حقق هدفه ، وهو أنه أثبت بالدليل الأثري حقيقة هومر . كما أنه حقق أكثر من ذلك ، إذ اكتشف مستوطنات تمتد لعدة قرون في فترة ما قبل هومر وما قبل التاريخ في هسارلك ، وكذلك حضارات بربرية غير إغريقية .

وفي موكيناي كان يأمل - وظن أنه قد فعل - أن يعثر على قبري أغاممنون وكلايمسترا . قام بالحفر في الدائرة الحجرية داخل بوابة الأسد وعثر على المقابر

المعروفة الآن بالمقابر العمودية، كانت محتويات هذه المدافن غنية للغاية، إذ حوت مزهريات من الذهب والفضة، وسيوفاً مزخرفة بالذهب والفضة والنحاس والبرونز، وخواتم وأسورة، وأسلاكاً رفيعة من الذهب لتزيين ملابس الموتى، وأقنعة من الذهب. كان يظن أن ما عثر عليه يمثل عصر ملاحم موكتيناى التي تحدث عنها هومر. تباينت وجهات النظر حول هذه الادعاءات، حيث قبلها البعض من أمثال السيد قلايستون، في حين عدها البعض مخلفات بيزنطية أو ربما كانت من أعمال السلت أو القوط أو الآفار أو الهونيين^(١)، أو هي دون تحديد تخص الشرقيين. أما كورتىوس فقد كان غيوراً حين رأى النجاح الباهر الذي حققه ابن بلده غير المحترف، فأعلن كورتىوس أن أحد الأقنعة الذهبية رسم لوجه السيد المسيح وأنها ترجع للعصر البيزنطي. جادل الكثير من العلماء في أن المعثورات - على كونها إغريقية وحقيقية - لا ترجع إلى عصر هومر بل هي سابقة له؛ ولقد كانوا محقين. لقد اكتشف شليمان في موكتيناى - كما اكتشف في هسارلك - حضارات من حقبة ما قبل التاريخ.

دار جدل حول الطرق والوسائل التقنية التي اتبعها شليمان في حفرياته، حيث يعتقد البعض أنه كان غريباً على مجال الآثار فهو رجل بنى مجده كله على ثراء معثوراته وروعتها، في الوقت نفسه رأى آخرون أنه أول آثارى حديث. سماه استانلي كاسو Stanley Casson - بشيء من المبالغة - مؤسس الوسائل العلمية في علم الآثار، وقال إن أعماله: «تمثل إبداعاً من الدرجة الأولى في استخدام الوسائل الأثرية لدراسة مخلفات الإنسان الحضارية» (اكتشاف الإنسان ١٩٣٩) (The Discovery of Man, 1939, 221). كانت أعماله

(١) الهونيون Huns أحد الشعوب المغولية التي اجتاحت أوروبا في حوالي ٤٥٠ م. (المترجم).

في طروادة أول حفريات لتل أثري، وكما قال سير جون ميرز John Myres: كانت أول حفرية بهذا الحجم لأحد مستوطنات المناطق الجافة التي لاتدل عليها مبانٍ على السطح كتلك التي سهلت المهمة في بابل ونيوى. لقد استطاع شليمان أن يثبت إمكانية تطبيق نظام تعاقب الطبقات في تل يحوي عدداً من الطبقات السكنية المتراكمة. ومنذ عام ١٨٨٢م لقي مساعدة كبيرة من دوريفلد الذي جاء ومعه نظام ومهارة الآثاريين الكلاسيكيين الألمان التي طبقت في موقع أوليمبيا.

أثار اكتشاف شليمان لاثنين من حضارات ما قبل التاريخ غير المعروفة على الفور أسئلة حول تأريخهما وأصلهما وعلاقاتهما، وحينما كان يجري حفرياته في طروادة وموكيناى كانت آثار حضارة سابقة للموكينية يجري الكشف عنها في قبرص والجزر الإغريقية. وفي عام ١٨٩٤-١٨٩٥م كانت المدرسة البريطانية في أثينا بقيادة سير سيسل سميث Cecil Smith، من المتحف البريطاني تجرى حفريات في فيلاكوبي Phylakopi على الساحل الشرقي لميلوس Melos. كان ذلك أول موقع متعدد الطبقات يتم التنقيب فيه في منطقة شرق المتوسط بعد هسارلك، وقد أمدنا بتسلسل نسبي للتطور الحضاري لحقبة ما قبل الموكينية، أو كما أخذ يطلق عليها الحضارة الكيكلادية أو الحضارة الإيجية. كانت فيلاكوبي في أول أمرها قرية صغيرة تشابه في محتوياتها تلك التي عثر عليها في مقابر تابوتية عرفت من جزر كيكلادية أخرى. والطبقة التالية من الموقع كشفت عن موقع محصن استعمل فيه النحاس والبرونز وتاجر أهله في الزجاج البركاني والرخام المحلي مع بلاد الإغريق الأم. كما عثر على فخار يماثل ذلك الذي عرف من طروادة -٢، وعثروا على أمثلة بدائية للمقابر العمودية. وفي المرحلة الثالثة عثر على مستوطنة تحمل سمات مستوطنات بلاد الإغريق الأم وفيها قصر

موكيني صغير.

جرت حفريات متقطعة في قبرص بدءاً من منتصف العقد السابع من القرن التاسع عشر. قام بهذه الأعمال رجال من أمثال الجنرال لويس بالمادي كسنولا Louis Palmma di Cesnola والإسكندر دي كسنولا Alexander di Cesnola وماكس أوهنفالش ريختر Max Ohnefalsch- Richter. وهؤلاء كانوا أشخاصاً غير علميين من الباحثين عن الكنوز، إلا أن النتائج التي وصلوا إليها أوضحت لبعض المراقبين ذوي الفطنة من أمثال سالومون رانياخ ودملر Dummler في العقد التاسع من القرن التاسع عشر أن قبرص قد شهدت عصرًا برونزيًا يشابه ذلك الذي عرفته طرواده - ٢، إلا أنها تطورت في اتجاه آخر، ثم جاءت تأثيرات موكينية وطغت على العصر البرونزي المتأخر في قبرص. قام سير جون ميرز بحفريات في قبرص في عام ١٨٩٤، وفي عام ١٨٩٩م نشر مع أوهنفالش - ريختر كتلوج متحف قبرص The Cyprus Museum Catalogue. ثم قام كل من مري Murraye واسمث Smith وولترز Walters بنشر حفريات المتحف البريطاني في قبرص في كتاب حفريات في قبرص Excavations in Cyprus الذي نشر في عام ١٩٠٠م. كشفت هذه الحفريات عن مدافن غنية بالقطع الذهبية. وهي وإن لم تكن بأغنى من القبور الموكينية العمودية إلا أنها تتميز عنها بما تحوي من قطع مستوردة من مصر والشام.

لم تنشر المعثورات من فيلاكوبي حتى عام ١٩٠٤، وفي هذه الأثناء كانت اكتشافات آرثر إيفانز في كريت قد ألقت ضوءاً جديداً على خلفية الحضارة السابقة للموكينية الخاصة ببلاد الإغريق وإيجة، وركزت على العنصر الكريتي أكثر من الكيكلادي، كذلك أحرز سليمان سبقاً كبيراً بحفرياته في كريت واكتشافه للعصر البرونزي فيها، ومواصلاً لدراسة الأسطورة التي قادته إلى

طروادة؛ لاحظ أن كنوسوس في كريت هي موطن المينوتور والملك مينوس ولبرنيث^(١) Labyrinth. وفي عام ١٨٨٣م صدر كتاب بداية الفن في بلاد الإغريق *Anfange der Kunst in Griechenland* للألماني ملشهوفر Milchhofer يشير فيه إلى نوع غريب من الأختام الحجرية المنحوتة عثر عليها في كريت تحمل علامات تشبه نوعاً من الكتابة البدائية، وأكد أن كريت ستثبت أنها إحدى أقدم مواطن الحضارة والفنون الإغريقية.

في العام نفسه - ١٨٨٣م - حصل سليمان على إذن للحفر في كيفالا موقع كنوسوس. إلا أنه في البدء لم يجد الوقت الكافي لذلك، وفي وقت لاحق كان الرجل الثري قد طعن في السن وزالت ثروته ولم يكن بوسعه أن يدفع تلك الأموال الطائلة التي طلبها صاحب الموقع، وقد استمرت تلك المداولات بينهما حتى وفاته عام ١٨٩٠م.

في هذه الأثناء كان آرثر إيفانز - الذي سبق أن عين أميناً للمتحف الأشمولي - قد حصل على ترخيص للعمل في الموقع في عام ١٨٩٤م. وفي تلك السنة طور أفكار ملشهوفر في مؤلفه كتابات كريت. وفي عام ١٨٩٨م أعلنت كريت استقلالها عن تركيا، وفي العام التالي بدأ إيفانز و د. ج. هُغارث D G Hogarth حفريات في كيفالا.

لقد توجت أعمالهما بنجاح مباشر، ففي تسعة أسابيع حفرا مايزيد على فدائين في مبنى يرجع لحقبة ما قبل التاريخ عرفه إيفانز على أنه قصر مينوس. وتابع حفرياته في كنوسوس لما يزيد على خمسة وعشرين عاماً، إلا أن معالم

(١) لبرنيث هو قصر التيه أو المتاهة وتكثر فيه الأركة والممرات وتقول الأسطورة إن المينوتور - وهو حيوان خرافي نصفه إنسان ونصفه ثور - يقوم بحراسته. (المترجم).

قصة مجده كانت قد تكونت في وقت مبكر. لقد كشف النقاب عن حضارة غير معروفة تماماً كانت قد سبقت الموكينية سماها هو المينوية. قبل الكشف عن هذه الحضارة البرونزية في كريت كان قد عثر على آثار لحضارة عصر حجري حديث في كنوسوس تمثلت في تل يبلغ ارتفاعه إحدى وعشرين قدماً (ستة أمتار ونصف)، ظهر وصف له في أول منشوراته عام ١٩٠١م، ثم أعقبه بعدة كتب خلال الخمسة عشر عاماً التالية، إلا أن التقارير الأصلية قد ظهرت في أربع مجلدات نشرت خلال الأعوام ١٩٢١ إلى ١٩٣٥م بعنوان قصر مينوس في كنوسوس *The Palace of Minos at Knossos*. قسم هذه الحضارة المينوية ثلاث حقبة، قديم ووسيط ومتأخر، ولكل منهما ثلاثة أقسام فرعية، وعندما اتجه لدراسة المادة الأثرية من فيلاكوبي قسمها بالمثل على قديم ووسيط ومتأخر بحيث تتماشى الحقبة الكيكلادية مع المينوية. وكان قد أرّخ بداية الفترة المينوية المبكرة إلى ٣٤٠٠ ق.م ونهاية المينوية المتأخرة إلى ١١٠٠ ق.م. وبحساب سمك التراكم قدر تاريخ بداية العصر الحجري الحديث في كريت بين ١٢٠٠٠ و ١١٠٠٠ ق.م.، إلا أن التاريخ المقدر له حالياً يقع في حدود ٦٠٠٠ ق.م. على الأكثر.

كان إيفانز في بداية الأمر مشدوداً إلى الكتابات الكريتية، وفي عام ١٩٠٩م أصدر مجلده الأول الكتابات المينوية *Script Minoa* الذي يحوي كتابات هيروغليفية كتلك التي ظهرت على قصر فستوس والخطين الشريطيين «أ» و «ب» اللذين كانا قد نتجا عن تبسيط للكتابة الكريتية التصويرية. منذ ذلك الحين أمكن فك رموز الخط الشريطي «ب» إلا أن الكتابة التصويرية والخط الشريطي «أ» بقيت رموزهما غير معروفة.

قوبلت اكتشافات سليمان في طروادة وموكيني بتشكك، إلا أن قلة فقط قد

شككت في أعمال إيفانز. لقد كان الأخير عالماً متخصصاً، قام بحفرياته بعد سنوات طويلة من البحث والخبرة الأثرية. وجذبت حفرياته انتباه العالم كما فعلت الاكتشافات في آشور، وكما كان أمر المعثورات التي عثر عليها سليمان واكتشاف مقبرة توت عنخ آمون والمقابر الملكية في أور خلال العقد الثالث من القرن العشرين. استطاعت اللوحات الرخامية الجدارية مثل «حامل الكوب» و «وثبة الثور» و «الجدر المغطاة برموز الفؤوس» و «الثعبان الخزفي» أن تعيد الحياة إلى الحضارة المينوية العظيمة وآثارها.

إيران والأناضول :

في عام ١٨٩١م زار جاك دي مورغن Jacques de Morgan أطلال سوسة في إقليم خوزستان، واستطاع أن يقنع الحكومة الفرنسية بأهمية هذه المنطقة. وفي عام ١٨٩٧م حصلت الحكومة الفرنسية على إذن من الشاه للتنقيب في إيران، وفي تلك السنة قامت البعثة الفرنسية في إيران باصطحاب مورغن للتنقيب عن الآثار الفارسية. وصفت هذه «البعثة» بأنها: «ربما كانت أهم حملة أثرية تغادر أوربا» (كارلتون Careton، إمبرطوريات مدفونة Buried Empires، ص ٣٤) وبقيت تعمل هناك حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

في الوقت الذي كانت الحفريات تجري في سوسة؛ حفر الأمريكي ر. بمبلي R. Pumpelly والآثاري الألماني هوبرت شمت Hubert Schmith في عام ١٩٠٢م، تلين هما: المستوطنة الشمالية والجنوبية في كرجان اللتين يبلغ ارتفاع كل منهما ما بين ٣٠ - ٤٠ قدم (٩-١٢ متراً) وكذلك في أناو قرب اشكباد في تركستان السوفيتية أو عبر بحر قزوين. وأمكن التعرف إلى أربع طبقات

حضارية في أناو^(١) وصفت بأنها حضارات وليست عصوراً أو حقبة، وذلك ضمن التقرير النهائي لبمبلي وشميت وآخرين: استكشافات في تركستان: بعثة ١٩٠٤: حضارات ما قبل التاريخ في أناو، الأصول والتطور وأثر المناخ Expeditions in Turkestan: Expedition of 1904: Prehistoric Civilizations of Anau: Origins, Growth and Influence of Environment. تحتل حفريات أناو مكاناً مهماً في تطور طرق العمل الميداني في علم الآثار ووسائله. قام هوبرت شميت - من متحف برلين لدراسة الفولكلور الذي تدرب على يدي دوريفلد في طروادة - بالحفر والحفظ والتسجيل، وقام شميت بحفر حفرة عميقة في أناو يصل عمق كل منها إلى مترين في اليوم الواحد. وكانت جميع المعثورات تسجل حسب الأماكن التي وجدت فيها بكل دقة. تحوي تقارير أناو عبارات مثل: «معظم التربة تمت غربلتها للمحافظة على القطع الصغيرة» و: «أهمية اعتبار القطع التي لا تبدو ذات أهمية كدليل يحوي قصة ما، مع تسجيل موضعها الأفقي والرأسي في ترتيب الطبقات الحضارية، الشيء الذي صار ضرورياً في كل مرحلة من مراحل تحليل النتائج». درست العظام البشرية من أناو بواسطة سرجي Sergi وموليسو Mollison، أما المخلفات العظمية الحيوانية فقد درسها دويرست Duerst من زيورخ، وبقايا النباتات بواسطة شلنبرج Schellenberg في الوقت الذي قام فيه ف. أ. غوخ F. A. Gooch بإجراء تحليل كيميائي على القطع المعدنية، لقد كانت حفرة حديثة بحق، استطاع شلنبرج إن يميز نوعاً من القمح ونوعين من الشعير من طبقات المخلفات النباتية ومن قشور الحبوب المغطاة بالسليكا. اشتكى دويرست من أن العظام الحيوانية كانت تزن

(١) أناو موقع في تركستان الحالية يؤرخ إلى الألف الرابع ق.م. (المترجم).

نصف طن وأن دراستها قد أضاعت كل وقته حيث أمضى فيها ثلاثة سنوات .
وصرح أنه يستطيع أن يوضح مرحلة انتقال كل من البقر الوحشي والخنزير
والضأن من أصوله البرية إلى الأنواع المستأنسة .

شهدت هذه الفترة أيضاً اكتشافات أثرية مهمة تخص الحيشين^(١) . إن معرفتنا
الحديثة بالحيشين القدماء تعود إلى عام ١٧٣٦م حين اكتشف جان أوتر Jaan
Otter النقوش الحيشية في إفريز في جنوب كابا دوسيا . وفي عام ١٨١٢م عثر
بورخارت Burckhardt على نقوش حماة ، وعثر على أشياء أخرى مشابهة إلى
جانب أختام وطبعات أختام وذلك في بداية القرن التاسع عشر ، إلا أن هذه
المعثورات لم تقابل باهتمام فوري حتى العقد السابع والثامن من القرن التاسع
عشر . وفي عام ١٨٦١م أرسل جورج بيرو George Perrot - أحد العاملين
بتاريخ الفن - إلى أنقرا لكشف آثار أغسطس ، ومن هناك سافر شرقاً إلى تلال
كابا دوسيا ، حيث عثر عند قرية تركية تسمى بوغازكوي Boghazkoy عند
منحنى نهر هالس على بقايا مدينة محصنة تحوي تماثيل تختلف تماماً عن
تلك الفنون المعروفة وقتها من مصر ووادي الرافدين أو من عالم الإغريق
والرومان الكلاسيكي ، لقد اكتشف بيرو آثار حضارة أخرى لم تكن معروفة .

أعيد اكتشاف نقوش حماة Hamath في عام ١٨٧٠م إلى جانب نقوش
أخرى عرفت لأول مرة . نشر رتشارد بيرتون في كتابه سورية غير المكتشفة
(١٨٧٢) Unexplored Syria نسخة من تلك النقوش ، كما قام دكتور و . رايت

(١) الحيشون Hittites شعب يتحدث لغة هندية أوروبية أغار على الأناضول وسيطر عليها قبيل ١٧٠٠ ق.م .
عرفوا بمهارتهم العسكرية وبصناعة الحديد . ومن عاصمتهم حاتوشا لعبوا دوراً في تاريخ الشرق الأدنى
القديم ، وفي الصراع بين آشور ومصر . حاربوا رمسيس الثاني في كادش وقد زالت سلطتهم في حوالي
١٢٠٠ ق.م . نتيجة غارات الفريجين Phrygians من الشمال الغربي . (المترجم) .

W Wright المبشر الأيرلندي في دمشق بإرسال الألواح المكتوبة إلى المتحف في القسطنطينية. وفي الوقت نفسه أرسلت نماذج من الجص لهذه الألواح إلى المتحف البريطاني الذي كان قد حصل على عدد من النقوش من جيرابلس وهي قرقيش القديمة.

أثبت بيرتون أن الكتابة التي وجدت على ألواح حماة قد كتبت بخط غير معروف، وكان بيرو قد ذكر أن تماثيل بوغازكوي تخص مجموعات غير معروفة، جاء رايت ليشرح فكرة أن هذه التماثيل والكتابات تخص الحيثيين الذين جاء ذكرهم في العهد القديم، وفي عام ١٨٨٤م نشر كتابه إمبراطورية الحيثيين **Empire of Hittites** جامعاً فيه كل المعلومات الأثرية المتوافرة في ذلك الحين، إلى جانب محاولة قام بها أ. هـ. سايس A H Sayce الذي كان وقتها أستاذاً للدراسات الآشورية بجامعة أكسفورد لفك الرموز الكتابية. بعد ذلك بأربعة أعوام استطاع سايس في كتابه **The Hittites** أن يبرز للوجود بذكاء الصورة المنسية لإمبراطورية الحيثيين.

خلال الأعوام ١٩٠٦ - ١٩٠٨م قام فريق من العلماء الألمان والأتراك تحت قيادة الأستاذ هوغو فنكلر Hugo Winckler بالتنقيب في المدينة المحصنة التي عثر عليها بيرو، حيث أثبتوا أن بوغازكوي هي حاتوشا Hattusas عاصمة الحيثيين. هذه الحفريات بالرغم من محدوديتها من ناحية الأهداف والوقت المتاح قد كشفت عن آلاف النقوش التي كونت مجموعة الوثائق الرسمية لمكتب الاتصالات الخارجي للحيثيين خلال الفترة من ١٣٥٠ ق.م إلى ١٣٠٠ ق.م. وتشير هذه الوثائق إلى أقوام مثل المصريين والبابليين والقبازصة والأهياويين، وهم قوم وصفوا بأنهم استقروا على السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى وقبرص، وعرفوا الآن بأنهم الآخيون.

في عام ١٩٠٧م أصدر العالم التشيكي فردريك هروزني Friedrich Hrozny كتابه منشورات جمعية المستشرقين الألمان **Mitteilungen der Deutschen Orient Gesellschaft** وجاء فيه بمفتاح ترجمة الوثائق الحيثية التي أعدها بالتفصيل في كتابه لغة الحيثيين (١٩١٧) **Die Sprache der Hethiter**.

قامت بعثة من المتحف البريطاني بقيادة هوغارت Hogarth وكامبل طومسون Campbell-Thompson و ت.ي. لورانس T E Lawrence ولينارد وولي Le-onard Woolley بحفريات قبل الحرب العالمية الأولى في قرقيش، وهي نقطة حدود جنوبية للحيثيين في شمال سورية.

أوروبا البربرية :

الفترة التي نحن بصدددها هنا التي يمكن تحديدها من نابليون الثالث إلى بت - ريفرز؛ كانت فترة خصبة بالنشاطات الأثرية الخاصة بالمرحلة التي أعقبت العصر الحجري القديم في أوروبا، وقد سبقت الإشارة إليها بصورة عامة حين عرضنا للمحاولات التي أجريت لتقسيم حقبة العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي والعصر الحديدي. اهتم نابليون الثالث بالآثار الفرنسية وكان حريصاً على النظر إلى ما قبل الاحتلال الروماني لبلاد الغال وإمكانية إبراز دور الغال - بصورة إيجابية - في التطور الحضاري لفرنسا في مرحلة ما قبل الرومان.

لم يكن بين الشخصيات الرئيسية التي عملت في حقل الآثار الأوربي في تلك الفترة من هو أكثر بريقاً وتأثيراً على الآثار البريطانية ومن بعدها الآثار الأوربية من بت - ريفرز. ولد الرجل الذي يُعرف في كتابات الآثاريين باسم الجنرال بت - ريفرز - الذي عرف أولاً باسم لين فوكس Lane Fox ، لكنه في

عام ١٨٨٠م غير اسمه إلى ريفرز عندما ورث إقطاعات ريفرز الشاسعة التي تزيد مساحتها عن ٢٩ ألف فدان من الأرض التي تحوي معظم كرانبورن شيس - في جنوب إنجلترا. كان الكلونيل لين فوكس مهتماً باستعمال نوع من البنادق القديمة وتطويرها، ودرس تطور الأسلحة النارية وانتهى إلى ترتيب مجموعات منها في تسلسل تطوري. وعندها قرر أن كل الثقافة المادية يمكن عدها أدوات نستطيع ترتيبها في تسلسل نوعي يظهر تطورها^(١)، هنا كان يسلك تلك الخطى التي سبقه إليها الآثاريون الدنماركيون والسويديون، كما كان يسير في خط متوازٍ مع جون إيفانز في إنجلترا ومونتليوس في السويد.

ولإثبات نظرية التطور النوعي للأدوات بدأ يجمع كل ما تقع عليه يده، وسرعان ما تحول منزله إلى مستودع تتكدس فيه المعثورات. وفي عام ١٨٥١م استعار متحف بثنال غرين تلك المجموعة، وفي وقت لاحق أخذت إلى ساوث كترنغتون^(٢) وأخيراً إلى أكسفورد حيث صمم لها متحف خاص في المتحف الجامعي. نظمت القطع الأثرية في متحف بت - ريفرز على أسس تصنيفية ونوعية، بهذا الترتيب والدفاع عنه في محاضراته وكتاباته قدم الدليل العملي على أهمية الدراسات الإثنوغرافية لعلم آثار ما قبل التاريخ. وكان مثل فلنדרر يبتري مصمماً على أن علم الآثار ليس دراسة للمعثورات الفنية وإنما هو دراسة لكل المعثورات. ركز على أن مجموعته: «ليس الغرض منها إبهار أي شخص بجمال ما هو معروض أو قيمته، ولكنها لغرض الدراسة، ولهذا الغرض فقد

(١) يعد بت - ريفرز من الآثاريين الرواد الذين طوروا وسيلة التتابع Seriation وسيلة للتأريخ النسبي (بعد محاولة قام بها جون إيفانز في النصف الأول من القرن التاسع عشر)، وكان أول من أدخل عبارة «تصنيف» typology في علم الآثار. (المترجم).

(٢) بثنال غرين وساوث كترنغتون من بين أحياء مدينة لندن. (المترجم).

اختيرت عينات عادية ومثلة أكثر من كونها قطع نادرة، وتم عرضها بشكل متسلسل».

قبل أن تؤول إليه ملكية إقطاعيات كرانبورن كان لين فوكس قد أجرى حفريات في كل من إنجلترا وويلز، كما أجرى حفريات كذلك في هيثابو في شلفزفج. وفي ما بين الأعوام ١٨٨٠ و ١٩٠٠م - دون أن تعوقه الاعتبارات المادية أو يقف في وجهه عامل الوقت والعمالة - أجرى بت - ريفرز حفريات في معسكرات وقرى وجبانات ومقابر ركامية وخنادق شملت وريرو وبكرلي ودايك ووديتس وروورلي^(١). وكان صاحب فكرة حفر الموقع الأثري بأكمله، وقد نفذ ذلك عملياً مؤكداً أهمية الإستراتغرافيا وضرورة تسجيل كل معثور في مكانه. كان مقتنعاً بضرورة إعداد خرائط دقيقة وقواطع ورسوم مفصلة ووصف لكل حفرياته، كما قام بعمل نماذج مجسمة للمواقع الرئيسة. ونشرت نتائج حفرياته في حينها في أربع مجلدات طبعت على نفقته خلال السنوات ١٨٨٧ و ١٨٩٨م تحت عنوان حفريات في كرانبورن شيس **Excavations in Cranborne Chase**. جاء عمله رفيعاً بكل المقاييس، ففي خلال خمسة عشر عاماً حول الحفريات من هواية ممتعة إلى مهنة علمية شاقة. لقد كان متقدماً كثيراً على معاصريه من المنقبين. يقول ر.ج. كونلنود R. G. Colingwood إن بت - ريفرز كان متقدماً من عدة أوجه على الوسائل الحديثة لعلم الآثار. والكثيرون من العاملين بمهنة التنقيب الأثري اليوم يحسدونه على مصادره والطريقة التي نفذ بها حفرياته بما تميزت به من حسن أداء وانضباط لا تتوافران إلا في العمليات العسكرية.

(١) هذه أسماء بعض المناطق في بريطانيا.

كان لبت - ريفرز أثر كبير على شخصية شبه عسكرية أخرى هي مورتمر ويلر كما سنرى. نشر مايكل طومسن Michael Thompson مؤخراً صورة مفصلة عن هذه الشخصية المتميزة في كتابه الجنرال بت - ريفرز (١٩٧٧) **General Pitt-Rivers**.

لا يسع المجال هنا لذكر تفاصيل الأعمال الأثرية التي تمت خلال هذه السنوات، إلا أننا لابد أن نشير بصفة خاصة إلى العثور على سفن غوكشتاد وأوسبرج.

في عام ١٨٨٠ بدأ ابن مزارع يمتلك قبراً ركامياً في غوكشتاد إلى الغرب من خليج أوسلو حفريات في القبر، كان الصبي يبحث عن كنز إلا أنه وجد بدلاً منه إحدى سفن الفايكنج^(١). كان طولها ثمانين قدماً (أربعة وعشرين متراً) ويعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي. والمخلفات البشرية التي حوتها حجرة الدفن ربما كانت للملك أولاف غايرشتادراف Olaf Geir-stadralf من أسرة ينغلنجر. وبعد ذلك بربع قرن وبينما كان بروفيسر غوستافسن Gustafson يحتفل بعيد ميلاده في المتحف القومي في أوسلو قاطعه أحد المزارعين قائلاً: إنه عثر في أرضه على بقايا سفينة مشابهة. كانت تلك الأرض في منطقة أوسبرج، على بعد عشرة أميال إلى الشمال من غوكشتاد، وثلاثين ميلاً إلى الجنوب من أوسلو، قام غوستافسن بالتنقيب عن السفينة الشراعية التي بلغ طولها سبعين قدماً (واحداً وعشرين متراً) وتقع سفينة غوكشتاد وأوسبرج الآن في متحف خاص شيد من أجلها في ضواحي مدينة أوسلو.

(١) الفايكنج Vikings هم سكان إسكندنافيا ما بين القرن الثامن والثاني عشر الميلادي، وقد كانوا بحارة مهرة وبناء سفن وأصحاب تجارة واسعة، امتد نفوذهم ليغطي سواحل أوروبا وجزر المحيط الأطلسي الشمالي. (المترجم).

أمريكا :

يمثل كتاب هافن Haven الآثار في الولايات المتحدة Archaeology of the United States والرحلات المصورة لاستيفنز Stephens وغازرود Gather-wood علامة فاصلة في مسيرة علم الآثار الأمريكي في القرن التاسع عشر. تبع هؤلاء رحالة آخرون من أمثال ديسير شارني Desire Chrnay الذي نشر كتابه المدن القديمة في العالم الجديد The Ancient Cites of the New World في عام ١٨٨٧. كذلك قام أغسطس لوبلنجون Augustus le Plongeon - وهو شخص غريب الأطوار - بحفريات ونشر كتابه الملكة مو وأبو الهول Queen Moo and the Egytian Sphinx في عام ١٩٠٠ م. أما الإنجليزي ألفرد ب. مودسلي Alfred P. Maudslay فقد نشر نتائج رحلاته ومسوحاته في أربع مجلدات سماها البايولوجيا في أمريكا الوسطى Biologia Centrali America خلال الأعوام ١٨٨٩ - ١٩٠٢ م.

كانت أول حفرة كبيرة مهمة تجرى في أمريكا الوسطى هي تلك التي قام بها متحف بيودي التابع لجامعة هارفارد في موقع كوبان مركز ألمانيا في هندوراس. وقام بالعمل كل من م. ه. سافيل M. H. Saville وجون أويتز John Owens (الذي توفي أثناء الحفريات) و ج. ه. غردون G. H. Gor-don، وقد نشر جزء من الحفريات في كتاب غردون خرائب ما قبل التاريخ في كوبان، هندوراس Prehiotoric Ruins of Copan, Honduras (١٨٩٦). أما بداية الملاحظات الإستراتيجية في آثار أمريكا الوسطى فيعود فضلها إلى غاميو Gamio وبواس Boas في إقامة تسلسل حضاري من ثلاث مراحل اعتمد على دراسة الفخار والدمى في وادي المكسيك.

كانت بيرو أكثر حظاً في الانتفاع من خدمات الألماني ماكس أول (١٨٥٦ -

Max Uhle (١٩٤٤). تدرب ماكس على اللغات القديمة ثم تحول إلى الآثار والإثنوغرافيا، وحينما كان يعمل في متحف درسدن التقى ألفونس شتوبل Al- phons Stubel الذي حفر مع فلهلم رايس Wilhelm Reiss جبانة على ساحل بيرو. تعاون أول وشتوبل في إصدار كتاب بعنوان التماثيل القديمة في موقع تيهواناكو (١٨٩٢) Die Ruinenstaette Von Tiahuanaco اعتماداً فيه على مذكرات شتوبل الميدانية والصور التي التقطها في الحقل. بعد ذلك انتقل أول إلى أعمال ميدانية في أمريكا الجنوبية وعمل هناك فترات متقطعة مدة ثلاثين عاماً، حيث عمل في البداية في بيرو وبوليفيا وتحول في وقت لاحق إلى شيلي والأكوادور. كانت حفرياته الرئيسية في بيرو في موقع في باغات كاماك إلى الجنوب من ليما، وكان على معرفة بالتسلسل الناتج عن دراسة الإستراتغرافيا كما كان متأثراً بأعمال فلندز بيتري في مصر. وصف ويلي Willey وسابلوف Sabloff المجلد الذي أصدره بعنوان باغاكاماك Pachacamac (١٩٠٣) بأنه أحد معالم علم الآثار الأمريكي Willey and Sabloff: A History of American Archaeology, 1974, 78). لقد آمن بضرورة وجود مقياس زمني للآثار الأمريكية وكتب يقول: «إن أول شيء يجب عمله في الدراسات الأمريكية هو تقديم فكرة الزمن لحمل الناس على الاعتراف أن الأنواع قابلة للتغير».

في هذه الحقبة من عمر الآثار الأمريكية التي نرصد فيها ليس الأسفار والمسوحات الميدانية وبداية الحفريات فحسب، بل ودراسة النقوش الهيروغليفية والأدب الشعبي؛ كان الفرنسي الأب براسير دو بوروبورغ (١٨١٤ - ١٨٧٤) Abbé Brasseur de Bourbourg من شمال فرنسا مولعاً منذ السابعة عشرة من عمره «بالحقائق الجغرافية عن أمريكا». وقد أثارت قراءته تقرير في الغازة الفرنسية Gazette de France أن مزارعاً برازيلياً عثر على حجر مسطح ودروع

وأسلحة مقدونية تحمل جميعها كتابات إغريقية. وهب براسير حياته لدراسة تاريخ الهنود المكسيكيين ولغتهم وحضارتهم وترجمة المخطوطات المحلية. وكان عمله على كتاب لانداء علاقات يوكاتان *Relacion de las Cosas de Yucatan* وعلى وثائق تخص المايا قد وفر مادة يستطيع الآثاري بواسطتها فهم معثوراته وتفسيرها. استطاع أرنست و. فروستمان Ernst W Frostemann الذي لُقّب بـ«أب البحوث الهيروغليفية للمايا» أن يفك أجزاء من كتاب أصلي للمايا يعرف بـ وثائق درسدن *Dresden Cokex* مركزاً على الأرقام والتقويم وبذلك أصبح بمقدور الآثاريين تأريخ آثار المايا بواسطة المخطوطات. ونشر مؤلفه تعقيب على مخطوطات المايا في المكتبة الملكية العامة في درسدن في عام ١٩٠٦ *Commentry on the Maya Manuscript in the Royal Public Library at Dresden*. كذلك أصدر أدفارد زيلر Edward Seler أبحاثه عن وثائق وأيقونات المايا في خمس مجلدات بعنوان مجموعة دراسات في علم اللغات والتاريخ القديم لأمريكا *Gesammelte Abhandlungen Zur Amerikanischen Sprach und Alterthumskunde* (١٩٠٢ - ١٩٢٣). أما شارلس بودتش Charles Bowditch فقد أصبح حجة في علم الفلك عندما نشر كتابه الترقيم ونظام التقويم والمعرفة الفلكية عند المايا *The Numeration Calendar Systems and Astronomical Knowledge of the Mayas* في كيمبريدج، ماسشوست في عام ١٩١٠م. ثم استنفر حملة كبيرة من متحف بيودي لإجراء أعمال ميدانية وحفريات وإجراء أبحاث مكتبية ودراسات متحفية في آثار المايا.

هذا الضوء الجديد الذي سلط على آثار أمريكا الوسطى جمعه ه.ج. اسبندن H. J. Spinden في كتابه دراسة في فن المايا *A Study of Maya Art* (١٩١٣) وكذلك توماس أ. جويس Thomas A. Joyce في كتابه آثار المكسيك

Mexicon Archaeology (١٩١٤). فكلاهما وضع نظام تسلسل زمني قائماً على الحفريات والمباني المؤرخة وتطور الطرز الفنية وتداخل ذلك مع التقاليد المحلية، وكان ذلك بداية عهد جديد في آثار أمريكا الوسطى.

في مجال دراسات أمريكا الشمالية أيدت البحوث التي قدمها سايرس توماس مثل من هم بناء التلال **Who were the Mound Builders** وتقرير الجمعية الأمريكية الإثنوغرافية عن استكشافات التلال (١٨٩٤) **Report on the Mound** **Explorations of the Bureau of American Ethnology** (١٨٩٤)؛ ما ذهب إليه هفن وآخرون في الماضي من أن الهنود الحاليين هم استمرار لبناء التلال من الماضي، ومن جهة أخرى فقد قام ف. و. بتمان F. W. Putman مدير متحف بيودي بتدريس طلابه الوسائل الحديثة في العمل الميداني والحفريات. ويعد البحث الذي نشره تحت عنوان وسائل البحث الأثاري في أمريكا **Methods of Archaeological Research in America** في المجلد الخامس من نشرة جامعة جون هبكتز (١٨٨٦) مثلاً جيداً لتلك التعاليم، إلا أننا إذا نظرنا إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين بوصفه فترة ملأى بالأمل للآثار الأمريكية؛ فإن الفترة قيد البحث تركز الانتباه بطريقة درامية على الأخطار الموروثة في التفسير الأثاري.

من المؤسف أن القرن التاسع عشر ومن بعده وبصورة أكبر القرن العشرين كانا فترة تطور للأسطورة الأمريكية وخلق ماضي مصطنع لهنود ما قبل كولمبس. أعجب أدوارد كنج فيمونت كنجسبره (١٧٩٥ - ١٨٣٧) Edward King - وهو نبيل أيرلندي غريب الأطوار حين كان طالباً بجامعة أكسفورد - بمخطوط مكسيكي في المكتبة البولندية وشغف على الفور بالآثار المكسيكية. فقام بنشر كتابه آثار المكسيك (١٨٣١ - ١٨٤٨) **Antiquities of Mexico** في تسع مجلدات

أنيقة على نفقته الخاصة بتكلفة كبيرة مما دفعه إلى الاستدانة، الشيء الذي انتهى به إلى السجن في ثلاث مناسبات. وفي الأخيرة منها توفي بمرض التايفويد كما يعتقد البعض، بينما يرى آخرون أنه توفي بمرض القلب. أثناء عمله وصل إلى قناعة أن هنود المكسيك قد انحدروا من قبائل بني إسرائيل المفقودة. لقد كان محزوناً أن يجنح إلى شواطئ الآثار الوعرة، إلا أننا يجب ألا ننسى تلك الجوانب الإيجابية من عمله، كتب بانكروفت Bancroft عنه قائلاً: «هنالك كبرياء علمي في أعماله لم يبلغه أولئك الذين لاموه وسخروا منه، وعلى الرغم من أننا قد نبتسم أحياناً لسذاجته ونأسف على كون ذلك الحماس الدافق قد ذهب إلى غير مكانه، إلا أننا يجب أن نتحدث عنه ونفكر فيه باحترام بوصفه شخصاً أفنى حياته وماله - إن لم يكن عقله - في أمر جاد لتسليط الضوء على واحدة من أكثر الأمور غموضاً في التاريخ البشري».

توصل فالدك Waldeck إلى استنتاج في نهاية المطاف إلى أن مدنيات الدنيا الجديدة أقدم زمناً من تلك التي عرفها الشرق الأدنى التي ارتبطت بها عبر قارة أطلانطا. أما الأب براسير دو بوربورغ فبعد سنوات من العمل الدقيق في وثائق المايا خرج عن طوره وقرر أن الوثائق التي ظل يعمل عليها مدة طويلة هي قصص رمزية وليس لها أرضية تاريخية، شأنها في ذلك شأن السجلات المصرية، وهي جميعها وفدت من أطلانطا التي شهدت مولد الحضارة. قام أغسطس لوبلنجنون بربط المايا ليس فقط بقارة أطلانطا ومصر بل بالقبائل الإسرائيلية والرغفيدا الهنود والكتب الصينية الخاصة بملك شو، كما أن لهم علاقة بميلاد المسيحية. وأعلن كذلك أن آخر كلمات السيد المسيح بالآرامية التي جمعت إلى الإنجيلية كانت تقول «إلهي، إلهي لماذا تتخلي عني» وهي ذات عبارة المايا التي تعني: «الآن، الآن أغرق الحبر الأسود فوق أنفي» كان مؤمناً

بوجود مستوطنات للمايا على ضفاف النيل، قامت الملكة مو بزيارتها عندما طردت من شيش اتزا، كما زارت أطلانطا في طريقها.

قوبلت كتابات كنجسبره وفالدك وبراسير دو بوربورغ ولوبلنجنون باهتمام محدود؛ إلا أن فكرة أطلانطا قد وجدت رواجاً واسعاً خاصة في كتابات أغناطيوس دونلي Ignatius Donnelly الذي نشر أطلانطا: عالم ما قبل الطوفان في عام ١٨٨٢م **Atlantis: The Antediluvian World**، يقول: إن أهل أطلانطا يمثلون حضارة مفقودة جاءت إلى أمريكا الشمالية والوسطى، وإن التلال هي مخلفاتهم، وقد توغلوا جنوباً إلى المكسيك حين هاجمهم السكان المحليون المتوحشون. وقد أعيدت طباعة كتاب أطلانطا خمسين مرة، ولا تزال تعاد طباعته، وقد أحدث من الضرر على التفكير السليم أكثر مما سببه كتاب المصريون القدماء لإليوت اسمث. كان غلادستون رئيس الوزراء البريطاني معجباً بأعمال شليمان، وقد أيقن أيضاً أن دونلي على حق لدرجة أنه طلب من البرلمان تمويل بعثة للبحث عن أطلانطا، ولكن طلبه - لحسن الحظ - رفض من قبل البرلمان.

علم الآثار في عام ١٩١٤م:

الآثاريون والجيولوجيون الذين رفضوا في منتصف القرن التاسع عشر فكرة العمر القصير للجنس البشري الذي يبدأ بعام ٤٠٠٤ ق.م. لزالوا حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعترضهم صعوبة إيجاد نظام نسبي أو مطلق للتسلسل، يؤرخون به حضاراتهم وعصورهم التاريخية. أصدر جيمس جيكي James Geikie كتابيه العصر الجليدي وعلاقته بآثار الإنسان **The Great**

Ice Age and its relation to the Antiquity of Man (١٨٨١) وأوروبا ما قبل التاريخ (١٨٧٤) **Prehistoric Europe**، وفيهما اقترح نظاماً لأربعة عصور جليدية كبرى وعصر جليدي خامس قصير. وزعم أن الإنسان قد ظهر أول مرة في الحقبة بين العصر الجليدي الثاني والثالث. وبين عامي ١٩١٠ و ١٩١٩م قدم بنك Penck وبركنر Bruckner نظاماً يحوي أربعة عصور جليدية سميها: غنز Gunz ومندل Mindel ورس Riss وفيرم Wurm وذلك حسب أسماء بعض المواقع السويسرية، وذكر أن الإنسان ظهر أول مرة في أوروبا في حقبة مندل - رس.

وفي الفترات التي أعقبت العصور الجليدية حلت مكان ظاهرة العصور الجليدية والفترات التي تخللتها ظاهرة السواحل المرتفعة والتغيرات المناخية. فبعد إجراء بعض الدراسات المجهرية على المخلفات النباتية استطاع بليت Blytt وسرناندر Sernander التمييز بين خمسة أقسام للفترات التي تلت العصور الجليدية، وهي ما قبل البورال Pre-Boreal والبورال Boreal والأطلنطي At-lantic والبورال الجزئي Sub-Boreal والأطلنطي الجزئي Sub-Atlantic. وقد تأكدت هذه التقسيمات عبر دراسات بذور اللقاح التي طورها لينارت فون بوست Lennert Von Post أول مرة.

اتخذت محاولة وضع تسلسل مطلق للعصور الجليدية والعصور المناخية التي تلتها مسارين؛ أولهما بواسطة حساب تقديري ارتكز على سمك الطبقات، وثانيهما بالتقنية الجيوكرونولوجية. قدر آرثر إيفانز بداية العصر الحجري الحديث في كريت بحوالي ١٠٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠ ق.م. وفي أناو أجرى بمبلي إحصائيات استندت على زيارة قام بها إلى مصر خلال عام ١٩٠٦ / ١٩٠٧م حيث قدر نسبة تراكم بعض المخلفات السكنية هناك بـ ١٦ ر قدم في كل قرن.

وقد اعتمد على هذه الأرقام ليعطي بداية أناو - ١ تأريخاً في الألف العاشر قبل الميلاد، كذلك اقترح دي مورغن تأريخاً مبالغاً فيه بالنسبة لسوسة - ١. أما شمت فإنه لم يوافق بمبلي على اقتراحه واقترح تأريخاً لأناو - ١ في الألف الثالث قبل الميلاد. جاء تقرير حفريات أناو محيراً إذ أورد كلا التاريخين؛ تاريخ بمبلي وكذلك التاريخ الذي اقترحه شمت الذي يختلف عنه كثيراً. لقد قُدمت تقديرات كثيرة عن طول العصر الجليدي تبعاً لسمك الترسبات، من بينها تقدير بنك الذي قدر له عمراً يصل إلى ٦٠٠ ألف سنة.

أما الوسيلة الثانية أو الجيوكرونولوجية فقد تضمنت حساب حلقات الأشجار وحساب موجات الصلصال Clay Varves^(١). كان القس مناسيح كتلر Manasseh Cutler قد استخدم حساب حلقات الأشجار لتأريخ بناء التلال في أمريكا، كما أن توماس جفرسون قد ركّز على أهمية هذه الوسيلة. وفي عام ١٨١١م قام دكتور ويت كلنتون Witt Clinton باستخدام حلقات الأشجار لتأريخ بعض الأعمال بالقرب من كنديغوا بولاية نيويورك. هذه المجهودات الرائدة طورت بواسطة أ.ي. دوجلاس A. E. Douglass في عام ١٩٠١م إلى وسيلة علمية. وبهذه الوسيلة أرّخت حضارة صانعي السلال في أمريكا إلى بداية الحقبة المسيحية، أي خمسة عشر قرناً قبل أن يصل كولبس إلى أمريكا.

كان السويدي البارون غيرار دو غير Baron Gerhard de Geer هو أول من أشار إلى إمكانية استعمال موجات الصلصال، وهي إحصاء موجات الصلصال التي خلفتها الطبقات الجليدية المنحسرة في نهاية العصر الجليدي وسيلة للتأريخ

(١) تعرف Clayvarves أيضاً برقائق الوحل. (المترجم).

وذلك في عام ١٨٧٨^(١). بدأ عمله الميداني في عام ١٩٠٥ م وفي عام ١٩١٠ م نشر مقاله المعروف جيوكرونولوجيا الاثني عشر ألف عام الأخيرة A Geo-chronology of the Last 12000 Years اتخذ دوغير في عام ٦٨٣٩ ق.م. نقطة انطلاق انتهى عندها العصر الجليدي وبدأت حقبة مابعد العصر الجليدي. كان هناك خلط ومراجعة لهذه التواريخ إلا أنها سرعان ما مكنتنا من عد الفنون الجدارية الخاصة بالعصر الحجري القديم الأعلى في جنوب فرنسا وشمال إسبانيا سابقة للألف الثالث عشر ق.م.

شهدت هذه الفترة كذلك بداية إجراء التحاليل الكيميائية على المواد، ففي عام ١٨٤٤ نشر الجيولوجي الإنجليزي ج. ميدلتون J. Middleton مقالا في محاضر الجمعية الجيولوجية في لندن (العدد الرابع ص ٤٣١ - ٤٣٣) Proc Geol Soc Lond، وكذلك الفرنسي أ. كارنوا A. Carnot في حوليات المناجم (العدد الثالث ص ١٥٥ - ١٩٥) Annales de Mines (١٨٩٣) حيث أشارا إلى أن كمية الفلورين في العظام القديمة تزداد مع العمر الجيولوجي، إذ إن الفلورين الموجود في مياه التربة يتراكم بانتظام على العظام والأسنان. هذه المعلومة الشائعة نسيت تماماً حتى كان اكتشاف هذين الباحثين بواسطة ك.ب. أوكلي K. P. Oakley بعد سنوات عديدة. كان من الممكن استعمال هذه الوسيلة لتأريخ المخلفات العظمية التي عثر عليها في جالي هل في سوانسكوم في مقاطعة كنت في عام ١٨٨٨ م، وفي بلنداون بالقرب من لويس في مقاطعة سسكس في عام

(١) موجات الصلصال أو رقائق الوحل هي وسيلة جيوفيزيائية لإعطاء تأريخ مطلق، وتستند على حقيقة أن الصلصال أو الوحل يترسب مرتين في السنة في المناطق الجليدية، مرة في الصيف وأخرى في الشتاء بتركيبة مختلفة، وبإحصاء هذه الموجات أو الرقائق يمكن إحصاء عمر الطبقات ومحتوياتها. (المترجم).

١٩١٢م. الهيكل الذي عثر عليه في جالي هل كان يخص إنساناً معاصراً زُعم أنه يحمل سمات قديمة؟ وعندما عثر عليه في عام ١٨٨٨م قيل: إنه كان على عمق ثمانية أقدام (مترين ونصف) في باطن الحصى تصحبه فؤوس حجرية ترجع إلى العصر الحجري القديم الأسفل ومخلفات حيوانات منقرضة. حين طبقت عليه وسيلة الفلورين خلال الأربعينيات من هذا القرن اتضح أن هيكل جالي - هو قبر دخيل يعود إلى فترة متأخرة كثيراً عن تراكمات العصر الجليدي الأوسط التي يرقد فيها. أما اكتشاف جمجمة بشرية ومعها فك لقرد بواسطة شارلس داوسن في بلتداون فقد بشرت بالعثور على أقدم إنسان عرفته إنجلترا. وسميت أيونسروبس داوسني *Eoanthropus dawsoni* أي إنسان فجر البشرية الذي عثر عليه داوسن! ولفترة طويلة من الزمن صبغ هذا الاكتشاف الكتابات العلمية عن باليونتولوجيا الإنسان إلى أن أثبتت وسيلة الفلورين خلال الخمسينيات من هذا القرن كذب الادعاء، وأنه كان معثوراً مزيفاً^(١).

التصوير الجوي بوصفه معاوفاً لا غنى للآثارين عنه كان نتاجاً للحرب الكونية الأولى ومابعدھا مباشرة، إلا أن بداياتھ سبقت ذلك بوقت طويل. كان مصور باريسى يدعى غاسبار فيلكس طورناشون Gaspard Félix Tour-nachon، - وعرف أيضاً باسم نادر Nadar - قد صور مدينة باريس من على

(١) في الوقت الذي كانت الجمجمة تخص إنساناً معاصراً كان الفك يحمل سمات قرد، وحين تم اختبارهما الأول في عام ١٩٤٩م اتضح أن نسبة الفلورين فيهما متفاوتة للحد الذي يستحيل معه أن تكون الجمجمة والفك متعاصرين، ومن ثم لا يمكن أن يعودا إلى مخلوق واحد. أعيد الاختبار عام ١٩٥٣م بعد أن طورت وسيلة النايتروجين الذي تقل كميته في العظام مع توقف البروتين عند وفاة الكائن الحي وقد دعم هذا الاختبار النتيجة السابقة، ثم جاءت وسيلة اليورانيوم لاحقاً لتؤكد تلك النتائج. (المترجم).

بالون في عام ١٨٥٨م. كذلك صور كنج King وبلاك Black مدينة بوسطن من الجو وفعل نيفريتي Negretti الشيء نفسه لمدينة لندن خلال الستينيات من القرن الماضي. أما أول تصوير جوي في مجال الآثار فقد تمّ على أيدي النقيب ب. ه. شارب P. H. Sharp الذي التقط صوراً من بالون عسكري لموقع استون هنج، كانت الصور رأسية وجانبية وقد أظهرت علامات داكنة هي معالم الطريق الذي لم يعد ظاهراً على السطح للعين المجردة. هذه الصور نشرت وقتها في مجلة أركيولوجيا (١٩٠٧ الصور ٦٩ و ٧٠). وفي السنوات التي سبقت حرب ١٩١٤ - ١٩١٨م استعمل ه. س. ولكم H. S. Wellcome صندوقاً شراعياً يحمل كاميرا ذات تحكم أوتوماتيكي لتصوير حفرياته في السودان.

باندلاع الحرب اتضح جلياً أن علم الآثار - كما يشير تطوره - سيعتمد شيئاً فشيئاً على التقنية العلمية، إذ لم يعد مجرد دراسة معزولة للأدوات في الحقل وفي المتاحف. وأصبح الآثارى أكثر اعتماداً على العلماء الذين يدرسون المخلفات النباتية والحيوانية والمناخ الخاص بالموقع، الذين يؤرخون المادة بمعزل عن الوسائل الأثرية، هذه التوجهات سوف تظهر بوضوح في الفصلين التاليين.

الفصل الرابع كلمة الآثار يشب عن الطوف (١٩١٤ - ١٩٣٩ م)

نظام العصور الثلاثة وانتشاره:

قبل اندلاع الحرب الكونية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) كانت فكرة عهود ما قبل التاريخ قد تعرضت لانتقادات حادة. وبعد الاكتشافات التي تمت في عام ١٩٠٩م في غروت دوفلا أصبح واضحاً أن الفترتين الأزلية والتاردنوسية متعاصرتان^(١)، وأنهما ثقافتان وليستا عهوداً. كذلك فإن البحث القيم الذي قدمه بروي في عام ١٩١٢م بعنوان تقسيمات العصر الحجري القديم الأعلى وأهميته **Les Subdivisions du Paleolithique Superieur et leur Signification** كان نذيراً بانتهاء نظام العهود القديم.

شهد النصف الأول من القرن العشرين أربعة أحداث أسهمت في الإدراك العام لموت فكرة العهود، كانت الأولى - كما ذكرنا - هي إثبات تزامن تلك الفترات أو الحقب. أما الثانية فهي أن مجال البحث قد تجاوز فرنسا التي شهدت الإقرار بنظام العهود - على يدي دو مورتيسيه - إلى مناطق أخرى من

(١) الثقافة الأزلية Azilian هي إحدى ثقافات العصر الحجري الوسيط في شمال إسبانيا وجنوب غرب فرنسا، ويعتقد أنها تطورت من الثقافة الماجدلينية وتتميز صناعاتها بخطاطيف عظمية، وهي تؤرخ إلى الألف التاسع ق.م. أما الثقافة التاردنوسية Tardenoisien فقد سادت في نهاية العصر الحجري الوسيط في غرب أوروبا ووسطها وتميزت بأدوات حجرية قزمية. (المترجم).

أوروبا ثم إلى إفريقية ومن بعدها بالتدريج إلى بقية أنحاء العالم، حيث أصبح من الواضح أن السترة الفرنسية تلك أضيق من أن تتسع لبقية العالم.

أما الحدث الثالث فقد كان تبني علماء ما قبل التاريخ العاملين في مجال آثار أوروبا البربرية للمنهج الحديث للنظرية الأثرية والاصطلاحات التي طورت في منطقة بحر إيجه والشرق الأدنى. وكما رأينا حين درس شليمان المخلفات الأثرية في طروادة وموكيناى فإنه لم يربطها بأسماء ذات علاقة بعهود العصر الحجري والعصر البرونزي، وإنما قام - بجرأة - بربطها بالحضارة الموكينية، وكذلك صنف آرثر إيفانز المخلفات من كنوسس على أنها مينية. وبالمثل استعملت عبارات مثل إيجه وكيكلادية وهيلادية لحضارات ومجموعات بشرية وليس لفترات زمنية. لاشيء يميز طبيعة هذه الحضارات في شرق المتوسط عن العهود الخاصة بآثاري غرب أوروبا وشمالها سوى محتواها ودرجة التعقيد في مخلفاتها. لقد بدأت تطل على فجر الآثاريين حقيقة هي أن عهودهم التي اتضح أنها متعاصرة ما هي إلا أنواع من الحضارات. ألا يحق لما قبل التاريخ إذن أن يتبع نماذج شليمان وإيفانز ويشير إلى الحضارة الموستيرية بدلا من العهد الموستيري، وحضارة هالشتات بدلا من فترة هالشتات وما إلى ذلك؟ كان بعض الآثاريين حذرين في استعمال كلمة «مدنية»^(١) لتلك المخلفات المادية التي تخص مجتمعات وحشية أو بربرية، وكانوا يفضلون اختصار استعمالها على المجتمعات التي تمارس الكتابة. هذه المعضلة صادفت بمبيلي الذي قام بحلها كما رأينا، حين وصف محتويات الطبقات في أناو على أنها حضارات لا على

(١) يجدر أن تترجم كلمة Civilization على أنها «مدنية» أما Culture فهي «حضارة» أو «ثقافة».

(المترجم).

أنها تمثل فترات. فقد ذكر في مؤلفه استكشافات في تركستان حملة عام ١٩٠٤ (١٩٨٠) *Explorations in Turkestan: Expedition of 1904* قائلاً: «لاستبعاد أي سوء فهم لابد من الإشارة إلى أن عبارة «حضارة» قد استعملت مرادفاً لعبارة «مدنية»، وأن عبارة «طبقه حضارية» تعني المخلفات التي تتراكم تدريجياً أثناء احتلال موقع ما».

أما العامل الرابع فقد كان تبني الآثاريين في بداية القرن العشرين لأفكار من الجغرافيا البشرية والأنثروبولوجيا.

لقد ميز الأنثروبولوجيون والأنثروبولوجيون الجغرافيون الدارسون للمجتمعات البدائية المعاصرة بين جوانب الحضارة المادية والمعنوية والذهنية وصنفوها في حضارات. فقد ميز راتزل Ratzel في مؤلفه علم الشعوب^(١) *Volkerkunde* والأنثروبولوجية الجغرافية (١٨٨٢-١٨٩١ م) *Anthropo-Geo-graphie* «المركبات الحضارية» وقام تلميذه ليو فوربينوس Leo Forbenius بتطوير تلك الأفكار عبر ما أسماه «المنهج الجغرافي الإحصائي»، وخلص إلى «مدارات حضارية» في غرب إفريقية ومولينية خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. طورت هذه الأفكار في ألمانيا في بداية القرن العشرين إلى دراسة معقدة عن «المناطق الحضارية» و «الطبقات الحضارية»، أما في أمريكا فقد طورت فكرة «المنطقة الحضارية» على أيدي بواز وفيلر.

إلا أنه على الرغم من أن بذور الدمار لنظام العهود كانت تنمو خلال العشرينيات من هذا القرن؛ فإن ذلك النظام ظل موجوداً في المراجع كما في

(١) كان الألماني فردريك راتزل من أوائل من بعثوا فكرة الانتشار الثقافي التي نجد جذورها عند إسحق نيوتن ومنتبودو وهيردر عن سبقوا هذه الفترة. (المترجم).

مؤلفات م. بركت M. C. Burkitt ماقبل التاريخ (١٩٢١) Prehistory ، و ج .
ماكردى G. Maccurdy أصول البشر: موجز ماقبل التاريخ (١٩٢٤) Human
Origins: A Manual of Prehistory ، و هـ. اسبورن H. O. Sborn إنسان
العصر الحجري القديم (١٩١٨) Men of the Old Stone Age .

ومازالت مدرسة مانشستر تغمر الأسواق بمؤلفات تدافع عن المركزية المصرية
لانتشار Egyptocentric hyper- diffusionism حلاً لكل قضايا التغير الحضاري .

ظهرت الطبعة الأولى من كتاب المصريون القدماء The Ancient Egyptians
في عام ١٩١١م، وبعد اثني عشر عاماً حين ظهرت الطبعة الثانية من الكتاب
وقد قال إليوت اسمث في مقدمتها: «لم أكن أتوقع وأنا أكتب هذا الكتاب
الذي لم أسع من ورائه إلا إلى إعداد تقرير مؤقت... أن يقدر له أن يفتح أفقاً
جديداً أو ربما يعيد النظر ويطور منهجاً قديماً منسياً لتفسير تاريخ الحضارة» .

مضى إليوت اسمث مبشراً بكل حماس المتعصب وبعين مغمضة عن حقائق
تسير في الاتجاه المعاكس لنظرياته التي تقول بأن كل الحضارات الراقية في أوروبا
وآسيا وإفريقية ومصر قد جاءت من مصر القديمة. لقد انتشرت الحضارة المصرية
القديمة، أو الهيلبوليتية - كما أسماها - عن طريق التجارة المصرية حين كان أبناء
رع يبحثون عن «واهي الحياة». نشر تلك الأفكار في مجموعة من المؤلفات
مثل ارتحال الحضارة المبكرة (١٩١٥) Migrations of Early Culture وتطور
التنين (١٩١٥) Evolution of the Dragon والأفيال والإثنولوجيون (١٩٢٤) El-
ephants and Ethnologists وفي البدء: أصل الحضارة (١٩٢٨) In the Be-
ginning: The Origin of Civilization وتاريخ البشرية (١٩٣٠) Human His-
tory وانتشار الحضارة (١٩٣٣) The Diffusion of Cultrue . وكان و.ج. بري
W. J. Perry أكثر حواريه حماساً له وتعاوناً معه. بدأ بري عمله أستاذاً في

الديانات المقارنة بجامعة مانشستر حين كان إليوت اسمث أستاذاً للتشريح فيها. وبعدها أصبح بري أستاذاً في الأنثروبولوجيا الثقافية بجامعة لندن حين ارتحل إليوت اسمث إلى الكلية الجامعية في لندن ليعمل أستاذاً في التشريح.

كان بري أكثر تشدداً وأبعد في ادعاءاته من إليوت اسمث، فقد أصدر مجموعة من الكتب مثل أبناء الشمس (1923) *Children of the Sun* و أصل السحر والدين (1923) *The Origin of Magic and Religion* وحضارة إندونيسيا الميغاليتية (1918) *The Megalithic Culture of Indonesia* ونشوء الحضارة (1924) *The Growth of Civilization*، شرح فيها ونشر بها تعاليم المركزية المصرية في الانتشار. أعيدت طباعة نشوء الحضارة في عام 1937م لدى بنجوين وكان من أوائل الكتب الأثرية التي تنشر بغلاف غير مقوى، وقد تم توزيعه بشكل كبير وكان له أثر واسع. سئل بري ذات مرة ماذا كان يجري في بقية أنحاء العالم حين كانت مصر تضع أسس الحضارة؟ أجاب ببساطة «لا شيء». كما ذهب إلى القول واضعاً في الاعتبار ظهور النسخة الأولى من المصريون القدماء في عام 1911م بأن: «تراكم الأدلة خلال الأعوام العشرين التي انقضت منذ نشر ذلك الكتاب تميل إلى تأكيد صحة ما كان يعتقد أنه تعميم مذهل».

حقيقة إنه مذهل، إن نظرية اسمث/ بري بكاملها تعد مثلاً رائعاً لابتداع ماضٍ لا وجود له، وفرض نمط على الدليل الأثري يمكن إثباته فقط بأمثلة غير واقعية وتسلسل رائف وأدلة ملفقة. يشير لوي Lowie في كتابه تاريخ النظرية الإثنولوجية *History of Ethnological Theory* إلى إليوت اسمث بأنه شخص: «يصعب فهمه وأنه جاهل بأساسيات الإثنوغرافيا»، كما أشار الدكتور أ.م. توزر الذي يعمل بمتحف يهودي بهارفارد ذات يوم إلى زميله الدكتور رونالد ديكسون بأن مدرسة مانشستر ستصل بذلك الفيضان من المؤلفات إلى إقناع

كل فرد في هذا العالم بأن الهنود الأمريكيين قد وفدوا من النيل، وطلب توزر من ديكسون أن يعجل بإصدار رد على تلك الادعاءات. وبالفعل أصدر الأخير بناء الحضارة (١٩٢٨) **The Building of Culture** فكان ضربة مدمرة لأوهام سمث وبري إلا أن أثره على أتباعهم كان محدوداً. ولا ندري لماذا يتدع الأكاديميون الأذكىاء هذا الخليط من الهراء ويعتقدون به؟ لقد كانوا يخدعون العالم؟ فهل نجحوا في خداع أنفسهم؟ الإجابة نعم، ذكر إليوت اسمث في محاضراته في ذكرى هكسلي في عام ١٩٢٨م: «أن الموقف الذهني للمفكر قد يصعب تمييزه عن الخديعة أحياناً». وهذا ما حدث له، لقد طور موقفاً ذهنياً خاصاً بالأصل المصري للحضارة البشرية وقد أصبح ذلك خديعة كبرى^(١).

بعد عامين من موت إليوت اسمث نشر لورد ريجلان **Raglan** كتابه كيف جاءت الحضارة (١٩٣٩) **How Came Civilization**، وفيه استبدل الأصل المصري للحضارة البشرية بأصل سومري واقترح مركزية سومرية للانتشار وأن كل الحضارات قد بدأت في بلاد الرافدين، كتب يقول: «ليس من ابتكار أو اكتشاف أو عادة أو معتقد أو حتى قصة يمكن أن تنشأ من حضارتين مختلفتين... إن الحالة الطبيعية للإنسان هي الوحشية السفلى... والمتوحشون لا يمكن أن يبتكروا أو يكتشفوا شيئاً... إن الكثير من الاكتشافات والاختراعات الأساسية التي تستند إليها حضارتنا يمكن تتبعها - فيما يبدو - إلى منطقة قرب

(١) في مقابل المدرسة الانتشارية البريطانية هذه كانت هناك مدرسة انتشارية ألمانية قامت على كتابات فريتز جرينور (١٨٧٧-١٩٣٤) ووليم اشمت (١٨٦٨-١٩٥٩)، إلا أنهم نادوا بوجود أكثر من مركز واحد للإشعاع الحضاري حيث كوَّنت هذه المراكز في رايهما مناطق حضارية ما لبثت أن اتصلت ببعضها، والمدرستان على اختلافهما التفصيلي تشتركان في رفض التطورية. (المترجم).

رأس الخليج الفارسي».

إن ما يميز نظريات مدرسة مانشستر ولورد ريجلان بالنسبة لغير العارفين بعلم الآثار هو أنها تضمنت تفسيراً كاملاً ومبسطاً لأصول الحضارة وليس ثمة خطورة في ذلك، إلا أن تفسيرات أخرى لآثار ما قبل التاريخ أصبحت من الخطورة بمكان. أحد هذه التعاليم هو ما كان قد بشر به غوستاف كوسينا Gustav Kossinna في ألمانيا، فقد كتب أحد النبلاء الفرنسيين واسمه الكونت دوغوبينو Comte de Gobineau مقالاً بين عامي ١٨٥٣ - ١٨٥٧ بعنوان مقال في عدم المساواة بين أجناس البشر **Essay on the Inequality of Human Races** صرح فيه بأن أمل العالم - كما كان دائماً - يقع على كاهل أصحاب الشعر الأشقر التوتونيين أو من أسماهم الآريين، وفي عام ١٨٩٩ نشر هيوستن استيورات شامبرلين Hous-ton Stewart Chamberlain مرتكزات القرن التاسع عشر **The Foundations of the Nineteenth Century** الذي خلط فيه بين الإنثروبولوجيا الطبيعية واللغات والآثار، وبدأت الخرافة القائلة بتميز الجنس الألماني تأخذ في الانتشار. ولم يكن مدهشاً أن النازيين حين جاءوا إلى السلطة حملوا معهم تلك الخرافة التي نراها واضحة في كتاب هتلر كفاحي **Mein Kampf**. إلا أن المدهش حقاً هو وجود آثريين على استعداد لتسخير الآثار لغايات سياسية.

بدأ كوسينا (١٨٥٨ - ١٩٣١) عالماً في اللغات القديمة ثم تحول إلى ما قبل التاريخ، وفي عام ١٩٠٢م عين أستاذاً لما قبل التاريخ في ألمانيا بجامعة برلين وبقي في تلك الوظيفة حتى وفاته. كان محتجاً لأن ما قبل التاريخ الألماني لا يزال في اعتقاد الكثيرين أقل أهمية في الثقافة الألمانية مقارنة بمكانة الآثار المصرية أو الإغريقية أو الرومانية أو الشرقية في ثقافتها، وشرع في إثبات عظمة الشعب الألماني عبر الدليل الأثري لحقب ما قبل التاريخ فوضع تسلسلاً

حضارياً لشمال أوروبا مبالغاً فيه بحيث يبدأ كل شيء فيه في ألمانيا، وسط شعب رفيع المستوى قبل أن ينتشر إلى جيرانهم الأقل شأناً في غرب أوروبا وشرقها. كل هذا يبدو غريباً وغير واقعي في عالم اليوم لكنه كان مقبولاً وقتها، لقد كان كوسينا مقتنعاً بذلك، ووجدت تلك التحريفات الأثرية قبولاً عند العنصريين الألمان، وبدأ لهم أنه برهان على عظمة الشعب الألماني جاء فيما يبدو من علم الآثار الذي لا تحوم حوله الشكوك. لم يكن ذلك خرافة بالنسبة لهم بل كان حقيقة وحقيقة مبهجة للتعاليم النازية، لقد قال هملر^(١) ذات مرة: «إن ما قبل التاريخ هو الدليل على سمو الألمان عند فجر الحضارة».

إن الأمثلة التي جاءت في الصفحات السابقة توضح مخاطر ما يسمى تأدياً هذه الأيام «بعلم الآثار البديل» Alternate archaeology. وسنرى لاحقاً أن هذه المخاطر وأن اختلفت شكلاً لا تزال بيننا^(٢).

(١) هنري هملر (١٩٠٠-١٩٤٥) زعيم نازي ألماني وداعية للأفكار النازية، عمل مديراً للاستخبارات تحت رعايته هتلر. وقد أنشأ الجهار تحت إدارته عدداً من الكراسي لآثار ما قبل التاريخ، كما عين عدداً من الأثاريين ومول حفريات ميدانية؛ كل ذلك لخدمة الغايات العنصرية النازية، بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية انتحر هملر بالسم. (المترجم).

(٢) خلال العقد الرابع من هذا القرن طُرحت أفكار المدرسة الوظيفية البريطانية التي نادى بها كل من مالينوفسكي (١٨٨٤-١٩٤٢) Malinowski وراذكليف براون (١٨٨١-١٩٥٥) Radcliff-Brown، وكلاهما تأثر بالفرنسي إميل دوركايم (١٨٥٨-١٩١٧) Emile Durkheim. ويرى هؤلاء أن الثقافة هي مجموعة النظم الوظيفية التي تلبي حاجات ورغبات (مادية أو روحية في المجتمع، وتحتاج تلك الرغبات إلى أدوات لتنفيذها، تشكل نظاماً اجتماعياً كلياً يؤدي إلى ربطها وتماسكها)، ومن ثم فإن فهم أي عنصر ثقافي يتطلب فهم وظيفته التي تتطلب بدورها فهم علاقته مع العناصر الأخرى. قاد هذا الاتجاه إلى تكثيف الدراسات الحقلية كتلك التي قام بها بعض مؤيدي هذا الاتجاه من أمثال إيفانز بريشارد Evans-Pritchard. (المترجم).

مصر والشرقين الأدنى والأوسط:

أمضى فلنذر بيتري من بداية الربع الأول من القرن العشرين حتى عام ١٩٢٦م يعمل بالتنقيب في مصر، وبعد أربعين عاماً من العمل في ذلك البلد حول اهتمامه إلى فلسطين التي توفى بها في عام ١٩٤٢. وقد مكّنه توقف الحفريات أثناء الحرب العالمية الأولى من كتابة تقاريره التي بدأها ب: فنون وحرف مصر القديمة (١٩٠٩) *Arts and Crafts of Ancient Egypt* والجدارين والأختام *Scarabs and Cylinders* الذي نشر في عام ١٩١٥، ثم تبعه ب: أدوات وأسلحة (١٩١٦) *Tools and Weapons*، ومجموعة فخار ما قبل التاريخ *Corpus of Prehistoric Pottery* (١٩١٨). ومصر ما قبل التاريخ (١٩٢٠) *Prehistoric Egypt: illustrated by over 1000 Objects in Univeristy College London.*

إلا أن أعظم الاكتشافات في مجال الآثار المصرية خلال القرن العشرين لم تكن من نصيب بيتري. ففي عام ١٨٨٧ كانت زوجة لأحد الفلاحين تقوم بحفر التربة بغرض أخذ سماد في منطقة تل العمارنة، وهناك عثرت على ما يعرف الآن بالواح العمارنة الطينية وعليها كتابة مسمارية. هذه الألواح تجاهلها الناس في البداية ثم وصفوها بأنها مزيفة، ولكن أعترف بأهميتها على الرغم من أن نصفها كان قد فقد وقتها^(١). ثم نُشرت الألواح في النهاية وكذلك نُقب الموقع بواسطة عدد من الآثاريين (من بينهم بيتري في عام ١٨٩١-١٨٩٢). وبدءاً من عام ١٩٠٧ تولت التنقيب فيه جمعية المستشرقين

(١) هذه الألواح المكتوبة بالخط المسماري هي رسائل تبادلها ملك مصر مع الحيثيين وبعض حكام الشام.

(المترجم).

الألمان، وحين انتهى امتياز الجمعية الألمانية في عام ١٩٢١م تولت العمل فيه جمعية الاستكشافات المصرية. واستمر العمل في الموقع لعدد من السنوات تعاقب على إدارته أشخاص أصبح لهم شأن في مجال آثار الشرق الأدنى، منهم وحسب تسلسلهم: بيت TEPeet وولي CLWoolley ونيوتن F. G. Newton ووقريفث L. Griffith وفرانكفورت H. Frankfort وبندلبري J. Pendlebury. وقد نشرت نتائج الحفريات الأخيرة موجزة في كتاب بندلبري تل العمارنة الذي حوى صورة حيّة مفصّلة للحياة في القرن الرابع عشر ق.م. في هذه المدينة الرائعة في عهد أخناتون، رغم أنها لم تعمر طويلاً.

أما أخناتون أو أمنحوتب الرابع فهو الفرعون المصري المنشق الذي حكم مع زوجته الملكة نفرتيتي سبعة عشر عاماً (حوالي ١٣٦٩ - ١٣٥٢ ق.م.) في أواخر الأسرة الثامنة عشرة. وقام بنقل العاصمة من طيبة إلى تل العمارنة التي شهدت تطوراً رائعاً في الفنون والآداب عرف بطراز العمارنة. لقد حاول أن يبدل الكم الهائل من الديانات المصرية المعقدة - خاصة عبادة أمون - رع - إلى عبادة معبود واحد هو الشمس التي يرمز إليها بأتن أو أتون. ثم خلفه على العرش توت عنخ آتون، ابن أمنحوتب الثالث الذي حكم تسعة أعوام وعمل على إعادة الاعتبار لأمون - رع وحول اسمه إلى توت عنخ أمون. وقد حاول خلفاؤه التقليديون التخلص من اسمه وذكراه ولهذا فإننا لانعرف عنه إلا الشيء القليل. إلا أن المصادفة التي لعبت دوراً في حفظ مقبرته وكذلك في الكشف عنها ربما قد جعلت منه أكثر الأسماء شيوعاً وشعبية في مجال علم المصريات، كان ذلك نتيجة اكتشاف مقبرته ذات التحف المدهشة في خريف عام ١٩٢٢م.

إن الاكتشافات التي توصل إليها سليمان في طروادة وموكيناى قد جعلت

اسمه على كل لسان، وأمواله الخاصة التي أنفقها على الحفريات، والكنوز التي عثر عليها، غيرت العالم. كتب البروفسر أ. هـ. سايس الذي كان يعمل بجامعة اكسفورد غاضباً: «لماذا لم يقتف بعض الأثرياء الذين تزخر بهم إنجلترا أثر الدكتور شليمان؟ لماذا لا يضعون في خدمة العلم قليلاً من تلك الأموال التي تنفق بسخاء على تربية الخيول وصيانة أماكن تربية الكلاب؟ لابد أن يكون بيننا شخص أو اثنان على الأقل على استعداد لم يد العون لاكتشاف تاريخ حضارتنا».

لقد وجد هذا في شخص اللورد كارنرفون (١٨٦٦ - ١٩٢٣ م) Lord Carnarvon الذي كان معتلاً إثر حادث سيارة ونصح بالسفر إلى مصر، ومثل الكثيرين فقد فتن بمصر وآثارها. كشف بيرسي نيوبري Percy Newberry عالم المصريات والصديق المقرب من كارنرفون أن الأخير قد ذكر له ذات مرة أنه: «يفضل اكتشاف مقبرة غير منهوبة من أن يكسب سباق الخيل». ذهب كارنرفون إلى مصر في عام ١٩٠٧ م وأمضى موسماً في كل سنة من الأعوام الستة عشر التالية يعمل في مصر.

بدأ العمل مع هوارد كارتير Howard Carter (١٨٧٣ - ١٩٣٩) الذي عمل بدورة تحت نيوبري وناويل وعينه ماسيرو في عام ١٨٩٩ م ليعمل مفتشاً للآثار في مصر العليا. بدءاً من عام ١٩٠٢ م تعاون مع ثيودور ديفز (١٨٣٧ - ١٩١٥) Theodore Davis وهو أحد رجال الأعمال الأثرياء من نيويورك، فعملاً معاً في وادي الملوك، واكتشفاً معاً مقبرة تحوتمس الرابع. وفي عام ١٩١٢ م قرر ديفس أن الوادي قد نضب، فقرر ماسيرو منح الامتياز إلى كارنرفون الذي عمل مع كارتير في الوادي حتى عام ١٩٢١ م باستثناء سنوات الحرب. وفي العام التالي أخبر كارنرفون كارتير أنه على غير استعداد لإنفاق المزيد من الأموال

في مهمة لاطائل من ورائها، ولكنه أقنع بتمويل موسم آخر وأخير. وفي ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢ عشر عمّال كارتر على درج منحوت في الصخر به ستة عشر درجة بين مدخلين، على الثاني منهما ختم توت عنخ آمون. هذه المقبرة كانت قد افتتحت رسمياً في ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢م، ونقّب فيها كارتر من حين إلى آخر على مدى عشر سنوات، وقد أنجبت المقبرة ما يقارب خمسة آلاف عمل فني. لقد أحدث الاكتشاف ضجة على امتداد العالم وأصبح توت عنخ آمون على كل لسان، وكذلك المقبرة التي صارت أعظم كشف أثاري بهذا الثراء. لم تنشر الحفريات بكاملها إلا أن هناك ثلاث مجلدات لكارتر وميس Mace بعنوان مقبرة توت عنخ آمون *The Tomb of Tutankhamen* نشرت خلال الأعوام ١٩٢٣-١٩٣٣م. وللذين يودون معرفة المزيد عن حفريات توت عنخ آمون عليهم مراجعة توماس هوفنج *Thames Hoving* توت عنخ آمون، القصة غير المروية (١٩٧٩) *Tutankhamun, the untold Story* وأرنولد براكممان *Ar-nold Brackman* البحث عن كنوز توت عنخ آمون (١٩٧٦) *The Search for the Gold of Tutankhamen* وكذلك المذكرات الشائقة لابن كارنرفون المسماة *Ermine Tales* قصص أرمين.

تعاقب عدد من الأثاريين خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن على مواصلة أعمال بيتري الرائدة في نقادة وأصول الحضارة المصرية في حقب ما قبل التاريخ. ففي مصر السفلى عمل كل من يونكر *Junker* ومنغن *Menghin* وشارف *Scharff* في موقع مرمدة بني سلامة الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث. كذلك درست كل من الأنسة كيتون طومسون *Caton-Thompson* والأنسة قاردنر *Gardner* حضارات العصر الحجري الحديث في وهاد الفيوم خلال الأعوام ١٩٢٤-١٩٢٨م. وفي مصر العليا والوسطى نقبت بعثة المدرسة

الآثارية البريطانية في مصر في البداري وماحولها خلال الأعوام ١٩٢٢-١٩٢٥ م. وقام غي برنتون Guy Brunton بحفريات في مقابر في البداري ونقبت الأنسة كيتون طومسون موقعاً في الحمامية بين قاو والبداري. وقد نشرنا نتائجهما معاً في حضارة البداري ومخلفات ما قبل الأسرات قرب البداري (١٩٢٨) **The Badarian Civilization and Predynastic Remains near Ba-dari**. جعل ذلك من حضارة البداري السلف المباشر لحضارات ما قبل الأسرات في مصر العليا. وفي عام ١٩٢٨ و ١٩٢٩ م قام برنتون بالتنقيب في مقبرة ومستوطن قديم في دير طاسا قرب مستجدة، وفي كتابه مستجده وحضارة طاسا (١٩٣٧) **Mostogedha and Tasian Culture** زعم أن حضارة طاسا قد أنجبت حضارة البداري، كان بيتري حكيماً حين جعل س. د. ٣٠ SD30 بداية لتسلسله الزمني لمصر حيث أصبح ممكناً وضع حضارتي طاسا والبداري في مرحلة سابقة لهذا، وبذلك أصبح لدينا تسلسل يقودنا من حضارة طاسا إلى الأسرة المصرية الأولى في س. د. ٧٩ SD79^(١).

وفي وادي الرافدين بدأت الحفريات مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، فبدأ ر. كامبل - طومسون R Campbell-Thompson ممثلاً للمتحف البريطاني

(١) شهد الربع الأول من هذا القرن (١٩٠٠-١٩٢٥ م) أعمالاً آثارية مهمة مكشفة في شمال السودان وأواسطه، نذكر منها حفريات جامعة ليفربول بقيادة جون غارستناق خلال الأعوام ١٩١٠-١٩١٤ م في موقع مدينة مروي (العاصمة الثالثة لكوش). كذلك قامت بعثة مشتركة من جامعة هارفارد ومتحف بوسطن بقيادة جورج رايزنر G. Reisner بحفريات بين عام ١٩١٦-١٩٢٢ م في مواقع كوشية تخص الأسره الخامسة والعشرين وأسلافها في ننته (العاصمة الثانية لكوش)، وجبل البركل والكرو ونوري والبجراوية. كما قامت بعثة من جامعة أكسفورد بقيادة هرانيس عريفث G. Grif-fith ومن بعده ماكادام M. Macadam من جامعة درام بحفريات في موقع الكوة. (المترجم).

حفريات في أور وأريدو^(١) قبل هدنة عام ١٩١٨م. بعد ذلك عشر هـ. ر. هول H. R. Hall في العبيد - وهو موقع جديد على بعد ٤ أميال إلى الغرب من أور - على مسطبة معبد صغير يمكن عده نموذجاً أولياً للزقورات السومرية. وفي عام ١٩٢٢م تابعت بعثة مشتركة من المتحف البريطاني ومتحف جامعة بنسلفانيا حفريات طومسون وهول في أور والعبيد تحت إشراف لينارد وولي Leonard Woolley. وفي عام ١٩٢٦م كشفت مقبرة في أور تعود لحقب ما قبل التاريخ، وعثر في مقابرها الملكية على كنوز ذهبية رائعة وحجارة كريمة. لفت هذا الدليل الأنظار إلى العادات الجنائزية وأحدث ضجة شبيهة بتلك التي أعقبت اكتشافات شليمان ومقبرة توت عنخ آمون، ووضعت التنقيبات في أور السومريين على خارطة المعرفة. ثم وضعت في متناول أيدي العامة التقارير الأولية التي نشرت في مجلة جامعي المتحف Antiquaries Journal خلال الأعوام ١٩٢٣ - ١٩٣٤م. والتقارير المفصلة التي نشرت خلال الأعوام ١٩٢٧ - ١٩٣٤م كانت تقارير رائعة مفصلة أعدها وولي أحد أميز الآثاريين الحقلين الذين عملوا على إيصال علم الآثار إلى العامة، منها أور الكلدانية (١٩٢٩) Ur of the Chaldees و السومريون (١٩٣٠) The Sumerians وإبراهيم: الاكتشافات الأخيرة وأصل العبرانيين (١٩٣٠) Abraham: Recent Discoveries and Hebrew Origins.

في الوقت الذي كانت البعثة البريطانية الأمريكية تعمل في أور كانت هناك بعثة مشتركة بين جامعتي أكسفورد وشيكاغو تحفر في كش وجمدة نصر^(٢)

(١) أور هي موقع تل مخير الحالي وتقع على بعد ١٦٠ كيلاً غرب البصرة، وأريدو هي تل أبو شهرين على بعد ١٢ ميلاً إلى الجنوب الغربي من أور. (المترجم).

(٢) كش موقع سومري قرب بابل، وجمدة نصر موقع بين بابل وبغداد يعود إلى حقبة ما قبل السلالات. (المترجم).

(وهو العمل الذي واصله الفرنسي واتلان Watelin)، وكان الألمان ينقبون في الوركاء (أورك)^(١). وفي عام ١٩٣١م ميز المؤتمر الثامن عشر للمستشرقين الذي عقد في لايدن ثلاث فترات لحقب ما قبل التاريخ في وادي الرافدين: أولاً العبيد، وثانياً أورك، وثالثاً جمدة نصر. أما في شمال وادي الرافدين فقد جرت تنقيبات في تل حلف وأربشية وتبة قاورا. وفي عام ١٩٣٣م صدر قانون عراقي يمنع البعثات الأجنبية الأثرية من تصدير المعثورات. فارتحل الفرنسيون إلى سورية حيث بدأ بارو Parrot تنقيبات في ماري في عام ١٩٣٤م، وأخذ البريطانيون يحفرون شقار بازار وتل براك في سورية وفي عطشانة في سهل أنطاكية.

إيران والأناضول وفلسطين :

كانت معرفتنا بآثار ما قبل التاريخ في إيران وحول بحر قزوين لبعض الوقت تستند على أعمال جاك دومورغن Jacques de Morgan في سوسة وبمبلي Pumpelley في أناو. وفي الفترة قيد البحث توسعت معرفتنا بآثار ما قبل التاريخ في الشرق الأوسط عبر التنقيبات في مواقع مثل تبة حصار وشاه تبة وتورانج تبة وتبة غيان وتبة سيالك^(٢). والموقع الأخير ذو أهمية خاصة، إذ أمدنا بتسلسل لتعاقب طبقي. تقع سيالك على مقربة من كاشان وقد تمت الحفريات فيها خلال الأعوام ١٩٣٣ و ١٩٣٤ و ١٩٣٧م على يد رومان غرشمان Roman Ghirshman، ونشرت التقارير كاملة في حفريات سيالك (المجلد الأول ١٩٣٨

(١) الوركاء أحد أهم المواقع السومرية وتقع على بعد ٥٥ كيلاً شمال غرب أور. (المترجم).

(٢) تبة عبارة فارسية («دبة» العربية) تعني تل كما تحمل عبارة هيوك التركية المعنى نفسه. (المترجم).

والمجلد الثاني ١٩٤١) **Fouilles de Sialk** . لقد كشفت الحفريات عن أربع مراحل متتابعة، كانت الأولى سيالك - ١ أكثرها إثارة، فقد تميزت بمنازل طينية تحتوي على مقابر تحت أرضياتها دفن فيها الموتى بشكل قرفصائي، وقد شملت المعثورات مقلاعات حجرية وصولجانات وفؤوساً حجرية وأزاميل إلى جانب دبابيس ومخارز نحاسية. كذلك عرف مزارعو سيالك تربية الضأن والأبقار، وربما مارسوا زراعة الحبوب وقاموا بصيد الحيوانات وجمع النبات، وربما كان دورهم انتقالياً بين جامعي القوت في العصر الحجري الوسيط ومنتجي القوت في حضارات العصر الحجري المعدني المعروفة في الشرق الأدنى والأوسط. لقد قام غرشمان بإحصاء تاريخ سيالك - ١ على أساس تراكم الرديم في الموقع معطياً كل طبقة سكانية خمسة وسبعين عاماً، ومن ثم أعطى تاريخاً في حدود ٤٣٠٠ ق.م. - ٢٠٠٠ لأقدم استيطان في الموقع.

أما العمل الرائع الذي قام به سير أورل اشتاين (١٨٦٢ - ١٩٤٣م) **Aurel Stein** فهو تسليط الضوء على آثار الهند وإيران وأواسط آسيا في الحقبة قيد البحث. لقد عمل اشتاين - وهو هنغاري الأصل بريطاني الجنسية - أولاً في مجال التعليم في الهند ثم في دائرة الآثار الهندية. وقد كان رحالاً لا يعرف التعب، قام بالإشراف على أربع بعثات إلى أواسط آسيا (١٩٠٠ - ١٩٠١، ١٩٠٦ - ١٩٠٨، ١٩١٣ - ١٩١٦ و ١٩٣٠م)، وتشير قائمة أعماله المنشورة إلى اتساع أبحاثه وبعدها، منها: **Xotan القديمة** **Ancient Khotan** وسريندرا (١٩٢١) **Serindra** وألف تمثال لبوذا **The Thousand Buddhas** آسيا الموغلة (١٩٢٨) **In-nermost Asia** واستكشافات آثارية في شمال غرب الهند وجنوب شرق إيران **Archaeological Reconnaissance in NW India and SE Iran** (١٩٣٧) والدروب القديمة في غرب إيران (١٩٤٠) **Old Routes of Western Iran**. ومن

أهم اكتشافاته تلك المخطوطات التي عثر عليها في تركستان وتؤرخ إلى القرون
الميلادية الأولى، وقد كتبت بلغة التوفار وهي لغة ميتة من عائلة اللغات الهندية
الأوربية.

واصل فريق من الباحثين العمل الذي بدأه هروزني لترجمة الوثائق الحيثية،
وسرعان ما أصبحت رسائل بوغازكوي جزءاً من معرفتنا عن الشرق الأدنى
القديم، ونقبت مواقع أخرى في الأناضول. بدأت بعثة من معهد الآثار بجامعة
ليفربول التنقيب في الأناضول تحت إشراف جون غارستانج John Garstang
الذي واصل العمل هناك لأكثر من أربعين عاماً. وقد جمعت معلوماتنا عن
الحيثيين التي جاءت من حفريات أخرى ومن قراءة ألواح بوغازكوي في كتاب
أ. كاولي A. E. Cowley الحيثيون (١٩٢٠) The Hittites و ج. كونتينو G.
Contenau عناصر البيلسوغرافيا الحيثية (١٩٢٢) Elements de Elements de
Bibliographie Hittite وغارستانج الحيثيون (١٩٢٩) The Hittites .

بعد أربعين عاماً على نهاية حفريات سليمان على يدي دوريفلد نظمت
جامعة سنسناتي حملة ميدانية تحت إشراف البروفسر و. ت. سمبل W. T. Sem-
ple للعمل في طروادة. وعين كارل بلجين Carl Belgen مشرفاً ميدانياً لها،
وقد عمل طوال سبعة مواسم هناك بين ١٩٣٢ - ١٩٣٨ م. وقد نشرت نتائج
ذلك العمل على يد بلجين وزملائه في كتابه طروادة: حفريات جامعة سنسناتي
١٩٣٢ - ١٩٣٨ م (٤ مجلدات ١٩٥٠ - ١٩٥٨ م) Troy: Excavations Cond-
lucted by the University of Cincinnati, 1932-38 ، كما أن كتيباً مختصراً
لبلجين قد ظهر في عام ١٩٦٣ م بعنوان طروادة والطرواديون Troy and the
Trojans. كان الهدف من هذه الحملة هو اختبار مناطق أخرى في المواقع إلى
جانب مراجعة التعاقب الطبقي والتسلسل الزمني وكذلك التأكد مما أسماه

دوريفلد طروادة - ٤ (التي أُرُخها إلى الفترة بين ١٥٠٠ ق.م. و ١٠٠٠ ق.م.)
على أساس أنها المدينة التي تحدث عنها هومر، وكانت استنتاجات دوريفلد
الخاصة بطروادة - ٤ والتسلسل الزمني قد انتقدتها أبرغ Aberg في كتابه
Kronologische Chronologie des Bronzezeitlichen und Früheisenzeitlichen
heisenzeitliche Chronologie.

لقد كشفت بعثة جامعة سنسنتي أن طروادة - ١ كانت مدينة صغيرة ،
أُرُخها بلجين إلى الفترة من ٣٠٠٠ ق.م. إلى ٢٥٠٠ ق.م. أما طروادة - ٢
التي يرى بلجين أنها قد لعبت دوراً كبيراً في تطور العصر المعدني في أوروبا فقد
أُرُخت إلى الفترة بين ٢٥٠٠ ق.م. و ٢٢٠٠ ق.م. وطروادة - ٦ كانت
مدينة دمرتها زلزل، أما طروادة - ٧ فقد صنفت على أنها المدينة التي عنها
هومر وأُرُخت عن طريق معثورات مستوردة من موكناي إلى نهاية القرن
الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر ق.م. ، وقد عدّل بلجين ذلك التاريخ في
عام ١٩٦٣ م إلى ١٣٠٠ - ١٢٦٠ ق.م.

ألحقت الدلائل من طروادة بحفريات في كوم تبة ويورتان وثرميا في
لسبوس^(١)، حيث عثرت الأنسة وينيفرد لامب Winifred Lamb كما جاء في
كتابتها حفريات في ثرميا في لسبوس (١٩٢٨) - Excavations at Thermi in Les-
bos على تسلسل لخمس مدن متعاقبة تعلو بعضها البعض، تعاصر الأربعة
الأولى منها طروادة - ١.

أما الحفريات في وسط الأناضول وشرقها فقد كشفت عن حضارات سابقة
للحيثية وثقافات يمكن مقارنتها بتلك التي عرفت من الطبقات المبكرة في طروادة

(١) لسبوس جزيرة في بحر إيجه. (المترجم).

وثرميا. وفي عام ١٩٢٦م نشر دو غنويك de Genouillac فخاراً ملوناً من متحف اللوفر يخص حقب ما قبل التاريخ في الأناضول في كتابه الفخار الكبدوكي *Ceramique Cappadocienne*. أضحت الحاجة ماسة لحفريات أكبر حجماً تربط ذلك الفخار الملون بالحيشين وتمدنا بتسلسل متكامل لحقب ما قبل التاريخ في الأناضول. لقد كان ذلك هو هدف معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو حين خطط خلال العشرينيات من هذا القرن لإجراء بحث شامل في حضارة الحيشين وأسلافهم. وفي عام ١٩٢٦م - خلال موسم واحد - عثر فون در أوستن Von der Osten على ما يزيد على ثلاثمئة موقع جديد في الأناضول، كان أكثرها مدعاة للاهتمام هو موقع عليشار هيوك، وهو تل يرتفع لما يزيد على مئة قدم (ثلاثين متراً)، وقد قام كل من أوستن وشميت EF Schmidt بالتنقيب فيه بين عام ١٩٢٧ و ١٩٣٢م.

كان هذا المشروع حفريات متكاملة نفذت بإتقان وأصبحت إحدى أهم المساهمات التي قدمت لعلم الآثار خلال القرن العشرين، كما يلاحظ من دراسة كتاب شمت الأناضول عبر القرون: اكتشافات بل عليشار (١٩٢٧-١٩٢٩) *Anatolia through the Ages: Discoveries at Alishar Mound* وكتاب فون در أوستن واشمت حفريات عليشار هيوك ١٩٢٧-١٩٢٩ (١٩٣٠-١٩٣٧) *Alishar Huyuk Excavations, 1927-29*.

إضافة إلى ذلك جاءت معلومات مفصلة أخرى للتسلسل الحضاري في الأناضول من حفريات الدكتور حامت زبير كوساي Hamit Zubeyr Kosay مدير الآثار والمتاحف التركي، في احلاتيلبل والأجاهيوك. كذلك فإن المسح الأولي في سهل سلسيان الذي قام به جيرشتاد Gjerstad قد واصلته بعثة نلسون تحت قيادة غارستانق خلال الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٧م ولعدة مواسم في

تل مرسن. قام م. برخت M. C. Burkitt بدراسة الصناعة المبكرة للعصر الحجري الحديث وزعم أنها أقدم ثقافة في الشرق الأدنى لحقبة مابعد العصر الحجري القديم وأعطاهما تاريخاً في حدود ٥٥٠٠ ق.م.

وفي فلسطين تولى معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو الحفريات في موقع مجيدو بدءاً من عام ١٩٢٥م، وكانت بعثة ألمانية بقيادة شوماخر Schumacher قد أجرت تنقيبات في الموقع خلال الأعوام ١٩٠٣ - ١٩٠٥م. أما موقع رأس شمرا (أوغريت القديمة) فقد اكتشف مصادفة في عام ١٩٢٩م وتم التنقيب فيه خلال السنوات العشر التالية على يد كلود شيفر Claude Schaeffer. كشفت تلك الحفريات عن تتابع حضاري طويل يمتد من العصر الحجري الحديث الذي يمكن مقارنته بما عثر عليه في مرسين^(١) Mersin وحتى الألف الثانية ق.م. حيث أطلال مدينة جاء ذكرها في مدونات تل العمارنة على أنها أوغريت، وكذلك في مراسلات حيثية ونقوش مصرية. كانت أوغريت قد دمرها زلزال في منتصف القرن الرابع عشر ق.م. ثم أعيد بناؤها، ثم دمرتها مرة أخرى مجموعات بشرية قدمت من الشمال، ممن يُسمون «بشعوب البحر» People of the Sea في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الثاني عشر ق.م. لقد كانت فيما يبدو ميناءً عالمياً وظل خلال الفترة من القرن الخامس عشر وحتى القرن الثاني عشر ق.م. على اختلاف الفترات واقعاً تحت تأثير المصريين والحيتيين والموكيينيين.

لقد عثر في مكتبة رأس شمرا على مئات الألواح الطينية التي تؤرخ للقرن

(١) مرسين Mersin هو موقع يومك تبة على الساحل الجنوبي للأناضول ويحوي عدة أمدار حضارية تمتد من بداية العصر الحجري الحديث وحتى العصور الإسلامية. (المترجم).

الخامس عشر وبداية القرن الرابع عشر ق.م. ، حملت هذه الألواح كتابات بأبجدية مسمارية صنفت على أنها لغة سامية قريبة الصلة بالعبرية والفينيقية. كان اكتشاف ألواح رأس شمرا التي حوت أقدم أبجدية معروفة بسجل مكتمل أحد أهم الاكتشافات الأثرية، ولقد اشتقت كل الكتابات الأبجدية بما فيها الإغريقية من الأبجدية الفينيقية^(١).

جرت أول حفريات في أريحة على يد جمعية المستشرقين الألمان في الأعوام ١٩٠٧-١٩٠٩ ، وكان غارستانق قد بدأ عملاً هناك في عام ١٩٣٠ وظل ينقب حتى عام ١٩٣٦ ، حيث كشف عن تسلسل يمتد من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، الذي أرخه إلى ٤٥٠٠ ق.م. - ٤٠٠٠ ق.م. ، ومروراً بعدة مدن أخرى حتى تدمير أريحة على يدي يوشع الذي أرخه إلى ١٤٠٠ ق.م.

أوروبا الكلاسيكية والبربرية :

قادت الاكتشافات الرائعة لأرثر إيفانز في كنوسس إلى حفريات في مواقع كريتية وإيجية أخرى، حيث قام الإيطاليون بقيادة هالبر Halbherr بالتنقيب في قصر في فستوس وفي قبر هاغيا ترايادا^(٢) الذي حوى مايزيد على ٢٥٠ هيكلًا عظيمًا، كذلك قام البريطانيون بحفريات في قورنيا والفرنسيون في ماليا، وقد

(١) تؤرخ بداية الكتابة الأوغريزية إلى نحو القرن ١٤ ق.م. أما بداية الكتابة الفينيقية فتؤرخ إلى القرن العاشر ق.م. وينسب موت الأولى لشيوع الثانية. (المترجم).

(٢) يحوي موقع هاغيا ترايادا (على بعد ميلين إلى الغرب من فستوس في وسط كريت) على المقر الرئاسي للمينويين وقد بني في حوالي ١٥٥٠ ق.م. بعد أن دمرت هزة أرضية فيما يبدو قصر فستوس، وهناك تلال تحوي مقابر جماعية. (المترجم).

اشترك الكريتيون أنفسهم في الحفريات فقام هاتزداكس Hatzidakis بحفر قصر مينوي في تليسوس وفي مقبرة كانسوديس في مسارا. هذه التطورات في الأعمال الأثرية في كريت جمعت في كتاب د. فيمن D. Fimmen الحضارة الكريتية والموكينية (١٩٢١) Die Kretish- Mykenische Kultur وكتاب ج. د. س. بندلبري J. D. S. Pendlebury آثار كريت (١٩٣٩) The Archaeology of Crete وكتاب جلوتز G. Glotz الحضارة الإيجية (١٩٢٣) Civilisation egeenne وكتاب ر. هتشنسون R. C. Hutchinson كريت ما قبل التاريخ Prehistoric Crete (١٩٦٢).

في عام ١٩١٤م أوقف أرنست بوشر Ernest Buscher حفريات البعثة الألمانية في بلاد الإغريق لبعض الوقت. وعادت البعثة أعمالها بدءاً من عام ١٩٢٥ وحتى ١٩٤٠م. وفي عام ١٩٢٥م نشر في ألمانيا الأعمال العظيمة لـ ج. د. بيزلي J. D. Beazley عن طراز الفخار الاتيكي الأحمر التي استندت على دراسة لعشرة آلاف قطعة، وظهرت النسخة الإنجليزية للكتاب في عام ١٩٤٢م في وقت كان بيزلي قد فرغ من دراسة خمسة آلاف قطعة أخرى.

وفي عام ١٩٢٧م عاودت. فيغاند T. Wiegand العمل في بيرغامون كما بدأ ك. ليمن K. Lehman حفريات في ساموتريس في عام ١٩٣٨م^(١).

أما في مجال الآثار غير الكلاسيكية فإن بروي سبق أن أوضح آراءه عن تطور فنون الكهوف الخاصة بالعصر الحجري القديم منذ عام ١٩٠٢م، ونشر تقويمه النهائي في عام ١٩٣٤م في كتابه تطور الفنون الجدارية في الكهوف

(١) بيرغامون موقع مدينة إغريقية قديمة في غرب الأناضول، وساموتريس جزيرة في بحر إيجه. (المترجم).

**L'Evolution de L'Art Parietal dans les Ca- والملاجئ المزخرفة في فرنسا
vernes et Abris Ornees de France**

وكرر ذلك التقويم في كتابه أربعمئة قرن من فن الكهوف (١٩٣٤) **Four Hundred Centuies of Cave Art**. وفي هذه الأثناء تم اكتشاف مواقع جديدة، منها على سبيل المثال موقع بش ميرل^(١) الذي اكتشف في عام ١٩٢٠ م.

كان عام ١٩٢٥ م نقطة تحول في دراسات حقبة ما بعد العصر الحجري القديم في أوروبا، حيث نشر غردون شايلد V Gordon Chide الأسترالي الشاب الذي كان يعمل مساعداً لأمين مكتبة المعهد الملكي للدراسات الأنثروبولوجية في لندن كتابه فجر الحضارة الأوروبية **The Dawn of European Civilization**. والكتاب ليس له سابق بالإنجليزية على شاكلته رغم أن كتاب شوخارت Schuchhardt أوروبا القديمة (١٩٢١) **Alteuropa** كان تحليلاً رائعاً على نهج كتاب شايلد وربما كان شايلد مديناً له بأكثر مما هو مصرح به. أعقب شايلد كتابه هذا في عام ١٩٢٩ م بكتاب آخر بعنوان الدانوب فيما قبل التاريخ **The Danube in Pre-history**. في هذه الأثناء كان شايلد قد عين على كرسي أبركرمبي للآثار بجامعة أدنبره وهو المنصب الذي تقلده من عام ١٩٢٧ وحتى عام ١٩٤٦ م حين عين مديراً لمعهد الآثار بجامعة لندن، وهي الوظيفة التي بقي فيها حتى تقاعده في عام ١٩٥٧ م. وخلال ثلاثين عاماً من التدريس والبحث أصبح شايلد أحد أهم الشخصيات وأميزها في حقل علم الآثار في العالم. لم يعرف بوصفه شخصاً مهتماً بالعمل الحقلية أو ممارساً له، إلا أن معرفته بحفريات الآخرين وبالمقتنيات الأثرية في متاحف أوروبا والشرق الأدنى كانت واسعة عميقة.

(١) بش ميرل أحد المواقع التي كشفت عن فنون صخرية تعود إلى حقبة العصر الحجري القديم الأعلى في جنوب غرب فرنسا. (المترجم).

بعد صدور مؤلفاته تلك لم يكن بوسع أي بلد أوروبي أن يدرس ماضيه في حدوده القطرية، فقد قدمت نظرتة الأوربية الشاملة لحقب ما قبل الرومان نموذجاً للطلاب والدارسين حتى الحرب العالمية الثانية وعلى مدى عشرين عاماً بعد ذلك، لم يكتف شايلد بوضع حقائق ما قبل التاريخ في إطارها الصحيح بل قام بتفسيرها بوسيلتين:

أولاهما: استبداله نظام العهود القديم بفكرة الحضارة التي تبرز واضحة في مقدمة كتابه الدانوب فيما قبل التاريخ. وفي المجال الثاني: قام بتفسير تطور حضارات ما قبل التاريخ في أوربا عن طريقين: بواسطة انتشار مجموعات بشرية وأفكار من الشرق الأدنى وحوض المتوسط (بعد وقفة خاطفة عند تعاليم الانتشارية المصرية لإليوث اسمث تخلقى عن فكرة أبناء رع) تعدلت وتطورت في أوربا. كذلك نظر إلى أوربا البربرية على أنها تلقت انتعاشاً حضارياً من جنوب غرب آسيا ولكنها أوجدت أشياء جديدة خاصة بها.

أثناء سنوات التحليل والتأليف والكتابة والتدريس تلك، كانت الاكتشافات الجديدة تتواصل، وكان شايلد متابعاً لها. لقد وُصف كثيراً بأنه آثاري ماركسي، لكنه لم يكن كذلك كما أوضح بنفسه (راجع مجلة العصور القديمة ١٩٧٩م ص ٩٣ - ٩٥). لم يكن متتمياً إلى مدرسة دانيال ولسون ولويس مورغن التي كانت تؤمن بالتطور الحضاري الأحادي، على الرغم من أنه سار على النهج الماركسي في الوحدة النفسية للإنسان في كتابه أسكتلندا قبل الأسكتلنديين (١٩٤٦) *Scotland before the Scots*. لقد بقي انتشارياً مبشراً بنموذج معدل عما نادت به مدرسة مانشستر، وكان مهتماً دائماً بالموازنة في التفسير بين الانتشار والتطور المستقل عن الانتشار. هل كانت إنجازات أوربا البربرية في العصرين الحجري الحديث والبرونزي نتيجة ما أخذته عن جنوب

شرق أوروبا والشرق الأدنى أم ترى تفسيراً مهماً لما اقتبسته من الخارج؟ لم يحدث أن أجاب على هذا السؤال بما يشبع رغبته، والسبب واضح وهو أن إجابة السؤال ليست بتلك البساطة^(١).

هناك ثلاث شخصيات بريطانية أسهمت بشكل مميز في مسيرة علم الآثار خلال ربع القرن الذي نتاوله في هذا الفصل، وسنعرض لهذه الشخصيات حسب ترتيبها الأبجدي وهي كروفورد Crawford وفوكس Fox وويلر Wheel-er. اثنان منهم تركا لنا قصتي حياتيهما: قول ألجز (١٩٥٥) Said and Done لكروفورد، ومازلت منقباً Still Digging لويلر. والكتابان على درجة من الأهمية، ليس لفهمنا لهؤلاء الرجال فقط ولكن لتطور علم الآثار داخل بريطانيا وخارجها خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن. أما فوكس فإنه لم يترك سيرة حياته إلا أن المقال الذي نشر في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب آثار منطقة كيمبردج The Archaeology of the Cambridge Region يوضح الكثير عنه وعن تطور أفكاره.

حين نضيف إلى هذه القائمة القصيرة من الرجال الثلاثة اسم شايلد الأسترالي الجنسية الذي أمضى كل حياته العملية في بريطانيا، ونذكر إيفانز الذي كان يعمل في كريت، وكذلك اكتشافات هوارد كارتير وكارنرفون في مصر وولي في بلاد الرافدين ومارشال في الهند وغارستانق في الأناضول وفلسطين؛ يصبح من الإنصاف القول: إن هذه الفترة هي فترة سيادة الآثاريين البريطانيين مثل ماكان النصف الثاني من القرن التاسع عشر فترة سيادة الآثاريين الإسكندنافيين والفرنسيين.

(١) راجع الفصل الخامس.

تخرج و.ج.س. كروفورد (١٨٨٦ - ١٩٥٧م) في قسم الجغرافيا بجامعة أوكسفورد تحت إشراف هيربرتسون وعمل مدة قصيرة ملاحاً جوياً خلال الحرب العالمية الأولى، وأمضى فترة أطول رهينة حرب في ألمانيا، بعدها عين ضابطاً للآثار بمصلحة المساحة. وقد أدرك ضرورة احتواء الخرائط على معلومات حديثة دقيقة عن المواقع الأثرية، الشيء الذي جعلها محل اهتمام العالم. ثم بدأ سلسلة من الخرائط حسب الأدوار الحضارية (كان من أشهرها خريطة لبريطانيا تحت الرومان) أعطت حقب الماضي شكلاً تصويرياً، كذلك فإن خبرته بوصفه ملاحاً أقنعت به قيمة الملاحظة الجوية والتصوير الجوي بالنسبة لعلم الآثار. لم يكن الوحيد في هذا المجال فمنذ الحرب العالمية الأولى أدرك علماء بريطانيون وألمان وفرنسيون يعملون في الاستخبارات العسكرية قيمة التصوير الجوي بالنسبة للآثاريين. فقد قام الدكتور الألماني فيوغاند Wiogand بتتبع الأطراف الشرقية لحدود الإمبراطورية الرومانية إلى دبوجا من صور جوية^(١). وفي وقت لاحق ألحق خصيصاً بقوات ألمانية في جنوب فلسطين وسيناء لتصوير المواقع الأثرية ووصفها. كذلك استعمل ليون ري Leon Rey صوراً جوية لأغراض أثرية في عام ١٩١٥م في مقدونيا، كما درس الأب أنطوان بوابارد Antoine Poidebard صوراً جوية للشرق الأدنى، وطار في عام ١٩١٨م عبر بلاد الفرس. أما الصور الجوية التي التقطتها الجمعية الملكية للطيران لمناطق من الشرق الأدنى وتحوي مواقع أثرية فقد وجدت استحسان رجال من أمثال بيزلي Beazeley وهامشو توماس Hamshaw Thomas. قدم الكولنيل بيزلي بحثاً

(١) الإشارة هنا إلى التحصينات الرومانية لسد الفجوات بين الراين والدانوب، وبين الأخير ودبوجا على البحر الأسود لرسم الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية الغربية. (المترجم).

للجمعية الملكية الجغرافية في لندن بعنوان مسوحات في وادي الرافدين خلال الحرب *Surveys in Mesopotamia during the War* ونشر في المجلة الجغرافية *Geographical Journal* في عام ١٩٢٠م، حيث أرسى القاعدة للتفسير الأثاري للصور الجوية.

وناقش و.ج.س. كروفورد مع الدكتور ويلمز فريمان *Williams Freeman* قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى قيمة معاينة الأرض من الجو. وكان ويلمز فريمان نفسه قد قال: «يجب أن تكون طائراً لكي تصبح أثارياً حقيقياً». كذلك كان كروفورد - كما رأينا - ملاحاً خلال الحرب، وبعد الحرب طور إمكانية استعمال التصوير الجوي ونشر عمله الرائد مع الإسكندر كيلر *Alexander Keiller* في عام ١٩٢٨م تحت عنوان *Wessex from the Air* وسكس من الجو. لقد كان عملاً عظيماً حيث استأجر طائرة وقام بالتقاط ثلاثمائة صورة جوية لمواقع أثرية خلال شهرين.

كان كتاب وسكس من الجو مصدر إلهام للميجر ألان الذي كان هاوياً للطيران، كان يمتلك طائرة خاصة به ويستعمل آلات تصوير قام بتجميعها، وخلال مواسم محددة من الطيران قام بالتقاط عدة آلاف من الصور الجوية لجنوب بريطانيا.

عمل بير بوابار *Père Poidbard* في الشرق الأدنى، وجاءت مؤلفاته *La Trace de Rome dans le* أثر روما في الصحراء السورية (١٩٣٤) *Derert de Syrie* وميناء عظيم اختفى، صور (١٩٣٩) *Un Grand Port Dis-* paru, Tyr (مع ر. موتيرد *R Mouterde*) حدود كلخيس *Le Limes de Chal-* cis ، نماذج للبحث الأثاري القائم على الصور الجوية.

كان كروفورد مدركاً تمام الإدراك لأهمية جذب اهتمام العامة لعلم الآثار، وكان كتابه الإنسان وماضيه (1921) **Man and his Past** جهداً رائداً لتوضيح أهمية علم الآثار للعالم. وفي عام 1927م أصدر مجلة العصور القديمة (التي بقي محرراً لها على مدى ثلاثين عاماً حتى وفاته في عام 1957م) لإيصال نتائج الأعمال الأثرية للعالم، وعلى حداثتها فقد أحرزت نجاحاً فاق كل توقع، إن مؤلف هذا الكتاب لفخور وسعيد بخلافته كروفورد محرراً للمجلة التي قدمت الكثير لتجعل من علم الآثار مادة مقروءة وذات صلة.

بدأ فوكس حياته العملية في مجال الآثار الحقلية والمتاحف في منطقة كيمبردج، وكان كتابه آثار منطقة كيمبردج (1923) **The Archaeology of the Cambridge Region** رائداً في التوجه الجغرافي لعلم الآثار. وتجدد الإشارة إلى أهمية العنوان الفرعي للكتاب وهو دراسة طوبغرافية للعصر البرونزي والعصر الحديدي المبكر والعصر الروماني والإنجلو ساكسوني. لقد كانت أفكاره متأثرة بمدرسة أبرسووث للإثنروبولوجيين الجغرافيين. وكان البحث الرائع الذي قدمه فليور **Fleure** ووايتهاوس **Whitehouse** بعنوان الهجرة السكانية المبكرة صوب الأودية في جنوب بريطانيا **The Early Valleyward Movement of Population in Southern Britain** قد نشر في مجلة آثار كيمبردج **Cam-Archaeologia** في عام 1916م، كما أن كتاب كروفورد الإنسان وماضيه قد طور إمكانات التوجه الجغرافي ووسائله لدراسة ما قبل التاريخ والتاريخ المبكر. إن مافعله فوكس هو تطبيق فكرة كروفورد (ومن قبل كروفورد ومدرسة فليور وأعمال الألمان مثل غرادمان) على منطقة محدودة، تمتد من عشرين إلى خمسة وعشرين ميلاً حول مدينة كيمبردج، وقام بدراسة توزيعات مواقع ما قبل التاريخ إزاء الخلفية الطبيعية للنبات وربطها بالغطاء النباتي لحقب ما قبل التاريخ، وليس الحقبة التاريخية.

طبق فوكس بعد ذلك تفسيره الجغرافي للماضي على دراسة الآثار بوجه عام، ويتضح ذلك في كتابه شخصية بريطانيا (١٩٣٢) **The Personality of Britian** الذي كان له أثر كبير على الآثاريين في كل مكان. وصف البروفسر ي.غ.ر. تايلر E. G. R. Taylor أثر هذا الكتاب بأنه: «هزة أرضية صغيرة تعادل ٦ درجات بمقياس روسي - فوريل» كانت «إيقاظاً عاماً للنيام...» وقرأه للأجراس، وهجرة بعض المفروعين لمقاعدهم».

كذلك فإن بعض الآثاريين الجالسين باسترخاء على مقاعدهم قد فزعوا أيضاً حين علموا من فوكس وكروفورد بنهج مناخي وبيئي لعلم الآثار. إن الجيل الجديد من الآثاريين في بريطانيا ربما يدينون بالعرفان لأشخاص مثل غراهام كلارك وأريك هيغز لتركيزهم على أهمية الإطار الأيكولوجي Ecofact (وهو كل مايرتبط بالحضارة من غير المخلفات المادية). على هؤلاء ألا ينسوا أن النهج المناخي لدراسات ما قبل التاريخ الذي عرف في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات قد ارتكز على أعمال فوكس وفليور وكروفورد في العشرينيات.

إن تاريخ علم الآثار يصعب سرده حين نحاول أن نضم مثلاً ما حدث فعلاً في التفكير الأوروبي بين حقبة ماكارتي وغوجيه وافتتاح متحف كوبنهاجن في عام ١٨١٩م. ومثلاً لذلك؛ فإننا حين نؤرخ لتطور نظام العصور الثلاثة التقني يتعذر علينا أن نجد من يذكر فضل مؤرخي بداية القرن الثامن عشر من أمثال يوهان فون ايكارت Johann Von Eckart الذي طرح نظام العصور الثلاثة بوصفه مفهوماً تاريخياً بالوضوح نفسه الذي طرحه به فيديل سيمونسن -Vedel Simonsen. ربما كان ذلك لأن أحداً لم يكثرث بما قاله، كما أوضح ر.ج. شرير RJ Sharer ووندي أشمور Wendy Ashmore في كتابهما أساسيات علم الآثار (١٩٧٩ : ٥٢) **Fundamentals of Archaeology**.

وبالدرجة نفسها من الصعوبة - إن لم يكن أكثر منها - يكون الحال حين يتعلق الأمر بأشخاص يعرفهم الكاتب وكان قد ناقش معهم تطور أفكارهم. إنه لمن الواضح لأي مؤرخ لعلم الآثار أو مؤرخ للأفكار أن نظريات فوكس قد استندت إلى كتاب هالفورد ماكندر Halford Mackinder بريطانيا والبحار البريطانية Britain and the British Seas وكذلك على كتابات فيدال دولا بلاش Vidal de la Blache وهو أستاذ الجغرافية البشرية، فرنسي كان قد جاء بفكرة الشخصية الجغرافية Geographical Personality. إنني أعرف فوكس جيداً، وقد ناقشت معه مراراً منشأ أفكاره الجغرافية وتطورها، إنه لم يكن قد سمع بماكندر أو فيدال دولا بلاش! دعك من أن يكون قد قرأ لهما، وهنا مثلما كنا نحاول التركيز على حقل التفسير الآثاري، نلاحظ في حقل الأفكار الآثارية تطوراً مستقلاً ومتوازياً.

أما البريطاني الثالث فهو ر.ي.م. ويلر (السير مورتمر ويلر Mortimer كما عرف للعالم بعد أن نال لقب فارس في عام ١٩٥٢م). ولد في عام ١٨٩٠م، وكان تواقاً في بداية حياته إلى أن يصبح فناناً ولكنه اختار بدلاً من ذلك أن يواصل اهتماماته الأكاديمية ويدرس العلوم الكلاسيكية في الكلية الجامعية بلندن تحت إشراف أ.ي. هاوسمان وآخرين. ثم تحول إلى الآثار بنجاح باهر ومنفعة جمة لأجيال الآثاريين بخاصة في بريطانيا والهند. كان سائراً على ذلك التقليد الملحمي في العمل الميداني والحفريات، وربما كان الأخير في سلسلة بدأت بليارد وماكارتني واستمرت بيثري وشليمان وبث- ريفرز وآرثر إيفانز وولي.

في مرحلة مبكرة من عمره تولى ويلر إدارة متحف ويلز الوطني، وكان كتابه الثاني ويلز ما قبل التاريخ والفترة الرومانية (١٩٢٥) Prehistoric and Roman Wales عملاً مثيراً ذا نظرة مستقبلية. كانت حفرياته الأولى في مواقع رومانية مثل لا يدني وكارلون وكارنرفون وفرلاميون، إلا أن أكثر حفرياته شهرة

ومعرفة لدى العامة هي قلعة ميدن في دورست التي تؤرخ إلى العصر الحديدي. أعقب ذلك بعمل ميداني مكثف وتنقيبات متتقة في حصون التلال في شمال فرنسا. وصدر كتاب قلعة ميدن Maiden Castle في عام ١٩٤٣م يحوي تطبيقاً واضحاً لمنهج ويلر، وسيبقى لوقت طويل نموذجاً للإصدارات الآثارية. لقد قدم ويلر نظاماً جديداً وأسلوباً في الحفريات - كما كان يردد كثيراً - على غرار أعمال بت ريفور التي نُسيت وقتها أو التي لم تحظ بماتستحقه من اهتمام. إن ما أسماه الفرنسيون «بمنهج ويلر» هو عبارة عن مقاطع عريضة، وتنقيب بالمربعات أو الأرباع مع وجود فواصل ثم التسجيل الدقيق لكل شيء والمسح الدقيق المفصل والنشر الكامل العاجل للنتائج.

انتقل ويلر من كاردف ليعمل مديراً لمتحف لندن، وأسس مع زوجته تيسا فرني ويلر معهد الآثار بجامعة لندن. إن سجل قصة حياته في كتابه مازلت منقباً يجب أن تضم إليه كلمات النعي التي نشرها كل من استيورات بيغوت في محاضر الجمعية الملكية (١٩٧٧ ص ٦٢٣ - ٦٤٢) Transactions of the Royal Society وجاكيثا هوكس Jacquetta Hawkes في مداولات الأكاديمية البريطانية (١٩٧٧ ص ٤٨٣ - ٥٠٧) Proceedings of the British Academy.

وفي عام ١٩٤٣م عيّن ويلر مديراً عاماً للآثار في الهند^(١)، وعلى أن عماله في الهند ومابعداها تدخل في نطاق الفصل القادم إلا أنه من الخطأ تجزئة سيرته بوصفه آثارياً عظيماً. لقد أدخل إلى شبه القارة الهندية المناهج العلمية في المسح والحفريات الآثارية، وهي المناهج التي طورها في بريطانيا بين الحربين العالميتين. كذلك أدخل روحاً جديدة لدراسة الهند القديمة، مقترنة بعقريّة في الإدارة وطاقة في تحمل العمل الشاق، وكان لدهشة زملائه الهنود وتلاميذه

(١) يقصد «بالهند» هنا شبه القارة الهندية التي تشمل إلى جانب الهند باكستان وبنغلادش. (المترجم).

لا يعبأ بقسوة المناخ. لقد بعث روحاً جديدة في دراسة الآثار الهندية ودرب آثاريين وقام بنفسه بإجراء سلسلة من التنقيبات ذات أهمية قصوى؛ في المدن الهندية في موهنجدارو وهرابا أولاً، حيث كشف عن الطبيعة الحقيقية لتلك المدن. وفي مواقع مثل تاكسيلا وشاندرابنتا ثانياً حيث تمكن من سد الفراغ بين حقب ما قبل التاريخ والحقب التاريخية، وسلط الضوء على العلاقات بين هذه المدن والمناطق الأخرى إلى الشرق والغرب خلال الفترة الإغريقية الرومانية. نذكر عمله كذلك في مواقع مثل المحطة التجارية الهندية الرومانية في أريكاميدو على الساحل الشرقي قرب بوندشيري. لقد اكتشف ذلك الموقع وقام بالتنقيب فيه، وتمكن من تأريخ فخار لم يكن معروف التأريخ بعد، وبه استطاع تأريخ المباني الميغاليثية الهندية في دكان إلى القرون التي سبقت المسيحية مباشرة.

وكما كانت إنجازات ويلر في الهند متميزة عبر الحفريات والأبحاث، كانت مساهماته في علم الآثار في شبه القارة الهندية متميزة أيضاً بتدريبه لآثاريين هنود، وإنشاء مدرسة لتخريج فنيي متاحف وفنيين ميدانيين على درجة عالية من الكفاءة. كذلك أصدر مجلة الهند القديمة **Ancient India**، وقد كانت هذه في حد ذاتها إنجازاً عظيماً في أيام الحرب في بلد لم تعرف فيه طباعة متميزة. وهناك قلة من الآثاريين ممن تجاوزوا سن الأربعين في الهند أو الباكستان لا يقرون بأن ويلر هو «الأب الروحي» guru بالنسبة لهم، إنه لمن المدهش أن تفجر مقدرات رجل واحد ثورة آثارية في شبه قارة بكاملها. وكما هو الحال بالنسبة للثورة التي أحدثها ويلر في مجال علم الآثار الميداني خلال العقد الثالث والرابع من هذا القرن، كانت مقدراته مدعومة بمناهج صارمة ونشاط دوؤب وغاية لا تشني.

وحين غادر ويلر الهند بعد التقسيم كانت هناك دائرتان آثاريتان متميزتان. أما الحفريات والبحوث فقد ظلت تسير بخطأ حثيثة، وكان واحد من أكثر

المواقع الجديدة إثارة قد تم التنقيب فيه في آخر العقد السادس وبداية العقد السابع على يد شري راو Shri Rao ، وذلك في لوئال في غوجرات . واتضح أن الموقع مدينة قديمة في وادي السند يحوي بقايا ميناء ومدخلاً للسفن ورصيف لشحن البضائع وتفريغها، يصل طوله إلى ثمانين قدماً (أربعة وعشرين متراً)، ويؤرخ من الفترة المبكرة لهرابا حتى ازدهارها، وقد عثر فيه على ختم فارسي من الفترة نفسها.

بعد عودة ويلر إلى إنجلترا أصبح أميناً للأكاديمية البريطانية، وعاود تنقيباته في بريطانيا بإجراء حفريات في استانويك في شمال يوركشير. لقد كان يعد عمله في الهند أعظم إنجازاته، ولكنه على عظمتها كان يمثل حلقة متميزة في سلسلة أعماله العظيمة. لقد كان عملاً حافلاً بأحداث مهمة في سيرة رجل هو بلا أدنى شك أحد الرموز العظيمة في تاريخ علم الآثار. إن إنجازاته في الهند يجب أن تقوم في إطار ما كان يدور هناك في مجال الآثار قبل ذهابه، الشيء الذي سنتناوله بإيجاز في الفصل القادم.

لقد ذكر أن ويلر لم تكن لديه مساهمات في المجال النظري لعلم الآثار، والرأي عندي أن خير موقف نظري يمكن أن يتبناه الآثاري هو استعمال الوسائل المتاحة لصياغة الماضي البشري من المخلفات المادية المتوافرة، وكان ويلر دائم الالتزام بغايات علم الآثار. يقول: «إن الآثاري لا ينقب عن أشياء، إنما ينقب عن شعوب». تلك عبارة نظرية لا يطبقها كل الآثاريين. وفي ختام هذا الجزء، دعنا نتمثل بقولين من أقواله: «في عبارة بسيطة ومباشرة، فإن علم الآثار علم يجب أن يُعاش، يجب أن يُوشح بالإنسانية»، «إن الآثار الميتة هي أجذب عاصفة تهب».

الهند والصين:

في عام ١٩١٣م بدأ باريت Barrett كتابه آثار الهند - The Antiquities of India بتراتيل الرغفيدا^(١) وقال: «في الهند، ليس هناك فجر قبل الغروب». وحين كتب سير جون مارشال فصلاً عن آثار الهند القديمة في المجلد الأول من سلسلة تاريخ الهند التي أصدرتها جامعة كيمبردج والذي صدر في عام ١٩٢٢، ذكر: «أنه من سوء طالع تاريخ الهند أن أقدم صفحاته وأكثرها غموضاً لم تنل سوى القليل من الضوء من البحث الآثاري المعاصر». ماكتبه عن مرحلة ما قبل الهندوسية Pre-Vedic في الهند لا يشمل سوى إشارات عن العصر الحجري القديم والآثار الميغاليثية في جنوبي الهند وبعض المعثورات النحاسية من الجانج. بعد ذلك بعامين أعلن مارشال في صحيفة أخبار لندن المصورة The Illustrated London News عن حفريات في مدن هرابا وموهنجدارو التي تقع في باكستان الحالية، وقارن بين اكتشافهما واكتشاف سليمان لطروادة وموكيناى. تقع هرابا على بعد ثلاثمائة ميل إلى الشمال الغربي من دلهي قرب خط السكة الحديدية الذي يصل لاهور بملتان، إن حوالي مئة ميل من رصيف هذا الخط الحديدي قامت على الطوب الذي جلب من المدينة الأثرية.

وفي عام ١٩٢١م قام دايا رام ساني Daya Ram Sahni بالتنقيب في هرابا وتعرف إلى طبيعة الموقع، ثم تواصلت هذه الحفريات خلال الأعوام ١٩٢٣-١٩٢٥م على يد ساني، الذي أعقبه م.س فاتز MS Vats خلال الأعوام ١٩٢٦-١٩٧٤م وقام الأخير بنشر نتائج الحفريات في عام ١٩٤٠م.

(١) الرغفيدا هي أقدم الكتب الهندوسية وتحوي أشعاراً كتبت بالسانسكريتية، وتؤرخ إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. (المترجم).

في الوقت نفسه الذي كان فيه ساني يجري تنقياته في هرابا بدأ ر.د. بنرجي R.D. Banerji حفريات في موهنجدارو (مكان الموتى) التي تبعد أربعمئة ميل جنوباً، ومئة وأربعين ميلاً إلى الشمال الشرقي من كراتشي. خلال موسم عام ١٩٢١-١٩٢٢م اخترقت الحفريات هناك مباني من الحقبة التاريخية، كشفت بعدها طبقات تحتوي على أختام كتلك التي عرفت من هرابا. وتواصلت هذه الحفريات كذلك على يدي فاتز ودكشت Dikshit ومارشال وهارغريفز Hargreaves وساني وماكاي Makay. ونشرت نتائج تلك التنقيبات التي استمرت عشر سنوات في ثلاث مجلدات لمارشال تحت عنوان موهنجدارو وحضارة السند (١٩٣١) Mohenjo-daro and the Indus Civilization. كما نشر ماكاي حفريات أخرى في موهنجدارو (١٩٣٨) Further Excavations at Mohenjo-daro.

بينما كانت الحفريات الرئيسة تسير في هرابا وموهنجدارو كان ماجمدار Ma-jumdar في السند وهارغريفز واستين Stein في بلوخستان يسجلون مواقع مما كان يعرف وقتها بحضارات السند أو حضارة هرابا. بعض هذه المواقع كان مدناً صغيرة مثل شانهودارو، والبعض كان قرى. لقد ساعدت اكتشافات أخرى على مد الحدود الجغرافية لهذه الحضارة لتصل إلى تلال سواك في الشمال الشرقي وإلى خليج كامبي في الجنوب، فغطت رقعة أكبر من تلك التي غطتها حضارتا مصر ووادي الرافدين.

إن الاكتشافات في وادي السند قدمت منظوراً جديداً لنمط الماضي، لقد كشف علم الآثار خلال الخمسين عاماً الماضية عن حضارات مما قبل التاريخ ترقد تحت المدينت التاريخية في بلاد الإغريق وروما وآشور ومصر، كما أن المينوية والموكينية والحيثية والسومرية أصبحت أمراً مألوفاً في الفكر التاريخي.

إلا أن هذه الاكتشافات قد تركزت في منطقة شرق المتوسط وجنوب غرب آسيا، أما حضارات السند فقد كانت تبعد ألفي ميل عن وادي الرافدين، وتتمتع مدنها بشوارع منتظمة وحرفيين بارعين في صناعة المعادن وإنجازات فنية مثل «الراقصة والراهب الملتحي». لقد أضافت إلى التاريخ المبكر للمدنيات بعداً جديداً، ليس جغرافياً فحسب وإنما حضارياً كذلك.

كذلك كان حال الاكتشافات من الصين، لقد كانت النظرة لما قبل التاريخ في الصين لا تختلف عن تلك التي عرفتتها الهند، إذ إنه حتى بداية العقد الثالث من هذا القرن - وعلى وضوح أهمية مدنيات الصين القديمة - كان هناك اعتقاد بأن الصين لم تعرف استيطاناً بشرياً خلال حقبة ما قبل التاريخ. كتب جاك دو مورغن Jacques de Morgan في كتابه إنسان ما قبل التاريخ Prehistoric Man : «أن المدنية في الصين تؤرخ إلى القرن السابع أو الثامن ق.م. إننا نجهل ما قبل التاريخ فيها تماماً».

لقد أزيل هذا الجهل أولاً عبر مبادرة الجيولوجي السويدي غونار اندرسون Gunnar Andersson واهتمامه. فقد ذهب غونار إلى الصين في عام ١٩١٤م مستشاراً في مصادر الفحم والبتروول. وفي عام ١٩٢١م اكتشف مستوطناً يعود إلى العصر الحجري الحديث في كهف يانج شاو تسون في هونان^(١) ونشر تقريراً مبدئياً بعنوان حضارة صينية مبكرة (١٩٢٣) An Early Chinese Culture أبرز فيه ما عرف منذ ذلك الحين بحضارة يانج شاو، وقد عثر على

(١) تنتشر مواقع ثقافة يانج شاو في الجزء الأوسط من النهر الأصفر في شمال الصين، وقد عرف أهل تلك الثقافة صناعة الفخار وزراعة الحبوب. (المترجم).

حضارات سابقة ليانج شو في الصين خلال الأعوام العشرة التالية^(١).

في نهاية القرن التاسع عشر عثر مزارعون قرب أنيانج شمال مقاطعة هونان على مخلفات عظمية بعضها مزين بأشكال، لقد تمت دراسة هذه المخلفات في هذا القرن وصُنفت على أنها عظام للابتهال للمعبود^(٢).

وفي عام ١٩٢٨م قام معهد الأبحاث الوطني للتاريخ واللغات القديمة التابع للأكاديمية العلوم بالاشتراك مع المعهد الأسيمثوني بحفريات في موقع أنيانج. اشرف كل من لي شي وليانج سو يونج على الحفريات، ونشر التقرير في أربع مجلدات حملت العنوان تقارير مبدئية عن الحفريات في أنيانج (١٩٢٩ - ١٩٣٣) *Preliminary Reports on Excavations at Anyang*. لقد كشفت الحفريات عن مدينة أنيانج القديمة، عاصمة عائلة شانج في منتصف الألف الثاني ق.م. وقد كانت المدينة مركزاً لحضارة كانت تصنع البرونز وتشكل العظام والحجارة والعاج. هنا في الألف الثاني تكمن عناصر المدنية الصينية القديمة.

لقد كشف علم الآثار الآن حضارات ما قبل التاريخ في الهند والصين، أما عن عمر تلك الحضارات وعلاقاتها بحضارات ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى القديم فقد كانت - ولا تزال - رياضة ذهنية للعلماء لسنوات طويلة.

(١) كان من أهم هذه الاكتشافات كهف شوكتين على مقربة من بكين حيث عثر على ثقافة تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل تؤرخ إلى ما قبل نصف مليون سنة، وقد حوت أدوات حجرية بسيطة الصناعة، كما قدمت دليلاً على تحكم الإنسان في النار. وإلى جانب المخلفات الحضارية كانت هناك مخلفات عظمية بشرية لجماعات الهومو إركتس *Homo erectus* التي سكنت الكهف، إلا أن المخلفات العظمية فقدت - بكل أسف - أثناء الحرب الكورية. (المترجم).

(٢) هذه العظام في أصلها أجزاء من عظم لوح الكتف عند البقر، وقد حملت كتابات تعد من أقدم الكتابات الصينية، تقول الأسطورة الصينية: إنها تحمل السؤال والإجابة عليه، ولعلها تعاريف وابتهالات للمعبود. (المترجم).

وبقدر ما كانت نتائج حفريات مارشال ومعاونيه وزملائه مثيرة وموطناً للإعجاب، كانت مناهجهم في العمل محل انتقاد. كان ماكاي قد حمل إلى وادي السند خبرته في مصر ووادي الرافدين، وكما أقر جون مارشال نفسه فإن أحد الأسباب التي جعلت منه مديراً عاماً للآثار في الهند كان تحسب إدخاله المناهج العملية في الحفريات التي تعلمها في بلاد الإغريق. إلا أن فهم الإستراتيجيات الأثرية كما طبقها دوربفيلد في طروادة وشميت في أتاو وبيتري في مصر وفلسطين وبت - ريفرز في إنجلترا لم تصل بعد إلى مارشال وماكاي. إن ما يسمى بالإستراتيجيات في مواقع وادي السند لم تقم على تميز الطبقات السكنية ومتابعتها، وإنما على تحديد عمق كل معثور بالنسبة لسطح البحر في كراتشي؛ تلك الطريقة التي وصفها ويلر بأنها «مذهلة». وقد كانت مذهلة بالنسبة للعقد الثالث من القرن العشرين. إنه مثال جيد للآثارين الذين يجهلون تاريخ علمهم، ألم يسمع مارشال وماكاي بفارسيه وفيوريلى وبت - ريفرز، ناهيك عن توماس جفرسون؟ لا يبدو أنهم قد سمعوا بهم.

علم الآثار الأمريكي:

أيد ويلي وسابلوف في الطبعة الثانية من كتابهما تاريخ علم الآثار الأمريكي (١٩٨٠) اقتراحاً سبقهما إليه شوارتز بتميز أربع مراحل في تطور علم الآثار في أمريكا، وهي:

- ١- مرحلة التخمين: من ١٤٩٢ إلى ١٨٤٠م وقد أستعملت العبارة بمعنى أن التخمين هو صياغة أحداث في أمور لم تخضع للتجربة.
- ٢- مرحلة التصنيف والوصف: من ١٨٤٠ إلى ١٩١٤م وقد شهدت بداية الاحتراف في علم الآثار الأمريكي.

٣- مرحلة التصنيف والتاريخ: من ١٩١٤ إلى ١٩٦٠ م.

٤- مرحلة التفسير: ١٩٦٠ م وما بعدها.

أما المرحلة التي تقع في إطار الفترة التي يعالجها هذا الفصل فهي مرحلة التصنيف والتاريخ، وتتزامن بداية تلك المرحلة مع الثورة الإستراتيجية في مناهج العمل الميداني في أمريكا. لقد بدأت هذه الثورة بأعمال مانويل غاميو Manuel Gamio أحد تلاميذ فرانز بواس، الذي شارك أ. م. تورر A. M. Tozzer من هارفارد بتشجيعه ليقوم بحفريات إستراتيجية في وادي المكسيك، بغية تحديد فعلي لتسلسل الحضارات في المكسيك في مرحلة ما قبل كولمبس. فقام غاميو بحفر مجلس اختباري عمقه سبعة أمتار في ركام موقع اتزكابوتزالكو. ورواية عن ويلي وسابلوف فإنه: «بهذا المجلس وحده بدأ آثاريو أمريكا الوسطى يعون العمق الزمني لحضارات المنطقة، وأهم من ذلك أنهم أخذوا يدركون ما يمكن عمله تجاه ذلك». خلف نلس نلسون Neles Nelson غامو في أعماله في نيومكسيكو في عام ١٩١٤ م وما بعده. ثم جاء أ. كيدر A. Kidder الذي عاصر نلسون في هارفارد حيث كان قد تدرب على يد تورر وعالم المصرياتي الأمريكي ج. رايزنر G. Reisner، كان عمله في بيكوس في أعالي وادي بيكوس في نيومكسيكو واحداً من أكبر الأعمال البحثية في أمريكا الشمالية في حينه، وذا أهمية قصوى في تطور مناهج علم الآثار في أمريكا.

بدأ كيدر عمله الميداني في مجال الآثار في عام ١٩٠٧ م حين قام أدغار هيويت Edgar L Hewett - الذي كان من شاكلة مورنر ويلر - بأخذه واثنين من زملائه الطلاب من جامعة هارفارد إلى قمة هضبة في الجنوب الغربي الأمريكي. وهناك أشار لهم إلى منطقة تغطي مئات الأميال المربعة، وكانت هذه في نظر كيدر كما روى لاحقاً: «لقد بدت لي وكأنها نصف العالم»، لقد

أشار هيويت إلى بعض المعالم الأثرية في تلك المنطقة وخاطبهم بحدة: «أيها الصبية عليكم القيام بمسح أثاري لهذه المنطقة، وسأعود إليكم خلال ستة أسابيع، يمكنكم الاستعانة ببعض الخيول».

تم اختيار كيدر ليكوس لأنها كانت مستوطنة يقيم فيها الهنود حين وفد المستعمرون الأسبان في القرن السادس عشر. استمرت حفرياته من عام ١٩١٥ وحتى عام ١٩٢٩م ومثلت الأساس لأول تسلسل للاستيطان في الجنوب الغربي الأمريكي من المرحلة التي سبقت مجيء الأسبان، ثم نظم كيدر مؤتمراً في بيكوس في عام ١٩٢٧م للآثاريين من كل نواحي أمريكا، فصب هؤلاء خبراتهم وبحوثهم وخرجوا بمشروع للتسلسل الحضاري لا يزال يمثل القاعدة التي تستند عليها الأعمال المستقبلية في المنطقة.

نُشر كتاب كيدر مقدمة في دراسة آثار الجنوب الغربي *An Introduction to the Study of South- Western Archaeology* في عام ١٩٢٤م (وظهرت طبعة جديدة منه في عام ١٩٦٢ تحوي مقالاً افتتاحياً لأريفنج رواس Irving Rouse بعنوان: آثار الجنوب الغربي اليوم *Southwestern archaeology Today*)، يعد هذا الكتاب نموذجاً في تاريخ علم الآثار الأمريكي، كما أن كيدر نفسه يعد واحداً من أعظم الشخصيات التي أسهمت في تطور علم الآثار الأمريكي الحديث.

وفي عام ١٩٢٩م أصبح كيدر مديراً للأبحاث التاريخية في معهد كارنغي في واشنطن، ومن موقعه هذا استطاع أن يخطط وينظم عدداً من المشروعات الأثرية الكبيرة. ركز على المايا، مطالباً بدراسة المايا المعاصرين وإجراء حفريات للمواقع لرصد تاريخهم القديم. وفي عام ١٩١٥م نشر سلفانس مورني Syl- vanus G Morley كتابه الأساس مقدمة في دراسة هيروغليفية المايا *Intro- duction to the Study of Maya Hieroglyphs* وكانت ثلاث من حفريات

معهد كارنغي قد تركزت في كل من ياخاكستان في غابات جواتيمالا وشنشن
اتزا فييوكاتان وكامينالجويو (التي تعني تلال الموتى) في مرتفعات جواتيمالا .

في كتاب فخار بيكوس (١٩٣١) *The Pottery of Pecos* يطرح كيدر
مشروعه عن كيفية البحث في أي منطقة، ونورد هنا خطته بكلماته:

١- إجراء مسح أولي للمخلفات قيد البحث.

٢- اختيار معايير لترتيب المخلفات في إطار زمني.

٣- إجراء دراسة مقارنة لسماوات تلك المعايير للوصول لترتيب زمني للمواقع
التي تحوي تلك المعثورات.

٤- البحث عن مواقع تحوي معثورات في طبقات، والتنقيب فيها للتحقق
من الترتيب المقترح للمعثورات، وللحصول على عينات من هذه المعثورات
لإجراء الدراسات الخاصة بأشكالها وأصولها.

٥- إجراء مسح مكثف للمنطقة في ضوء ما هو معلوم لترتيب المواقع بشكل
نهائي، وإن دعت الحاجة تنقيب مواقع جديدة متقاة يتوقع منها أن تحل بعض
المشكلات التي تطرأ خلال مسار البحث.

نجد هنا برنامج عمل للأبحاث الأثرية يبدو لنا مثالياً وملهماً. بعد خمسين
عاماً من طرحه، وعلى أن ما أراده كيدر كان يتم في بعض المناطق في أوربا
(مناطق محددة فقط) إلا أنه - حسب علمي - لم يفصح عنه أحد بهذا الوضوح
الذي فعله كيدر، ولا شك أن فوكس في مقاطعة كيمبردج في شرق بريطانيا
كان يمارس ما أراده كيدر بالتحديد.

في هذه الأثناء كان هنالك خلاف بين الأثريين الأمريكيين حول طبيعة
الإستراتيجيا الأثرية، فقد كان كثيرون يرون أنها مسألة قياسات، بينما كان

آخرون - من أمثال كيدر - يرون أنها إدراك للإستراتغرافيا الحقيقية، أي فهم ماتوضحه الطبقات في إطار علاقتها بالتاريخ. ولمتابعة الحوار الشائق الذي دار حول قضية الإستراتغرافية القياسية (المترية) والطبيعية هذه؛ نحيل القارئ إلى كتاب ويلي وسابلوف تاريخ علم الآثار الأمريكي (طبعة ١٩٨٠، ص ٥٢ ومابعدهما). إن هذه هي القضية الأساس ذاتها التي واجهت ويلر في الهند حين بدأ يختبر نتائج سابقه، والإجابة سهلة، إن الإستراتغرافيا القياسية هي مسألة تسجيل أما الإستراتغرافيا الطبيعية أو التي جاءت نتيجة عوامل بشرية فهي تفسير للآثار^(١).

في عام ١٩٢٩م أدرك الطيار الشهير الكولونيل شارلس لنديبرغ Charles Lindbergh قيمة التصوير الجوي في الآثار، فقام أولاً بتصوير مواقع بويلو في الجنوب الغربي الأمريكي. وصف البروفسر أدغار هيويت الصور الجوية التي التقطها لنديبرغ بأنها أول تطبيق ناجح للتصوير الجوي في الآثار في أمريكا. وسرعان ما أدرك كيدر قيمته كذلك، وقال: «إن بعض الصور التي التقطها الكولونيل لنديبره وزوجته تكشف بوضوح العلاقة التي ربطت قديماً بين مصادر المياه والأراضي الصالحة للزراعة والمواقع السكنية المؤمنة».

وفي وقت لاحق من تلك السنة قام الكولونيل وزوجته بتصوير مناطق المايا الداخلية في بليز ضمن مشروع أعده معهد كارنغي للمسح الجوي، وصف هذا العمل بأنه أول مشروع أثاري شامل من نوعه في نصف الكرة الغربي (Leo (Deuel, Flightsinto Yesterday, 1969-213).

(١) الإستراتغرافيا القياسية (وتسمى أيضاً المترية أو الافتراضية) هي افتراض طبقات ذات سمك محدد، وهي وسيلة يلجأ إليه الأثاري في المواقع التي تحوي تراكمات حضارياً يغيب فيه التباين الطبقي الجيولوجي وكذلك الطبقي الحضاري. (المترجم).

الفصل الخامس الجديد وغير الجديد في علم الآثار (١٩٣٩ - ١٩٨٠ م)

اندلعت الحرب الكونية الثانية في غضون أسابيع قليلة بعد واحد من أكثر الاكتشافات إثارة في علم الآثار الحديث؛ ذلك هو اكتشاف مقبرة سفينة «ستون هو» في سفوك مع محتوياتها المميزة من الكنوز. هذا الأثر (الذي لم يعثر على أي جثمان بداخله) ربما كان يخص الملك ردوالد (Redwald ٥٩٩ - ٦٢٥) الذي عاش في القرن السادس. كرّس كروفورد عدداً كاملاً من مجلة العصور القديمة لهذا الاكتشاف، وقد تمّ نشر الاكتشاف كاملاً بواسطة روبرت بروس متفولد Robert Bruce Mitifold في ثلاث مجلدات.

ساد لبعض الوقت ما كان يطلق عليه الحرب الباردة، حتى كان الاجتياح الألماني لهولندا ثم بلجيكا ومن بعدها فرنسا. وبعد دنكرك اشتدت المخاوف من غزو ألماني لبريطانيا، بدا للكثيرين أن الحضارة الأوربية الغربية والفكر الحر غير الموجه في فهم التاريخ وما قبل التاريخ سيكتسحه طوفان النارية وتعاليمها العنصرية وتبشيرها بأسطورة السيادة الآرية.

كان لابد أن يحس البعض من أمثال غردون شايلد وآخرين أن هذا الأمر قد أصبح حتمياً يصعب تجنبه، فقد سبق لشايلد في عام ١٩١٧ م أن وصف الحرب الكونية الأولى بأنها: «ستدمر المدنية والحرية الحق»، وفي عام ١٩٥٧ م كتب

شايلد وهو ملق نظرة إلى الوراء، إلى سنوات الحرب الكونية الثانية: «كنت أنظر إليها كهاوية ليس لها قرار ستبتلع كل القيم الحضارية»، كتب إلى صديقه الحميم روبرت بريدوود في عام ١٩٤٥م قائلاً: «إنه بنهاية الحرب فإن العالم القديم خارج الاتحاد السوفيتي سيكون قد دمر تماماً».

إلا أنه من حسن الطالع بالنسبة لنا جميعاً، داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه أن شايلد كان مخطئاً. في عام ١٩٤٠م ظهر كتابه مجتمعات ما قبل التاريخ في الجزر البريطانية **Prehistoric Communities of the British Isles**. كان هذا الكتاب وقتها هو أفضل وأحدث مسح لما قبل التاريخ في بريطانيا. وقتها جلس شايلد ليكتب ما حدث في التاريخ **What Happened in History** الذي نشر في عام ١٩٤٢م. كان هذا الكتاب فائحة للعامة على أنه لم يكن واثقاً من أن العامة سيقروون التاريخ وما قبل التاريخ بتجرد وبلا تحيز. وحين كتب الحضارة الأوربية **European Civilization** كان يحس: «أن الرأسمالية والاشتراكية معاً يتجهان إلى عصر مظلم لا رجعة فيه».

التفسير الشامل للتاريخ عبر الآثار الذي ظهر في كتابه ما حدث في التاريخ كان تفسيراً مبسطاً. كان يرى أن الإنسان المتوحش في العصر الحجري القديم قد طور الزراعة مرة، مرة واحدة فقط في جنوب غرب آسيا، وهي المنطقة التي أطلق عليها برستد اسم «الهلال الخصيب». كانت هذه هي ثورة العصر الحجري الحديث التي شبت عند طرفي الهلال في مصر ووادي الرافدين، بعد ذلك قامت مجموعتان بربريتان في العصر الحجري الحديث - كانتا على اتصال بينهما - بتطوير حياة المدينة والمعرفة بالتدوين، كانت تلك هي الثورة الحضارية. وقد أدت المدن المتحضرة في الشرق الأدنى في النهاية إلى ظهور المدينيات الكلاسيكية في بلاد الإغريق والرومان، وكذلك في الهند والصين. وبقيت

أوروبا خلال الألفين الأول والثاني قبل الرومان انعكاساً باهتاً للشرق الأدنى الممغن في القدم، لقد انتشرت كل الأفكار الجديدة والابتكارات من الشرق الأدنى إما عن طريق الغزو أو التجارة أو انتشار الأفكار.

حين عقد اجتماع الجمعية البريطانية لتقدم العلوم في كيمبردج في عام ١٩٣٨م، كنت آنذاك سكرتيراً محلياً لأحد فروعها، وكان شايلد هو رئيسها. التقينا عدة مرات وناقشنا خطاب الرئاسة الذي كان بعنوان «الشرق وأوروبا». وكان قد أخذ هذا العنوان من مونتليوس متعمداً ذلك، ثم ناقشنا ذلك مرة أخرى بعد الحرب، الحرب التي لم تدمر الحضارة الغربية. وقد كرر أن دراسة أوروبا في العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي والحديدي ليست سوى تعرض البربرية الأوروبية لإشعاع المدنيات الشرقية.

بعد ذلك بعشر سنوات حين جاء في عام ١٩٤٦م ليكتب فجر المجتمع الأوروبي^(١) *The Dawn of European Society* بدأ يعدل أفكاره في كتابه الأريون (١٩٢٦) *The Aryans* الذي تمنى محققاً أن ينسأه في آخر أيامه، وركز على الإسهامات الأوروبية المحلية ودورها فيما تحقق من إنجازات في أوروبا. وفي وقت لاحق أخذ يتفهم - كما فعل الكثيرون من الآثاريين في وقته - رسالة كرسنوفر هوكس *Christopher Hawkes* التي ضمنها في كتابه أسس ما قبل التاريخ في أوروبا (١٩٤٠) *Prehistoric Foundations of Europe* التي تقول: إن أوروبا - كغيرها - قد تأثرت بإشعاع حضاري من مناطق أخرى، وذلك أمر

(١) يبدو أن خطأ مطبعياً أو خلطاً قد حدث هنا (في الكتاب الأصل) إذ ليس لشايلد كتاب بهذا الاسم، ولكن هناك كتاب باسم ما قبل التاريخ في المجتمع الأوروبي (١٩٥٨م) *The Prehistory of European Society* صدر بعد وفاة شايلد قليلاً. (المترجم).

لأنه أهمية إلا أنه ليس بالعامل الوحيد. منذ ذلك الحين جاء الكربون - ١٤ بعدة تواريخ قديمة لإنجازات حضارية أوربية كان يظن أنها قد حدثت نتيجة لإشعاعات من الشرق القديم. وقد أثبت كولن رينفرو Colin Renfrew وجون كولز John Coles وآخرون أن التاريخ الناتج عن كربون - ١٤ يؤكد أن بداية صهر المعادن والعمارة الميغاليثية في أوروبا قد سبقت وصول أي إشعاع من منطقة بحر إيجه أو الشرق القديم، لقد دخل علم الآثار الآن مرحلة ما بعد شايلد^(١).

بينما كان شايلد يعد كتابه ما حدث في التاريخ في عام ١٩٤٠م وقعت حادثتان مثيرتان ومهمتان: في ١٢ سبتمبر (أيلول) من ذلك العام حين كانت بريطانيا تخوض قمة حربيها مع ألمانيا اكتشف أربعة تلاميذ الرسومات والنقوش الصخرية في كهف لاسكو بالقرب من مونتنيك في الدوردوين. احتل هذا الاكتشاف المرتبة الثانية بعد ألطميرا. ومن وجهة نظري فإن هذا الاكتشاف من عدة أوجه أروع وأفضل مثال لفنون العصر الحجري القديم الأعلى. كان ذلك إنجازاً أوربياً في حقبة ما قبل العصر الحجري الحديث، حيث لا وجود لإشعاع

(١) كان شايلد في كتاباته المبكرة على قناعة بفكرة الحتمية البيئية بوصفه عاملاً محركاً لحركة التحول الحضاري، ثم تحول عنها إلى العامل التقني. وأضاف التفسير المادي إلى نظرية مورغن الخاصة بالتطور الاجتماعي الاقتصادي، فقدم تصوراً للتحول الحضاري قائماً على أنماط اجتماعية اقتصادية. كان رافضاً لفكرة التطور الحضاري القائمة على أساس التمييز العرقي والوحدة النفسية، وكان يرى في التحول الاقتصادي القائم على إنتاج القوت أعظم ثورة في تاريخ البشرية. وتشير كتاباته إلى أن فهمنا للتطور الحضاري يتم عبر فهمنا للعوامل التي تحكم تداخل المؤسسات وتربطها في الحضارة الواحدة إلى جانب العوامل المحركة لتطور تلك المؤسسات، وحين كان معظم معاصريه مهتمين بوصف المعثورات، كان شايلد عبر نظريته الشمولية يتجاوز ذلك إلى محاولة فهم حركة التحول الحضاري. (المترجم).

من الشرق الأدنى. إن فنون العصر الحجري القديم الأعلى من كهوف جنوب فرنسا أو كنتابريا تبقى إنجازاً أورياً فوق المؤلف. ويبقى من حق المهتمين بأصول الفنون أو تطور حياة الإنسان الثقافية أن يسألوا: لماذا أنتجت تلك الرقعة المحدودة في جنوب غرب أوروبا كل هذه المنجزات الضخمة؟

أما السؤال الثاني الذي يجب أن يطرحه كل مؤرخي علم الآثار على أنفسهم فهو: لدينا الآن مايقارب مئتي كهف تحوي مايزيد على الألفين من الرسوم والنقوش للحيوانات التي يرجع تاريخها لفترة الممتدة من ٢٠٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ ق.م. ماهي النسبة التي يمثلها هذا الكم في مجمل المنجزات الفنية لإنسان العصر الحجري القديم الأعلى؟ في خلال الخمسين إلى المائة عام القادمة ربما يسجل أحد مؤرخي علم الآثار سلسلة جديدة من الاكتشافات المذهلة، فالصالة الجديدة في نيو التي عثر عليها في عام ١٩٧٠م هي تجسيد حي لمدى جهلنا بفنون العصر الحجري القديم الأعلى.

إلى يومنا هذا ليست لدينا أي فكرة - وفي رأيي لن تكون لدينا أية فكرة أبداً - عن مبرر لوجود هذه الفنون المبكرة الطبيعية الحية المدهشة الخاصة بأسلافنا الأقدمين. أهي سحر لخدمة الذات كما يقول بروي، أم هي عرض للفنون كما اقترح البعض، أم هي سجل للحيوانات التي قتلت (بمعنى أنها كتاب صيد من العصر الحجري القديم)، كما قيل أيضاً؟ أم هي تصوير رمزي كامل لرموز نسائية ورجالية؟ كما يحاول أ. ليروي قورهان A. Leroi Gourhan أن يثبت بلا جدوى. تشير فنون العصر الحجري القديم الأعلى بوضوح إلى أنها معلم في آثار ما قبل التاريخ، إلا أننا في الغالب وبكل أسف نقف عاجزين عن الإجابة.

وفي عام ١٩٤٠م ذاك حين تم اكتشاف لاسكو، كان سمسون Simpson يرسل بالونات في سماء نيويورك ليكتشف وجود الكربون -١٤ والكربون -١٢. ومن ملاحظاته بدأ تطوير وسيلة التأريخ بالكربون -١٤ بالاشتراك مع ويلارد ف. ليبّي Willard F Libby من شيكاغو.

العلوم في الآثار :

لم يعرف علم الآثار خلال الفترة الممتدة من ١٩٣٩م حتى اليوم حدثاً أهم من اكتشاف الكربون -١٤ المشع أو التأريخ الكربوني الذي أعلنه ليبّي في عام ١٩٤٩م. إن كانت الثورات الأثرية والجيولوجية التي شهدتها بداية القرن التاسع عشر قد جاءت بعلم الآثار إلى حيّز الوجود؛ فإن ثورة التأريخ الكربوني التي وقعت خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين قد قفزت بقضية التأريخ في علم الآثار إلى مرحلة اليقين. هذه الوسيلة الحديثة الثورية في التأريخ تعتمد على حقيقة هي: أن كل ما هو حي يحتوي على كمية ضئيلة من الكربون -١٤، وهو نظير كربوني مشع، يتكون هذا الكربون في طبقات الجو العليا عبر تفاعل النيوترونات مع الـنيتروجين، التي تتأكسد حالاً مع ثاني أكسيد الكربون ثم تختلط مع هذا الكربون غير المشع في نهاية الأمر. عندئذ تأخذ النباتات بنسبة ثابتة مع الكربون العادي (ذرة واحدة من الكربون -١٤ بين كل مليون مليون ذرة من الكربون -١٢ غير المشع). وحين يموت الكائن تختل هذه النسبة ويأخذ الكربون -١٤ في التلاشي بنسبة معروفة. الرقم الذي وضعه ليبّي لنصف عمر الكربون -١٤ هو 5568 ± 30 عاماً والتوجيهات المتوافرة لدينا حالياً هي في الاستمرار في استخدام هذا الرقم على أن رقماً

جديداً أكثر دقة هو 5730 ± 40 عاماً قد اقترح^(١)، ويمكن تحويل نصف العمر القديم للرقم الجديد بضربه في $1.03^{(2)}$.

يوجد الآن مايزيد على ثمانين معملاً في العالم لإعطاء التأريخ الكربوني، كما أن حوالي 50000 تاريخ قد أمكن تحديدها^(٣). وتسجل هذه المعامل التاريخ ق.ح. (قبل الحاضر)^(٤)، وقد اتفق على أن يحدد الحاضر بالعام 1950م، وعليه ينبغي خصم هذا الرقم من كل تاريخ ق.ح. ليعطي التاريخ الميلادي أو قبل الميلاد.

كان اعتقاد قد ساد بأن الحدود العملية للتأريخ بوسيلة كربون -14 تقف ما بين 40000 إلى 50000 سنة من وقتنا الحاضر، إلا أنه يبدو الآن أن هذه الوسيلة يمكن مدها إلى أبعد من ذلك بكثير لتصل إلى 80000 سنة مضت^(٥). وخلال الخمسينيات والستينيات من هذا القرن أحدثت التواريخ الناتجة عن هذه الوسيلة الكثير من الخلط في أوساط الأثريين. فالتواريخ الخاصة بأوروبا البربرية جاءت أقدم بكثير عن تلك التي عرفت بوسائل التاريخ بالمقابلة Cross-dating التي عرفها مونتليوس وشايلد وآخرون. البعض من أمثال ميلويتش رفض هذه التواريخ بكاملها، كما أن البعض الآخر كان حذراً خاصة في قبول التواريخ المبكرة الخاصة بالعمارة الميغاليثية في مالطا وبريتاني Brittany التي جعلتها أقدم

(١) كان ذلك حين إعداد هذا الكتاب، أما الآن فقد عاد الرقم مرة أخرى إلى 5568 (راجع مجلة الكربون المشع Radiocarbon). (المترجم).

(٢) ربما كان هناك خطأ مطبعي في الكتاب الأصل، والرقم الصحيح هو 1.3 وليس 1.03. (المترجم).

(٣) هذه إحصاءات قديمة، فعدد المعامل والنتائج المستخلصة منها، هي الآن أضعاف هذا الرقم. (المترجم).

(٤) الاختصار ق.ح. بالعربية اجتهاد من المترجم «قبل الحاضر» في مقابل b.p. (before present). (المترجم).

(٥) وذلك عبر وسيلة «المسارعات» accelerators التي تحصى عدد ذرات الكربون بدلاً من قياس تحللها كما هو الحال في المعامل التقليدية. (المترجم).

تاريخاً من الأهرامات المصرية وزقورات وادي الرافدين. فأصبحت بذلك أقدم المباني المعمارية المعروفة^(١). كذلك فإن التواريخ الكربونية لفترة فجر التاريخ المبكرة في مصر لا تتفق مع تلك التي عرفت بواسطة التسلسل التاريخي المصري المعتمد على الوثائق المكتوبة، ولأن الوثائق المكتوبة فيما يبدو غير قابلة للانتقاد، كان من الأفضل أن يفترض بأن ثمة خطأ يكتنف التاريخ بهذه الوسيلة الجديدة.

من الصدف الغريبة أن التأريخ بواسطة حلقات الأشجار الذي لم يؤخذ مأخذ الجد خلال الربع الثاني من القرن العشرين قد استعمل الآن للتأكد من صحة نتائج الكربون - ١٤. كان التأريخ بوسيلة حلقات الأشجار من بعض أنواع أشجار الصنوبر *Pinus Aristata* التي تنمو في شرق كلفورنيا قد أعطى تسلسلاً زمنياً يمتد لسبعة آلاف سنة، كما أوضحت هذه الوسيلة أن التأريخ الناتج عن الكربون - ١٤ لا يساير التقويم الشمسي كما كان يعتقد من قبل. فجاء اقتراح مفاده أن نسبة الكربون - ١٤ الموجودة في الغلاف الأرضي ليست ثابتة وربما كان ذلك ناتج عن تغير الأرض لمجالها المغناطيسي. وقد أمكن تحديد الفرق بين الأعمار الناتجة عن الكربون - ١٤ وتلك التي نتجت عن التقويم الشمسي في عدد من المعامل. وليس هناك اتفاق عام على نظام موحد للمضاهاة Calibration، هناك اتفاق عام على إضافة bp (ق.ح.) و ad (ميلادية)، و bc (ق.م.)، أما الأرقام المعدلة المسيرة للنظام الشمسي فتميز ب Bp ق.ح. و BC ق.م. و AD م^(٢).

(١) لعل الكاتب قد قصد المباني الدينية، أما المباني المدنية فهي أقدم من ذلك بكثير. (المترجم).

(٢) درءاً للخلط بين التاريخ المعدل وغير المعدل جاء الاتفاق على أن تميز النتائج المعدلة ب b.p. كما تجدر الإشارة إلى أن التعديل لا يتجاوز الحد الذي تصل إليه وسيلة حلقات الأشجار وهو الألف السابع ق.م. (المترجم).

كان التاريخ بوسيلتي التوهج الحراري (Thermoluminescence (TL وأرجونات البوتاس Potassium-Argon حدثين مثيرين شأن الكربون - ١٤. تعتمد وسيلة التوهج الحراري على إطلاق المادة شحنات ضوئية عند تعرضها لدرجة حرارة تفوق وهج الحرارة العادية. ويمثل هذا الضوء تحريراً للطاقة المخزنة في شكل إلكترونات حبيسة في الشبكة الكريستالية للمعادن، وفي الكثير من أنواع الفخار مكونات معدنية لها خاصية تجميع التوهج الحراري، هذه الوسيلة للتاريخ طورت في معمل بحوث الآثار وتاريخ الفن في أكسفورد، وكذلك في وحدة MASCA بمتحف جامعة فيلادلفيا وأماكن أخرى. وتعد مجلة Ar-chaometry التي تصدر عن معمل بحوث أكسفورد هي المنبر الذي تناقش فيه القضايا الخاصة بوسيلة التوهج الحراري وأمور قياسية - آثارية أخرى.

طورت وسيلة أرجونات - البوتاس في بيركلي بكاليفورنيا على يدي الدكتور أفرندن Evernden والدكتور كورتس Curtis بهدف تحديد عمر الصخور البركانية والنارية والأجسام الزجاجية، فأصبحت تُؤرّخ التراكيمات التي تحوي هذه الصخور أيضاً. وتستند هذه الوسيلة على حقيقة أن البوتاس (K40) يتلاشى تدريجياً ويتحول بنسبة ثابتة إلى أرجونات (Ar40)، هذه الوسائل والكثير غيرها يجدها القارئ مُفصّلة في كتاب كنيث أوكلي Kenneth Oakley أطر تاريخ الإنسان القديم Frameworks for Dating Fossil Man (الطبعة الثانية ١٩٧٠) وكذلك في كتاب دون بروثويل Don Brothwell وإيريك هيجز Eric Higgs العلوم في الآثار Science in Archaeology (الطبعة الثانية ١٩٦٩)، والأخير تلخيص قيم يناقش مختلف الوسائل العلمية التي تستعمل اليوم في حقل الآثار، ليس في مجال تأريخ المخلفات فحسب، بل للكشف عن المواقع (بما فيها الوسائل الجيوفيزيائية كالمسح الجيوفيزيائي Prospecting)، والتصنيف

الجيولوجي للصخور، والوسائل التحليلية الأخرى مثل الجس الإلكتروني الدقيق Micro-probing، والتحليل بطريقة النشاط النيتروني Neutron activation، والكشف الفلوري بالأشعة السينية X-ray fluorescence والتحليل الطيفي Spectrometry، ووسائل أخرى كثيرة. ونوصي قراءنا بمراجعة كتاب ي. بيدوك E Pyddoke العالم والآثار (١٩٦٣) *The Scientist and Archaeology*، وكذلك الملخص الجيد الذي أعده المجلس البريطاني للآثار في عام ١٩٧٠ بعنوان دليل الوسائل العلمية للآثار *Handbook of Scientific Aids for Archaeologists*.

(١) *and Evidence for Archaeologists*.

في عام ١٩٥٥م أنشأ كارلو ليرسي Carlo Lerici «مؤسسة ميلانو للعلوم التقنية Milan Fondazione Politechnico». وهناك طور أسلوباً شائعاً يحتوي على منظار بريسكوب Periscope ثبتت عليه كاميرا تستطيع التقاط صور من خلال ٣٦٠ درجة^(٢)، وقد أمكن إدخالها في إحدى حجرات الدفن التي لم تنقب بعد. وفي عام ١٩٥٦م بدأ يستعمل هذه الوسيلة في مقابر الأترسكين في سيرفتري Cerveteri وتاركوينيا Tarquinia وقد فاقَت نتائجه هناك وفي فلشي Vulci كل التوقعات^(٣). وقامت مؤسسة ليرسي بإصدار مجلة باسم *Prospezioni Archeologiche* لمعالجة هذه الأمور.

زاد الاهتمام باستخدام التصوير الجوي في الآثار، كما أظهرت الحرب العالمية الأولى للآثارين فائدة الاستطلاع الجوي للآثارين، وتدرَّب أثناء الحرب

(١) كذلك نحيل القارئ إلى J. W. Michels: *Dating Methods in Archaeology*.

الذي نشر في عام ١٩٧٣م. (المترجم).

(٢) أي في دائرة كاملة. (المترجم).

(٣) هذه مواقع في شمال غرب إيطاليا. (المترجم).

العالمية الثانية عدد من الآثاريين على تفسير الصور الجوية. ولقد اعتمد كتاب جون برادفورد John Bradford مظاهر السطح القديمة: دراسات في علم الآثار الحقلية **Ancient Landscape: Studies in Field Archaeology** الذي صدر في عام ١٩٦٠م على عمله بوصفه محلاً عسكرياً للصور الجوية لمنطقة وسط البحر الأبيض المتوسط. وبعد نهاية الحرب أنشأت جامعة كمبردج قسماً للصور الجوية وزودته بطائرة خاصة به وطيار وتولى ج. ك. سنت جوزيف JK St Jo-seph رئاسته. قدم هذا القسم مساهمات جبارة لعلم الآثار ليس في بريطانيا فحسب وإنما في أيرلندا والدنمارك وفرنسا كذلك. إن بعض المتشددین من مورخي علم الآثار وهم يذكرون الإنجازات الهائلة لـ و. ج. س. كروفورد وهامشو توماس والميجر ألن يعدون الاستطلاع الجوي الآثاري نشاطاً يخص الإنجليز وحدهم، إلا أننا يجب أن نذكر رجالاً من أمثال الكلونيل باراديز Bar-ra-dez الذي نشر أعماله عن المواقع الرومانية في شمال إفريقيا في عام ١٩٤٩م تحت عنوان: استطلاعات عن تنظيم حدود الصحراء في الفترة الرومانية Fos-satum Africae: Investigations on the Organization of the Border of the Sahara in the Roman Period وكذلك نذكر أعمال رودجر أغاشي Roger Agache في شمال فرنسا الذي كان كتابه مسح جوي لآثار فجر التاريخ في بلاد الغال والرومان ومنطقة البحر الأبيض المتوسط **Detection aerienne de vestiges protohistoriques, Gallo-Romaines et Medievaux** الذي صدر في عام ١٩٧٠م بذات أهمية كتابي باراديز وبرادفورد. كتب سالمون ريناخ في عام ١٩٢٥م: «إن أغنى متاحف العالم القديم يرقد تحت البحر الأبيض المتوسط...». ولكن هذا المتحف لا يزال بعيد المنال». إلا أنه بمجيء الفترة التي يغطيها هذا الفصل أصبح في متناول الأيدي، وهنا يجب ألا نهمل تلك المحاولات المبكرة

في الآثار الغارقة. ففي عام ١٤٤٦م قام المهندس الإيطالي ليون باتستا ألبرتي Leon Battista Alberti بمحاولة لانتشال السفينتين الشراعتين الرومانيتين من قاع بحيرة نيمي Nemi التي تبعد خمسة عشر ميلاً ونصف الميل إلى الجنوب الشرقي من روما. وفي عام ١٥٣٥م عاود فرانسيسكو ديمارشى Francesco De-marchi المحاولة باستعمال أقنعة للغطس للوصول إليهما.

لقد تطور علم الآثار الغارقة كثيراً، ويرجع الفضل في ذلك لعدد من الأشخاص من بينهم جاك كوستو Jacques-Yves Cousteau في منطقة مارسيليا، وجورج باص George Bass وبيتر سروكمورتن Throckmorton في شرق البحر الأبيض المتوسط، وكيث ماكلروي Muckelroy وآخرين في بريطانيا. حينما كان باص يعمل في تركيا مع فريق للآثار الغارقة من جامعة بنسلفينيا كان مزوداً بغواصة تحمل شخصين أطلق عليها اسم «عشرة» وصفها بأنها: «ليست أول غواصة تبنى للأعمال الأثرية فحسب، وإنما أول غواصة لأغراض غير عسكرية تباع بواسطة شركة إلكتروك بوت (من جروتون بولاية كونتكت) على مدار ستين عاماً من عمر الشركة». إن الذين يرغبون في معرفة تطور الآثار الغارقة منذ نهاية الحرب عليهم قراءة كتاب جورج باص الآثار الغارقة^(١) (١٩٦٦) Underwater Archaeology وجون تايلر Joan Taylor الآثار الغارقة وتطورها خلال ستين عاماً في البحر الأبيض المتوسط (١٩٦٥) Marine Archaeology, Development during Sixty Years in the Mediterranean وكيث ماكلروي الآثار الغارقة (١٩٧٨) Maritime Archaeology.

(١) يُقصد بعبارة «آثار» هنا ممارسة العمل الآثاري من مسح وتنقيب في المخلفات الأثرية التي ترقد تحت الماء، سواء أ جاءت من مواقع غمرتها المياه أم من سفن غارقة أم من غيرها. (المترجم).

هذه الوسائل الحديثة تبدو محيرة أحياناً لبعض الآثاريين التقليديين من أمثال مؤلف هذا الكتاب الذين تدربوا على الاختبارات المجهرية للأدوات وتصنيفها. إلا أن هذا يبدو معقولاً، وكما قال فرانك هول Frank Hole وروبرت هايزر Robert Heizer في كتابهما مقدمة في آثار ما قبل التاريخ (الطبعة الثانية ١٩٦٩) Introduction to Prehistoric Archaeology: «سُيُعرفُ العقدان اللذان أعقبا عام ١٩٥٠م تاريخياً بأنهما يمثلان عصر الاختراعات التقنية في علم الآثار». كذلك يقول بروثويل وهيغز في مقدمة كتابهما العلوم في الآثار (١٩٦٩): «سوف تمضي سنوات طويلة قبل أن ندرك تماماً أثر التطبيقات العلمية في علم الآثار... إن التوجه نحو ممارسات أكثر علمية في الدراسات الأثرية يسير بخطأ حثيثة».

إنني لا أتفق وهذا الرأي، وأعتقد أن معظم الآثاريين اليوم يدركون مساهمة العلوم الطبيعية في تخصصهم، كما يدركون خطورة استبعاد الوسائل العلمية وعدم استخدامها إلى أقصى درجة ممكنة، إن الثورة العلمية في الآثار قد أخذت - ولا تزال تأخذ - مكانها، وأصبح علم الآثار الآن ينتهج أسلوباً جديداً، إلا أن هذا لا يعني كما أنزلق البعض في تفكيرهم بأن علم الآثار قد أصبح واحداً من «العلوم» Sciences. يجب أن نكون حذرين حين نطلق هذه العبارة، فهي قد تعني أحياناً المعرفة، أي المعرفة بكل الأنواع والإنجازات سواء أ جاءت بها الطبيعة أم الإنسان. وفي أحيان أخرى قد تعني المعرفة بالطبيعة وحدها، وهذا ما يقصد به العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وعلم المعادن والجيولوجيا وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الفلك. وقد تعني كذلك العلوم التاريخية والاجتماعية التي تدرس المعرفة بتاريخ الإنسان ومجتمعه. يقول البعض إن رجال الآثار مرتبطون ومعتمدون على العلوم الطبيعية، فلا بدّ لهم من أن يكونوا من العلماء الطبيعيين، إلا أن الأمر بخلاف ذلك، إن الأثري لا يزال

يدرس الإنسان في مجتمعه على امتداد مليوني السنة الأخيرين، فهو إذن ما يزال مؤرخاً (مؤرخاً بشرياً وليس مؤرخاً طبيعياً).

هناك عدد من الآثاريين وخاصة في أمريكا يقولون: إن علم الآثار هو أنثروبولوجيا وليس سوى ذلك. يرى و.ج.س. كروفورد أن علم الآثار هو الفعل الماضي للأنثروبولوجيا. وفي الوقت نفسه يعد لوي أن ما قبل التاريخ هو ببساطة أثنوغرافية المجتمعات البشرية البائدة، ولكن ماذا تعني هذه العبارات سوى كونها عبارات جريئة متصارعة.

إنها تعني أن يبذل كل جهد ممكن ليكشف من الماضي أكثر مما جاء به - على سبيل المثال - أشخاص مثل سوفس مولر ومونتليوس ودو مورتية وبروي وبت - ريفرز وبركت Burkitt، بمعنى أن مهمتنا هي كتابة وقائع مفصلة ما أمكننا ذلك عن تلك المجتمعات البائدة، وأنا يجب أن نكشف عن بناء كارنا^(١) وستون هنج ومحاربي الهينبرج وقلعة ميدن. هذه أهداف نبيلة نتوق إليها ولكننا في أغلب الأحيان نفتقر إلى الخيال (ذلك النوع من الخيال الذي عرفناه عند فوكس وويلر في إنجلترا وويلز) ونركز جهدنا في المعثورات.

علم الآثار الأمريكي الحديث :

لعلّ أهم حدث شهده علم الآثار - فيما يبدو لي - في الفترة التي نؤرخ لها هو ظهور «علم الآثار الأمريكي الحديث»^(٢) علماً ناضجاً من فروع المعرفة،

(١) كارنا موقع في فرنسا يعود إلى نهاية العصر الحجري وبداية البرونزي يحوي أنصابتاً حجرية ومقابر. (المترجم).

(٢) استعمل المؤلف عبارة Modern «حديث» أحياناً، و New «جديد» أحياناً أخرى. لذا صُعبُ توحيد العبارة في الترجمة. (المترجم).

يطرح سؤالاً على آثاريي العالم القديم إن كانوا حقيقة يعرفون أين يقفون. لم يظهر و.ج.س. كروفورد أي اهتمام بالآثار الأمريكية، ولم تنشر مجلة «العصور القديمة» تحت رئاسته إلا عدداً قليلاً من المقالات أو الأخبار عن أمريكا، كذلك رأى غردون شايلد أن الآثار الأمريكية تمثل خطأ جانبياً ليس له أهمية في المجرى العام لتاريخ البشرية. فهو يقول في كتابه ما حدث في التاريخ: «إن الآثار الأمريكية في حقبة ما قبل كولبس تقع خارج مجرى التاريخ»، وقد قصد بالطبع مجرى تاريخ العالم القديم، الذي بدأ في الشرق الأدنى القديم وطفح عبر فلسطين وبلاد اليونان وروما إلى العصر الوسيط ثم عصر النهضة ومن ثم أوروبا الحديثة. ذكر لي مورتمر ويلر ذات مرة: «أن الآثار الأمريكية قضية هامشية لا تثير أحداً» وأضاف بعد فترة قصيرة: «إنها بربرية».

فإلى أي درجة كان علماء علم الآثار آنذاك أشخاصاً مُضللين؟ وخلال إعداد هذا الموجز لتاريخ علم الآثار نلاحظ أن الآثاريين العاملين في أوروبا الذين اهتموا كما كان عليه الحال بالفؤوس الأشولية ومستوطنات البحيرات السويسرية وحصون التلال السلتية وصياغة الماضي على نمط المدنات القديمة في مصر وسومر لم يسقطوا أمريكا من حساباتهم. إن تاريخ علم الآثار يجب أن يظهر أنه في الوقت الذي كان فيه الهنود الأمريكيون مثار دهشة في القرن الخامس عشر قد أصبحوا بعيدين عن الاهتمام خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. إن القليل من الكتاب الأوربيين الذين كتبوا عن الآثار كانوا قد قرأوا أو اهتموا بكتاب و.و. تايلر دراسة الآثار (١٩٤٨) *A Study of Archaeology* الذي ناقش فيه ما أسماه بمنهج العناصر المترابطة *Conjunctive Approach* في الآثار، وهو الدراسة الكاملة للحضارة خلال فترة زمنية محددة. يمثل هذا أحد مجالات علم الآثار الحديث، وقد سمي كذلك خلال العقد السابع من هذا

القرن دون نسبة الفضل إلى تايلر.

إن الإسهام بالنسبة للآثار الأمريكية الذي أثر على بنية ذلك العلم وإلى إعادة نظر الآثاريين الأوربيين في النموذج التقني الخاص بهم؛ هو ما قام به ويلى وفلبس بتفسيرهما التطوري التاريخي لما قبل التاريخ في العالم الجديد. جاء ذلك أول مرة في مقال نشر في عام ١٩٥٥م ثم ظهر بوضوح في كتابهم **Method and Theory of Archaeology American** ونظريات في علم الآثار الأمريكي (١٩٥٨) لقد أبرز هذا المشروع نموذجاً لماضي العالم الجديد يشتمل على خمس مراحل رئيسة هي:

١- المرحلة الحجرية: الهنود القدامى وبداية الإنسان في أمريكا.

٢- المرحلة القديمة: بعد نهاية العصر الجليدي، الصيد والرعي.

٣- مرحلة التكوين: بداية القرى الزراعية وحياة الاستقرار.

٤- المرحلة الكلاسيكية: بداية تطور الحياة المدنية.

٥- مرحلة ما بعد الكلاسيكية: الدويلات الإمبريالية.

لقد استعمل هذا النموذج لماضي أمريكا القديم على نطاق واسع منذ ذلك الوقت، وأصبح تاريخ أمريكا في حقبة ما قبل كولبس معروفاً تماماً. فخلال الأعوام الثلاثين الماضية أصبح واضحاً أن الإنسان قد وصل إلى أمريكا من آسيا عبر مضيق بيرنج منذ ١٥٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠ سنة مضت أو ربما قبل ذلك، وأن بعض النباتات التي تستعمل في الغذاء قد زرعت في أربع مناطق من أمريكا على الأقل: الجنوب الغربي^(١)، جنوب تاموليباس، وادي تاهوكان، وساحل بيرو، مع احتمال وجود مركز خامس في الغابات الاستوائية من أمريكا

(١) يعود تاريخ أقدم وجود بشري في أمريكا إلى ٣٠ - ٣٥ ألف سنة من وقتنا الحالي. (المترجم).

الجنوبية، وذلك خلال الفترة الممتدة من ٥٠٠٠ ق.م. - ١٠٠٠ ق.م. وتعد حفريات ر.س. ماكنيش MacNeish في وادي تاهوكان - وهو وادٍ جاف في جنوب المكسيك - نقطة ارتكاز لفهمنا لأصول الزراعة في أمريكا، وقد قامت مؤسسة بيبودي بنشر التقارير الأثرية - النباتية لمشروع تاهوكان خلال العامين ١٩٦١ و ١٩٦٢م.

في تلك المجتمعات المحلية الأمريكية المنتجة للغذاء تولدت مدنيات أمريكا الوسطى: الأوليك والمايا ومدنية بيرو. عرفت المايا بشكل جيد منذ بعض الوقت، أما الأوليك فهي مدنية جديدة شائقة مذهشة تميزت برؤوس حجرية ضخمة وتمائيل غريبة للفهود السوداء. وللمزيد من المعلومات عن حضارة الأوليك انظر مايكل د. كو D. Coe المدنية الأمريكية الأولى: اكتشاف الأوليك (١٩٦٨) *America First Civilization: Discovering the Olmec*. وكذلك كتابه المكسيك Mexico (١٩٦٢) الطبعة المنقحة (١٩٦٧) التي يقول فيها: «ليس هناك أدنى شك الآن في أن كل المدنيات المتأخرة في أمريكا الوسطى، سواء أكانت تخص المكسيك أم المايا؛ تتركز في النهاية وفي أساسها على حضارة الأوليك».

يستطيع القارئ أن يتابع أحدث ماكتب عن آثار أمريكا في مرحلة ما قبل كولبس في المعالجة الرائعة التي أعدها ج.ر. ويلي G. R. Willey بعنوان مقدمة في الآثار الأمريكية: أمريكا الشمالية والوسطى^(١) (١٩٦٦) ؛ An Intro-duction to American Archaeology: (1) North and Middle America. وأمريكا الجنوبية (١٩٧٢) Soth America (2)، وهناك معالجة أقل طموحاً إلا

(١) المقصود به الجزء الجنوب الغربي من أمريكا الشمالية. (المترجم).

أنها أكثر شعبية أعدها ج. هـ. س. بوشنيل G. H. S. Bushnell بعنوان
The First Americas: The (١٩٦٨) مدنات ما قبل كولبس
Pre-Columbian Civilizations.

لتقرير واضح وعصري نحيل القارئ إلى كتاب الدنيا الجديدة (١٩٧٥) The
New World لوريك م. بري Warwick M. Bray وإيرل هـ. اسوانسون Earl
H. Swanson وأيان س. فرنجتون Ian S. Farrington.

وكما ذكرنا سابقاً فإن العقد السابع من القرن العشرين شهد في أمريكا
ماسمي عن عمد وقصد «علم الآثار الجديد»، ولتفاصيل أوفى عن هذا
الموضوع نحيل القارئ إلى س. ر. بنفورد S. R. Birford و ل. ر. بنفورد L.
R. Binford منظور جديد في علم الآثار (١٩٦٨) New Perspectives in Ar-
chaeology ومارك ب. ليون M P. Leone علم الآثار المعاصر (١٩٧٢) Con-
temporary Archaeology وويلي وسابلوف تاريخ علم الآثار الأمريكي
(١٩٧٤، الطبعة الثانية ١٩٨٠م). دعني أنقل ما يراه ويلي وسابلوف نقاطاً
أساسية في علم الآثار الجديد: «في البداية كان نتاجاً لعلم الآثار
الأنثروبولوجي، جاء به آثريون شبان تدريبوا جزئياً أثناء دراستهم على أيدي
أنثروبولوجيين اجتماعيين وآثريين. كان مركز اهتمامهم هو شرح التطور
الحضاري... وفي المرتبة الثانية فإن علم الآثار الجديد - كان وما يزال - يتخلله
تفاؤل عظيم بإمكانية الوصول إلى تفسير لحركة التطور والوصول إلى القوانين
المحركة للتطور الحضاري. وهناك اتجاه ثالث يرى أن في كشف علم الآثار
لتفسير التطور الحضاري صلة وثيقة ليس ببقية فروع الأنثروبولوجيا فحسب،
ولأنما بقضايا عالمنا المعاصر كذلك».

إن تطور علم الآثار الأمريكي الجديد خلال العقد السابع من هذا القرن هو

جزء هام من تاريخ علم الآثار ويجب علينا أن نوليّه بعض الاهتمام. كيف ظهر إلى حيّز الوجود ولماذا؟ في كتابي مئة وخمسون عاماً من تاريخ علم الآثار (١٩٧٥) **One Hundred and Fifty Years of Archaeology** كتبت أقول: «نبعت هذه الحركة الجديدة في أمريكا من السجل الأثري المجذب لفترة ما قبل كولبس، ولقرون عديدة لم يحدث هناك ما يشير الاهتمام لطلاب تاريخ البشرية، لم يعرفوا شيئاً كأستون هنج ولا المعابد المالطية، لقد أصيب الآثاريون الأمريكيون بخيبة أمل في ماضيهم الأثري، وعندئذ وجدوا الملاذ في النظرية والمنهجية، فأمضوا الوقت في الحديث عن تفسير التطور الحضاري وإصدار «القوانين المحركة للتطور».

كان ذلك حكماً قاسياً قصدت به أمريكا الشمالية، فالسجل الأثري لمدن أمريكا الوسطى وبيرو ومعابدها كان مصدر إثارة على مدى المائة والخمسين عاماً الماضية. إن أمريكا الشمالية في فترة ما قبل كولبس هي التي تتسم بعدم الإثارة، وهي التي ألقت بالآثاريين في أحضان الأنثروبولوجيين الذين كانوا يأملون جميعهم - بلا طائل في نظري - في توضيح قوانين السلوك البشري.

هل كان علماً «جديداً» بحق، أم هو «قبعة قديمة» كما قال كثيرون؟ يقول بنفورد نفسه: «نحس أن علم الآثار خلال العقد السابع من هذا القرن يمر بنقطة مهمة في تحوله التطوري». إلا أن الآثاريين ظلوا دائماً يتحدثون عن التحول التطوري والمسيرة الحضارية، والآثاريون الأمريكيون من هذه الطائفة خلال الستينيات، يبدو أنهم لم يكونوا ملمين بتاريخ علم الآثار وربما كان ذلك هو مدعاة إصدار هذا الكتاب؛ دعهم يقرؤون أو يعيدون قراءة طومسن وفارسيه ومونتليوس وشايلد.

يقول و. و. تايلر في تعقيبه على مجموعة المقالات التي جاءت في كتاب

سالي ولويس بنفورد منظور جديد في علم الآثار الذي سبقت الإشارة إليه: «إن نقاشاً مستفيضاً لمنهج مشابه في علمنا هذا قد جرى منذ عام ١٩٤٨ (و.و. تايلر: دراسة الآثار)، إن النظرة العلمية للحضارة كانت أمراً أساساً بالنسبة للأنثروبولوجيا الأمريكية التي تشمل علم الآثار، منذ مالنوفسكي -Malinowski، على أقل تقدير إن لم تكن منذ بواز Boas. أما عن معتقدات بنفورد الأخرى فاستطيع أن أشير إلى أجزاء من دراسة الآثار تغطي كلاً من تلك المعتقدات، حتى اختبار الفرضيات . . . إن ماجاء به بنفورد وبنفورد في كتابهم ليس كشفاً للنظرية ولا هو تطبيقاً يخص منظوراً جديداً وإنما هو توضيح لأمر سابق» (مجلة العلوم ١٩٦٩ : ٣٨٢ - ٣٨٤ Science, 1969: 382-4)

أما ماكتبه روبرت بريدوود عن تطور علم الآثار "الجديد" فقد كان مدمراً، كتب يقول: «إن نمو علم الآثار "الجديد" بكل علميته في الولايات المتحدة على الأقل سيفهم جزئياً في نهاية الأمر بوصفه رد فعل لنمو المؤسسة القومية للعلوم National Science Foundation؛ لكونه مصدراً لدعم مالي هائل للأعمال الأثرية في إطار الأنثروبولوجيا، من الضرورة أن يتصرف الشخص وأن يتحدث حديث عالم. والتمويل للأعمال الميدانية في الدراسات الإنسانية جاء متأخراً ومع نمو صندوق الوقف القومي للدراسات الإنسانية National Endowment for the Humanities. إنني أكاد أجزم بأن روح الصخب لدى الكثيرين من أنصار علم الآثار الجديد في الولايات المتحدة هي انعكاس للملل الذي صاحب سنوات الحرب الفيتنامية، هذه المجموعة تنتمي إلى ذلك الجيل الذي «لا يثق في أي شخص تخطى عقده الثالث» (مع أنهم قد تخطوا تلك السن بفارق كبير). لقد أُعلن على الملأ في عدد من المؤتمرات، على سبيل المثال أن: «لا شيء مما كتب قبل عام ١٩٦٠م يستحق القراءة»، ومع نمو أدب

تلك الحركة، أصبح من الصعب على الكثيرين من الآثاريين «الجدد» وتلاميذهم أن يفهموا أيًا مما كتب قبل عام ١٩٦٠م.

أما نحن ممن تخطوا الثلاثين بكثير في تلك السنوات الحرجة فقد تجاوزنا تلك المرحلة بخليط من السخرية والتقليل من أن ثمة حدثاً كبيراً قد اخترق حاجز المعرفة. إن شعوراً محزناً يخالجنني بأن بعض ماكتب في "علم الآثار الجديد" سيجلب الخلط إلى أذهان الطلاب وزملائنا الأصغر سناً خارج أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية» (العصور القديمة ١٩٨١ : ٢٤ - ٢٥).

أني لا أشك في هذا؛ فالكثيرون من دعاة «علم الآثار الجديد» الذين يمارسونه يستعملون أدباً يصعب التمييز بينه وبين كركرة الديوك الرومية. يوجد في بريطانيا اثنان من الآثاريين المتميزين (أحدهما رحل عنا بكل أسف) كانا حريصين ومروجين لعلم الآثار الجديد. أحدهما ديفيد كلارك David Clarke أحد أساتذة جامعة كيمبرج، الذي كان رحيله المبكر في عام ١٩٧٦م خسارة فادحة لعلم الآثار. وجد كتابه الآثار التحليلية *Analytical Archaeology*. (الطبعة الأولى ١٩٦٨م والطبعة الثانية بمراجعة بوب شابمان Bob Chapman) ترحيباً من الكثيرين بوصفه أحد أهم مانشر في علم الآثار الجديد. يصف كلارك في هذا الكتاب علم الآثار «الجديد» بأنه: «مجموعة متداخلة من المناهج الجديدة والملاحظات الجديدة والصيغ الجديدة والفلسفات الجديدة والأيدولوجيات الجديدة جميعها في مناخ جديد». أما الآخر فهو كولن رينفرو Colin Renfrew الذي انتخب قريباً رئيساً لقسم الآثار بجامعة كيمبردج. في بحث شائق له بعنوان التقليد العظيم في مواجهة الانقسام العظيم *The Great Tradition Versus the Great Divide* ، أعلن رينفرو عن اعتقاده أن: «بنفورد وزملاءه قد قدموا مساهمة كبرى للفكر الآثاري أكثر من أي شخص آخر خلال

هذا القرن» إلا أنه مضى يقول: «إن ما يسمى «بعلم الآثار الجديد» قد عومل في بعض المراكز - بكل أسف - على أنه مذهب، وكأي مذهب فهو يعني أشياء كثيرة لأناس كثيرين، إلا أن ما يعده الشخص مذهباً قد يراه الآخر بدعة، فالتطورات التي شهدتها الفكر الآثاري رفضها عدد كبير من طلاب العلم القديم بوصفها لغة مشوشة مشحونة بالغموض تحاول أن تفرض رداء الرياضيات والعلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية والفكر الحر الخاص بالتقليد العظيم (لعلم الآثار). هناك بالطبع عدة أدلة تسند هذا الرأي، كما أن علم الآثار الجديد بعد عشر سنوات يحوي الآن عدداً من الصالونات وإن كان بعضها سيء الإضاءة» **العصور القديمة الأمريكية ١٩٨٠ : ٢٩٣ - ٢٩٥ Journal of American Ar-** **tiquity, 1980, 293-95.**

إن المؤرخ لعلم الآثار يجب أن يسجل آراءه بكل صدق، وأنا بالطبع أقف إلى جانب بريدوود وتايلر؛ بنهاية هذا القرن سنرى أن ادعاءات ديفيد كلارك وكولن رينفرو مبالغ فيها، وأنهم يكشفون عن جهل بتاريخ علمهم. ومع ذلك فإن الحافز الذي قدمته النقاشات التي دارت خلال العقد السابع من هذا القرن قد أوحى بالكثير في الأعمال الجديدة ذات القيمة العالية. نذكر على سبيل المثال فقط كتاب ديفيد كلارك نماذج في علم الآثار (١٩٧٢) **Modes in Ar-** **chaeology** وكتابي رينفرو قبل المدنية (١٩٧٣) **Before Civilization**، وظهور المدنية السكلاد وبحر إيجه (١٩٧٣) **The Emergence of Civilization: The Cy-** **clades and the Aegean**، وكتاباً آخر يحوي عدداً من المقالات باسم قضايا فيما قبل التاريخ الأوربي (١٩٧٩) **Probelms in Eurpean Prehistory**.

في اعتقادي أنه بعد هذه العاصفة والنقاش المضني الذي أثاره علم الآثار «الجديد» فإن علم الآثار سيعود أكثر قوة وحيوية إلى دوره الطبيعي في كتابة

تاريخ الإنسان. إن الغالبية من المؤرخين العقلاء الجيدين قد فشلوا في تحديد قوانين كونية تُسير الماضي البشري، ناهيك عن تلك التي تُسير مستقبل الإنسان. إن الآثاريين الجدد الذين ظهوروا خلال العقد السابع من هذا القرن وتابعيهم المعاصرين في بريطانيا وأسكندنافيا سيتحررون من أوهامهم خلال العقد التاسع والعاشر من هذا القرن، وسيدركون أن ماضي الإنسان هو أمر يمكن تسجيله ووصفه وتقديره وفهمه، إلا أن الأمل في اكتشاف قوانين حركة التطور من خلال علم الآثار والأنثروبولوجيا هو في الغالب وهمٌ آيل إلى الفشل، ربما تثبت الأيام خطأ اعتقادي هذا، وعلى كل فإن تاريخ علم الآثار مملوء بالافتراضات والتكهنات الخاطئة^(١).

الحقيقة والخيال والوهم :

لقد قدّم علم الآثار الأمريكي أثناء الفترة قيد البحث قضايا نظرية جديدة بالدراسة، إلا أنه أوضح لنا كذلك أن اللعنة التي أصابت ذلك العلم بالهوسين والمعتوهين الذين رفضوا الدليل على التطور المستقل لثقافات عرفت إنتاج الغذاء ومدنات في الدنيا الجديدة، والذين أرادوا لتلك الأرض أن تكون مستعمرة لقدماء المصريين والقبائل المفقودة من بني إسرائيل والفينيقيين والإغريق والأيرلنديين وأهل ويلز وأطلانطا وأهل مو أو أناس غرباء من كواكب أخرى جاءت بهم أطباق طائرة؛ لم تكن قاصرة على القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فقط، وهناك مؤلفات مثيرة لا يعتد بها تحوي هذه الحماقات والأوهام

(١) لمعرفة التطورات التي طرأت على علم الآثار في حقبة مابعد علم الآثار الجديد (خلال العقدين التاسع والعاشر من هذا القرن) نحيل القارئ إلى:

قراءة الماضي (1986) Hodder: Reading the Past (الترجم).

المحيرة منها: سايرس هـ. غردون Cyrus H Gordon ما قبل كولبس (١٩٧١) Before Columbus وفون سرتيما Von Sertima جاؤوا قبل كولبس: الوجود الإفريقي في أمريكا القديمة (١٩٧٦) They Came before Columbus: The African Presence in Ancient America وهناك كتابان لبري فل Barry Fell أمريكا قبل الميلاد (١٩٧٧) America BC و الملحة الأمريكية (١٩٨٠) Saga America. لقد كان فل أستاذاً (ليس في علم الآثار ولله الحمد، بل في الأحياء المائية) بجامعة هارفارد.

ويمكن عد كتابيه هذين مثلاً للسخف ومثاراً للسخرية، ولكل ما يمكن أن ينمو ويزدهر على الشواطئ الوعرة لعلم الآثار، هذا بالطبع إذ استثنينا ذلك الهجوم غير المؤسس الذي قاده أريك فون دنيكن. ويختلف الأخير هذا عن الثلاثة الأوائل الذين كانوا على الأقل علماء لهم أفكارهم المحددة التي أصبحت أوهاماً مضللة، على حد قول إليوت اسمث منذ زمن بعيد. إلا أن مدرسة مانشستر لم تحو تحيزاتها وحماقاتهما شيئاً يمكن مقارنته بالمبالغات والجهالات التي أوردها غردون وسرتيما وفل. والمُحْزَنُ حقاً أن القارئ العام يجد هذه الكتب المضطربة في دور الكتب دون أن تكون لديه الوسيلة للتمييز بين الحقيقة والوهم، وبين التقويم العادل للدلائل المتوافرة وبين الحماسة.

ولفصح هؤلاء الكتاب المشاكسين قليلي المعرفة كتب وشوب Wauchope مشهراً بهم في كتاب رائع يفضح زيف الأسطورة الأمريكية اسماء القبائل المفقودة والقارات الغارقة (١٩٦٢) Lost Tribes and Sunken Continents. إلا أننا يجب ألا ننحى منحى استبعاد احتمال وقوع رحلات عبر المحيط الأطلسي والمحيط الهادي في فترة ما قبل كولبس؛ فقد أثبت هايردال Heyerdahl بقاربه رع إمكانية عبور الأطلسي بقارب قصبي من الشرق إلى الغرب بعد أن أثبت في

وقت سابق إمكانية عبور المحيط الهادي من الشرق إلى الغرب بواسطة طوف مصنوع من خشب البلزا في عملية اشتهرت باسم كون - تيكى Kon-tiki. إن هذه التجارب الحديثة توضح ماهو ممكن إلا أنها لا تثبت حقائق. ونحن لانزال ننتظر دليلاً إيجابياً يثبت أن أناساً ومدنات من العالم القديم قد وصلت إلى أمريكا. أما كون ذلك أمراً ممكناً فذلك مما لا ريب فيه: فالفينيقيون الذين يبدو أنهم قد أبحروا حول إفريقيا في عهد الفرعون نخاو Necho^(١) كان بإمكانهم عبور المحيط الأطلسي الجنوبي إلى البرازيل، إن الاحتمالات واردة إلا أن الدليل يعتمد على حقائق. والحقائق الوحيدة المتوافرة لدينا التي تشير إلى رحلات عبر الأطلسي في فترة ما قبل كولبس تنحصر في مستوطنة الفايكنج في لانسي - أو - مدو L'Anse-aux-Meadow في نيوفاوندلاند، وكذلك الاكتشافات الأخيرة للمعهد القطبي الكندي لدراسات الفايكنج في جزيرة السمير، وكذلك التعرف إلى قطعة نقدية تخص الفايكنج في ولاية مين، يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر.

هذه حقائق، وليس هناك آثاري عاقل يستطيع أن يستبعد احتمال العثور على مخلفات فينيقية أصيلة في البرازيل أو أي مكان على الساحل الشرقي لأمريكا، (بالنسبة لقدماء المصريين فالاحتمال ضعيف للغاية إذ إن هؤلاء لم يعرفوا باهتمامهم بركوب البحر). إن الصعوبة هنا - كما هو الحال في الكثير من قضايا علم الآثار - تكمن في التمييز بين الحقيقة والوهم وبين الافتراض والأمني، أيا كانت دقة الحوار، لقد كان كل من سايرس غردون وفون سرتيما

(١) نخاو Necho هو أحد ملوك مصر في الأسرة ٢٦ وقد حكم خلال النصف الثاني من القرن السابع

أسيراً لأمنياته، قفزا إلى النتائج دون تمحيص، كما فعل إليوت اسمث وبيري أصحاب مدرسة مانشستر من قبل، لقد سلطنا عليهما الضوء هنا إذ فيهما تكمن إحدى المخاطر التي تهدد تعريف العامة بعلم الآثار.

أما الصلات عبر المحيط الهادي في الاتجاه المضاد لذلك الذي عرفته رحلة كون - تيكي فقد ظلت احتمالاً قائماً دائماً. تحدث ميغرز Meggers وآخرون عن فخار يوموني ياباني في الإكوادور، إن السجل الأثري تجب مراجعته على أساس ما هو ممكن وما هو محتمل وما هو حقيقي، وليس على أساس أفكار مسبقة.

لقد أثبتت الأبحاث في الهند والصين التي سارت متوازية مع مثيلاتها في أمريكا ومناطق أخرى؛ أن الزراعة والمدنية في كلتا المنطقتين كما في أمريكا قد تطورت محلياً وباستقلال تام عن الشرق الأدنى القديم.

وعثر في شرق آسيا وغرب أندونيسيا على مستوطنات بشرية يرجع تاريخها إلى مليوني عام. وعرفت جنوب شرق آسيا الزراعة وتطورت في وقت لاحق إلى مجتمعات تمارس ثقافات العصر الحجري الحديث والعصر المعدني، كان ذلك خلال الفترة الممتدة من عشرة آلاف عام إلى ألفي عام مضت، لقد عرفت تلك المجتمعات صناعة الفخار منذ عام ٥٠٠٠ ق.م.، وازدهرت ثقافات العصر الحجري الحديث التي عرفت زراعة الأرز وتربية الماشية وصناعة الفخار وصقل الأدوات الحجرية في حدود عام ٣٠٠٠ ق.م. وهو الوقت - فيما يبدو - الذي تطورت فيه محلياً صناعة النحاس والبرونز في تايلاند. ويبدو الآن واضحاً أن تطور الزراعة قد تمّ في جنوب شرقي آسيا في وقت مبكر شأن جنوبها الغربي. يجد القارئ موجزاً للآراء الحديثة الخاصة بالدراسات الأثرية لجنوب شرق آسيا ومنطقة المحيط الهادي في كتابين لبيلوود PBellowood

البولونيزيون وغزو الإنسان للمحيط الهادي: ماقبل التاريخ في جنوب شرق آسيا
وجزر المحيط الهادي (١٩٧٨) Man's Conquest of the Pacific: The Pre-
history of South- East- Asia and Oceania The Polynesians. وفي الكتاب
الآخر هذا يقول الكاتب (ص١٩٨): «على علم الآثار أن يتعمق في جنوب
شرق آسيا أكثر من أي منطقة أخرى في العالم».

إن التطور في الوسائل العلمية للتأريخ واتساع مجال آثار ماقبل التاريخ
لتشمل العالم بأسره قد دفع الآثاريين لإعادة التفكير في طبيعة التطورات الثقافية
البشرية وحقيقتها في حقب ماقبل التاريخ، إن حقيقة الوجود البشري في شرق
إفريقية منذ مليونين أو ثلاثة ملايين سنة مضت قد أصبح حقيقة ثابتة، كذلك
فإن حقيقة أن الإنسان الذي عاش على الصيد والجمع قد تحول إلى ممارسة
الزراعة وتربية الحيوان في أنحاء مختلفة من العالم من حوالي الألف العاشر
قبل الميلاد تجد قبولاً عاماً هي أيضاً، وبالقدر نفسه فإن عدداً من مجتمعات
القرى الزراعية هذه قد أدت إلى ظهور مجتمعات حضرية تعرف الكتابة سميت
بالمدنيات، ولا يزال علم الآثار سائراً على افتراض أن تحولاً قد حدث من
وحشية العصر الحجري القديم إلى بربرية العصر الحجري الحديث ثم إلى
مدنيات العصرين البرونزي والحديدي. ويبقى السؤال قائماً: هل حدثت هذه
التحولات في مختلف أنحاء العالم بمعزل عن بعضها، أم أن التحول قد حدث
في منطقة واحدة فقط كما يرى شايلد، حين جعل من الشرق الأدنى القديم
موطناً لحدوث ثورتي العصر الحجري الحديث والثورة الحضرية؟ ماهو رأي علم
الآثار الحديث في الخلاف الأبدي بين القائلين بنظرية الانتشار الحضاري
ومعارضيه من أنصار الابتكار؟ في رأيي أن الإجابة تختلف عن تلك التي
نادى بها مورغن وأنجلز وماركس والفكر الآثاري الروسي الحديث القائلة بتطور

اجتماعي حضاري شامل، كما تختلف الإجابة عن تلك القائلة بالانتشارية التي تحدث عنها شايلد ومونتليوس (وبالتأكيد تختلف عن الانتشارية المفرطة Hyper-diffusionism التي نادى بها إليوت اسمث ومدرسة مانشستر).

فيما يبدو أن علم الآثار يرى أن التحول من حياة الصيد والجمع إلى حياة الزراعة وتربية الحيوان قد تمّ في أماكن مختلفة متعددة من العالم بمعزل عن بعضها خلال الفترة بين ١٢٠٠٠ و ٧٠٠٠ ق.م. وأن هذه المجتمعات الزراعية والرعوية أدت إلى ظهور المجتمعات التي تعرف بالمدنيات القديمة في مناطق مختلفة من العالم كذلك وبمعزل عن بعضها. وفي كتابي المدنيات الأوائل: آثار أصولها (١٩٦٨) *The First Civilizations: the Archaeology of their Origins* ذكرت وقتها أنه فيما يبدو لي أن المدنية - أو ما أسماه شايلد بالثورة الحضارية، وما أفضل وصفها «بالإجراء الالتحامي» - قد حدثت سبع مرات في أجزاء مختلفة من العالم: أربع منها في العالم القديم (وهي بالتحديد مصر ووادي الرافدين والهند والصين) وثلاث مرات في الدنيا الجديدة (الأولميه والمايا والمدنية الكلاسيكية في وسط بيرو). إلا أنه أصبح واضحاً خلال السنوات العشر الأخيرة أن قائمة تضم سبع مدنيات هي قائمة قصيرة، وأن هناك على الأقل منطقتين أخريين إحداهما المدنية الإيجية المينوية، والأخرى هي مدنية جنوب روسيا.

وحسب ما أراه فإن هذه تبدو معقولة، لقد أسرفنا في محاولة وضع مفاهيم لأصول الحضارة وأمضيها وقتاً طويلاً في مناقشة قضايا مثل أصول الزراعة والحضارة الميغاليثية والاستيطان الحضري في وقت كان الأجدر بنا فيه وصف التحول في مسيرة الحضارة المادية في مختلف أرجاء العالم.

إنه من الصعب إيصال النتائج التي توصل إليها الآثاريون المحدثون خلال

العقد الثامن من هذا القرن إلى عامة الناس الذين يعتمد عليهم الآثاريون المحترفون كثيراً في التشجيع لمهتهم، وفي الاكتشافات التي تأتي عرضاً ومن الضغط على الحكومات لحفظ الإرث الحضاري العالمي ودراسته. إن علم الآثار في هذه الأيام يلقي رواجاً عند العامة، ومن حسن الطالع فقد انقضى الوقت الذي كانت فيه صورة علم الآثار يهيمن عليها ويمارس مهنتها أناس ذوو لحى بيضاء طويلة من أمثال فلندرز بيتري أو بعض غربيي الأطوار من ضباط الجيش المتقاعدين من أمثال بت - يفرز. لقد أصبح علم الآثار الآن فرعاً مفهوماً ومحترماً من العلوم التاريخية (أو المعرفة). إن التحول الذي شهده المناخ الفكري لدى العامة يمكن رصده ببساطة: في عام ١٩٢٧م كان هناك سبع أو ثماني وظائف لتدريس علم الآثار في الجامعات البريطانية، الآن وبعد نصف قرن لدينا حوالي ثلاثمئة وظيفة، إنه تحول جذري مذهش، ومستمر في الوقت نفسه.

ليس ثمة شك الآن في الجدوي الأكاديمية لعلم الآثار، إلا أن العامة إلى جانب الأكاديميين المختصين في حاجة لمعرفة إمكانات البحث الآثاري المعاصر ونتائجه.

ويمكن بلوغ هذا الهدف جزئياً بواسطة التلفزيون والإذاعة وبواسطة المحاضرات والكتب الشعبية والمجلات. ليس من شك في أن البرنامج الآثاري - الأثنوغرافي في التلفزيون الأمريكي المسمى «ماذا في العالم» What in the World قد قدّم الكثير لإثارة اهتمام العامة بهذه الأمور، تماماً كما فعل البرنامج الإنجليزي «الحيوانات والخضروات والمعادن» Animals, Vegetables, Minerals، الذي استمر بنجاح لست سنوات خلال العقد السادس من هذا القرن. هذه البرامج في هيئة الإذاعة البريطانية أدت إلى ظهور أفلام وثائقية جادة مثل

«الكنز المدفون» Buried Treasure وسلسلة «كرونكل» Chronicle التي قدمها بول جونستون Paul Johnstone واستمرت بنجاح لسنوات عديدة. لدى هيئة الإذاعة البريطانية الآن وحدة للتاريخ والآثار، كما أن شركات التلفزيون الأخرى في بريطانيا وفرنسا والدنمارك وغيرها تستعمل شاشات التلفزيون لبث برامج عن الآثار.

لقد انقضى أكثر من خمسين عاماً على إنشاء مجلة العصور القديمة. وفي بريطانيا لها مثيلاتها التي تصغر سناً وتفوقها نشاطاً مثل الآثار المعاصرة وآثار العالم و الآثار العامة - Archaeology, Current Archaeology, World Archaeology, Popular Archaeology، وفي الولايات المتحدة تصدر مجلات مثل الآثار العامة والآثار والإنسان القديم والحملة - Archaeology, Early Man, Expedition. وتصدر في فرنسا الآثار ومصادر ما قبل التاريخ - Archéologia, Initiation a la prehistoire. وتصدر في الدنمارك أكثر هذه المجلات شهرة وشعبية باسم «سكالك» Skalk بتوزيع يصل إلى ٥٠٠٠٠ نسخة بواقع شخص واحد من كل مئة شخص في الدنمارك يقرأ (أو يشتري على الأقل) هذه المجلة.

ولكن هل يعني هذا إلى جانب الزيادة المطردة والترحيب الذي تلقاه الأعمال الجيدة في أوساط العامة أننا مقبلون على جمهور يعي ما يجري في حقل الآثار؟ بكل أسف ليس إلى كل الحد. إن علم الآثار قد اشتهر الآن وأصبح موضوعة العصر إلا أن هذه الشهرة تشاركه فيها كتب عن علم آثار زائف. وفيما يبدو فإن الخير لا ينمو إلا بنمو للشر مواز له، وذلك أمر مؤسف. الحقيقة أننا عندما نعود لنكتب تاريخ الإنسان في مرحلة ما قبل الكتابة حيث يركز عملنا كلياً على المصادر غير المكتوبة نجد السجل شحيحاً والقصة الناتجة عنه غالباً ماتكون

غير مقنعة لا تفي باهتمام القارئ العام وطموحه. إننا نقوم باستخدام كل الوسائل العلمية المتاحة، كما نقوم بجمع المعلومات القديمة والحديثة وتمحيصها وتحليلها ونفعل كل ما بوسعنا، ولكن رغم ذلك فإن الأسئلة التي يرددها الكثيرون تصعب إجابتها: من الذي قام برسم تلك الحيوانات في كهف لاسكو ولماذا؟ من خطط وبنى ستون هنج ولماذا؟ لماذا أقيمت الرؤوس الحجرية الأولية وتمثال جزيرة إيستر وكورسيكا؟

إن استيوارت بيغوت يتخذ موقفاً متحفظاً غير انهزامي (أشاركه إياه)، يقول فيه: «إن الدليل الأثري وحده يمكنه أن يمدنا بمعلومات عن جوانب عامة فقط كالتركيبة الاجتماعية والمعتقدات الدينية، وحتى هذه تكون بطريقة مبدئية، إن كل ما يستطيع العاملون في حقل ما قبل التاريخ إدراكه هو تاريخ التقنية».

ليس من المستغرب أن تدفع صعوبة توضيح كل جوانب القصة إلى جانب محدودية ما يمكن كشفه الكثيرين إلى الجناح المتطرف لهذه المادة. ففي أوروبا الغربية التي هي أحسن حالاً من أمريكا هناك طائفة كبيرة لما وصف بـ«علم الآثار البديل» و«علم الآثار المتطرف» و«علم آثار الهراء». يقوم بهذا العمل أناس يؤمنون بقبائل بني إسرائيل الضائعة، وقدماء المصريين والفينيقيين وأهل قارة أطلانطا، والمو، وصيادي المروج، إلى جانب مهووسي الأهرامات والأشخاص الدخلاء الذين يؤمنون أنه بإمكانهم العثور على علامات قرص البروج في سياج الأشجار في الريف البريطاني.

وأخيراً وبتشجيع من أناس مثل أريك فون دنيكن الذي وصفه ريهورك Re-hork في كتابه المشهور علم الآثار الحديث (١٩٧١) Fascinante: L'Archeologie Moderne، لقد أضيف زوار من الفضاء الخارجي إلى القائمة الزاخرة بالخرافات الأثرية، لقد أسهم فون دنيكن أكثر من أي شخص آخر في

نشر سخافات خطيرة عن الإنسان القديم (أقول هذا عن عمد وفي ذاكرتي أناس مثل إليوت اسمث وفل ودونلي Donnelly وبلمي Bellamy وفلوكونفسكي Velikovsky، وجاء بعلم الآثار الفلكي إضافة لعلم الآثار الفضائي ذي الصورة المرئية التي جمعت بين ما يشبه العلم ويشابه الجنون. لقد طوّع اللوحات الصخرية في تسيلي وخطوط النازكا ونقوش المايا التي أساء تفسيرها لخدمة من زعم أنهم جاؤوا في مركبات فضائية هابطين من السماء^(١)).

إن الأساتذة والمرشدين الذين تتلمذت عليهم كانوا يقولون: إن الأجنحة المتطرفة في علم الآثار هي نزوات مضحكة يجب تجاهلها، إلا أن هذا في رأيي ليس هو الحل، إن أحد واجبات علم الآثار والآثاريين خلال العقد التاسع من هذا القرن هو كشف هذه الأفكار المتطرفة وتعريضها وتوضيح الحقيقة كما تبدو بشكل دقيق مقنع متكرر.

إن الحجم الكبير الهائل من المعلومات الأثرية والمعرفة التي توافرت أخيراً يجب أن تكون في متناول أيدي الجميع، فعلم الآثار لم يعد هواية سرية أو ممارسة مقصورة على أفراد بعينهم مثل: جون إيفانز أو بوشر دوبرت، إنه مصدر معلوماتنا من المخلقات الثقافية والمتحجرات التي تعلمنا إن كنا بشراً أم فئراناً. في رأيي أننا بشر، وأن تاريخ علم الآثار على الرغم من أنه ضُغَط كما

(١) لقد تُرجم كتاب دنيكن **Chairots of the Gods** إلى اللغة العربية ونسبه مترجمه إلى نفسه دون إشارة إلى الكتاب الأصل. كذلك يدخل في إطار هذه المؤلفات كتاب أحمد عثمان: موسى فرعون مصر (١٩٩١) **A.Osman, Moses: Pharaoh of Egypt** الذي يزعم فيه أن موسى عليه السلام هو الفرعون المصري أخناتون، وهو خطأ فادح لأن أخناتون وثني. وكذلك كتابه غريب في وادي الملوك **Stranger in the Valley of the Kings** الذي يؤيد فيه الرأي الذي دار بين بعض علماء المصريات بأن الوزير المصري يويا Yuya هو يوسف عليه السلام. (المترجم).

يجب واختصر في حدود هذا الكتاب يثبت هذه الحقيقة. إنه يوضح الإنجازات التقنية الهائلة للجنس البشري في الماضي، إلى جانب التحول التدريجي في أفكارنا عن ماضينا.

لعلّ هذا هو أكثر سبب مقنع لدراسة تاريخ علم الآثار، تحديداً لأنه جزء من تاريخ الأفكار وعليه فهو عنصر أساس في إدراكنا لتقرير ذاتنا بوصفنا أناساً نتطور مع الزمن. لقد كان استيوارت بيغوت حكيماً حين قال: «في دراستنا لأصول العلوم التاريخية وتطورها؛ فإننا نكون قد أنهمكنا عملياً في بحث تاريخ الأفكار، أفكار عن الماضي حملها أناس هم الآن موضوع أبحاثنا التاريخية. وكذلك في معرفة الوسائل التي توصلوا إليها قصداً أو مصادفة، للحصول على المادة الأساس التي يكتب منها التاريخ ولتفسيرها» (أطلال على السطح، ١٩٧٦، Ruins in a Landscape)

الاكتشافات الرئيسية :

يجب ألا نختم هذا الفصل بما يشير الغضب ويدفع إلى الهجوم، دعنا نسرد بعض الاكتشافات الرائعة والتفسيرات الجديدة التي شهدتها العقود الأربعة الأخيرة من الفترة قيد البحث، لقد سبقت الإشارة إلى ستون هو في عام ١٩٣٩م وكهف لاسكو في ١٩٤٠م.

في عام ١٩٤٢م طوّر كل من إميل غاينون وجاكو كوستو Emile Gagnan Jacques-Yves Cousteau جهازاً للتنفس تحت الماء، وبدأ بذلك عهد جديد في الآثار الغارقة. وفي عام ١٩٤٣م بدأ كل من ستون لويد Seton Loyd والسيد فؤاد سفر حفريات في تل حسونة وقدموا فهماً جديداً لبداية العصر الحجري

الحديث في الشرق الأدنى. وفي السنة نفسها تمت توسعة القاعدة الجوية في أنجلسي (شمال وليمز) وأدى ذلك إلى اكتشاف أدوات سلتيّة دفعت بالسير سايرل فوكس إلى أبحاث جديدة نتج عنها كتابه النمط والفرض (Pattern and Purpose, 1958).

وشهد هذا العام كذلك ظهور تقرير ويلر قلعة ميدن الذي سبقت الإشارة إليه. كما نشر كتاب بول جاكوبثال Paul Jacobsthal المسمى الفن السلتي القديم Early Celtic Art الذي نشرته مطبعة جامعة أكسفورد في عام 1944م. لقد كان مسحاً علمياً رائعاً وفاتحة عهد في دراسة الفنون البربرية خلال القرون الأربعة التي سبقت ميلاد المسيح، وقد كانت له آثار بعيدة المدى^(١).

في عام 1944م عثر في مستنقع في تولوند بالقرب من فيبورج في جتلاند^(٢) على جسد آدمي أصبح مشهوراً فيما بعد، وقد جاء عنه في الكتاب المثير لمؤلفه ب. ف. جلوب P. V. Glob المسمى بلاد إنسان تولوند (1967)^(٣) Land of the Tallund Man : «لأول مرة يهبط علينا وجه آدمي من حقب ما قبل التاريخ دون أن يمسه التلف، لم نعرف تمثالاً رومانياً نصفياً أو آخر من عصر النهضة في إيطاليا، أو لوحة جدارية أو أي شيء آخر صنعه الإنسان لتجسيد الإنسان يمثل الحقيقة أكثر من وجه هذا الفرد المسود». وتم حفظ الرأس في متحف سلكبورج على بعد خمسة وعشرين ميلاً إلى الغرب من أرهوس وعرض ليراه

(١) في عام 1944 صدر كتاب كروبر (1876-1960م) تشكيل النمو الثقافي Configuration of Culture Growth الذي أوضح فيه أن كل ثقافة تمثل وحدة ونظاماً متكاملًا يحوي عدة جوانب هي أمور مستقلة ولكنها تكون وحدة فيما بينها. (المترجم).

(٢) يقع إقليم جتلاند في الدنمارك الحالية. (المترجم).

(٣) الواضح أنه وقع خطأ مطبعي والمقصود هو 1967م وليس 1767م. (المترجم).

الجميع. وجهه من الماضي، وجه إنسان عاش منذ ألفي عام ومات مشنوقاً في طقوس دينية. دعنا نستشهد بما قاله جلوب مرة أخرى: «يحس المرء كما لو أنه يعرف هذا الشخص، ويعرف من هو، ويستطيع سماع صوته. شفتاه تنمان عن ثقة وهناك دفء سخرية على جنبات فمه، ودعابة ساخرة في ابتسامة عينيه، لقد أغمض عينيه لتوه لا أحد يصدق أنه مات».

في نهاية العقد السادس من هذا القرن نظمت هيئة الإذاعة البريطانية برنامجاً تلفزيونياً عن إنسان تولوند، وقد كلف كل من السير مورتمر ويلر وشخصي بتذوق وجبة ارتكزت على أنواع طعام شبيهة بتلك التي تم تعرفها عليها من محتويات معدة إنسان تولوند ساعة موته. كانت خليطاً لا طعم له من بذور وحشائش برية ومدجنة. خطر لي وقتها - ولا يزال - شعور عن مدى انعكاس كل هذا على علم الآثار: لقد استطعنا تحديد آخر وجبة تناولها، إلا أننا لن نستطيع أبداً معرفة اسمه، أو لماذا شئق، أو ماهي الخواطر الأخيرة التي عبرت ذهنه، تقع هذه جميعها ضمن المحدودية المستمرة لعلم آثار ما قبل التاريخ، الأمر الذي يجب ألا يغيب عنا أبداً.

في السنة الأولى بعد الحرب - أي في عام ١٩٤٦م - قام ر.ج. اتكنسون الذي يحتل الآن أستاذ كرسي الآثار بالكلية الجامعية في كاردف^(١) والمعروف بحفرياته في ستون هنج ولسبري هل؛ باستعمال أداة كهربائية لتردد الإشعاع للكشف الأثري أول مرة في مجال الآثار وذلك في منطقة دورشستر - أون - تيمس وكانت تلك هي بداية استعمال الأجهزة العلمية في مجال الكشف الأثري.

تعد مقاطعة الهنود اللاكندون من جنوب شرق المكسيك كما جاء على لسان

(١) كان ذلك وقت إعداد الكتاب الاصل. (المترجم).

كيرام Ceram: «منطقة منسيه يجيء إليها الرجل الأبيض فقط حين تعوزه الحاجة إلى أشجار المهوقني أو المادة الصمغية التي تستعمل في صناعة العلكة» صورة من تاريخ علم الآثار ١٩٥٨ ، ٣٢٧ A Picture of History of Archaeology. في عام ١٩٤٦م أنشأت الشركة المتحدة للفاكهة وحدة سينمائية لإعداد فيلم وثائقي بعنوان «المايا عبر العصور». لقد كان الهنود اللاكندون أحد مجموعات المايا الأخذة في الانقراض. إنهم قوم ممنون في التسخلف ولم يحدث أن عمّدوا للمسيحية. كانوا حقيقة هم القبيلة الوحيدة في المايا التي لاتزال تعيش مرحلة حضارية سابقة لوصول الإسبان. استطاع جايلز هيلي Giles G Healey مصوّر الوحدة أن يقيم علاقات طيبة معهم مما جعلهم يكشفون له عن سرهم المقدس وهو الجدران الملونة في بونامباك. إن بعض رسومات المايا التي توضح آلهتهم ورموزهم كانت معروفة، إلا أن جدران بونامباك كشفت عن رسومات توضح الحياة اليومية للمايا بأسلوب غني رائع.

في العام التالي كذلك ألقى غلام عربي يرعى أغنامه بحصاة في كهف في قمران على سواحل البحر الميت، ذهل الطفل من الصوت الذي أحدثته الحصاة فبدأ يستكشف الكهف حيث عثر على ما يعرف اليوم بوثائق البحر الميت. وفي ذلك الصيف عثرت ج. هنري - مارتن G. Henri- Martin على مخلفات للهوموسيبيان في فونت شوفاد في الشارونت الأطلسي، كما أبحر هايردال بطوفه المسمى كون - تيكى من الأكوادور إلى بولونيزيا.

وفي عام ١٩٤٩م قام رودنكو Rudenko بحفر بعض التلال في بازيريك في إقليم التاي في سيبيريا، كانت في حقيقتها مقابر تخص الأسكاثيين يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وعثر على حوالي ستين من هذه المقابر التي كان جريازنوف ورودنكو أول من أشار إليها في عام ١٩٢٩م. نشر تقرير

رودنكو عن حفرياته باللغة الروسية أول مرة في عام ١٩٥٣م، وفي عام ١٩٧٠م ظهرت ترجمة إنجليزية منقحة تحت عنوان مقابر سيبيريا المجمدة: مقابر بازيريك لخيالة العصر الحديدي **Frozen Tombs of Siberia: the Burials of Iron Age Horses** كانت هذه المقابر الأسكائية غرقاً خشبية في قاع الخنادق، وكان لصوص المقابر قد قاموا بإزالة السطوح الخشبية عنها مما سمح للأمطار والمياه بالتسرب إلى الجثث فتجمدت وحفظت بطريقة مذهلة: لقد عاش القماش والجلد والخشب واللباد لمدة ألفين وخمسمئة عام، بالإضافة إلى حرير صيني مطرّز وقطع فارسية منسوجة وسجادة صوفية ورجل به وشم.

بدأ جراهام كلارك حفرياته في أستار كار في مقاطعة يوركشير في عام ١٩٤٩م، والموقع واحد من أكثر مواقع العصر الحجري الوسيط أهمية. وحين نشر تقرير هذه الحفريات في عام ١٩٥٤م عد مثالا لتداخل فروع المعرفة في علم الآثار، وفي السنة ذاتها بدأ ماكسي مالوان Max Mallowan حفرياته في غرود التي كشفت - ضمن أشياء أخرى - عن مخلفات رائعة من العاج. كذلك بدأت دورثي غارود وسوزان دو سان ماثوران Dorothy Garrod and Sazanne de Saint- Matharin حفريات في الملجأ الصخري في إنجلترا سورلا انجلين في شارونت حيث كشف عن مخلفات جديدة رائعة تخص العصر الحجري القديم الأعلى.

وشهد عام ١٩٤٩م كذلك بداية حفريات الآثار المكسيكي البرتو روز Al-berto Ruz في معبد النقوش في بالنكو، حيث عثر على هرم مدرج من ثماني درجات، وفي داخل المعبد وعلى المسطبة العليا وجد دهليزاً يقود عبر ست وستين درجة إلى حجرة تحوي هياكل عظيمة وأواني فخارية وقطعاً من حجارة الجادي. كما عثر خلفها على حجرة أخرى يصل طولها إلى ثلاثين قدماً

وعرضها إلى ثلاثة عشر قدماً (٩×٣ متر). وكانت الغرفة التي زينت جدرانها برسومات جصية تحوي قبر أحد حكام المايا يتراوح عمره بين أربعين وخمسين سنة، تزينه حلي من حجر الجادي وأقراص كبيرة للأذن تحوي نقوشاً بهيروغليفية المايا، كذلك عثر على تاج وقناع فسيفسائي ولؤلؤتين كبيرتين وخواتم للأصابع العشرة.

بعد هذا الاكتشاف الرائع لم يعد في الإمكان الزعم أن أهرامات المايا لا تحوي غرفاً للدفن، وكان من الطبيعي أن يشجع اكتشاف روز هذا في بالنكو أولئك الذين ظلوا لفترة طويلة يرون في أهرامات المايا دليلاً على وجود مصري قديم في أمريكا^(١).

في عام ١٩٥٠م تابع براين هوب تايلر Brian Hope Taylor اكتشافاً تم عبر الصور الجوية لموقع أنجلو - ساكسوني في يفرنج في مقاطعة نورث همبرلاند. وأجريت التنقيبات ببراعة حيث كشفت أول مرة عن قاعة أنجلو - ساكسونية،

(١) شهدت هذه الفترة ظهور مدرسة التطورية المحدثه Neo-evolutionism التي انبثقت عن كتابات غردون شايلد (١٨٩٢ - ١٩٥٧) وجوليان استيوارد (١٩٠٢ - ١٩٧٢م) ولزلي وايت (١٩٠٠ - ١٩٧٥م). ففي عام ١٩٤٩م ظهر مؤلفان أساسان في هذا الاتجاه: مقال جوليان استيوارد السببية الثقافية والقانون **Cultural Causality and Law** وكتاب لزلي وايت علم الثقافة **The Science of Culture** هذه الأعمال إلى جانب كتابات شايلد أثارت قضية التطور الحضاري والعوامل المحركة له (في وقت كان الاهتمام منصباً على قضايا التصنيف). حدد استيوارد هدف علم الآثار بالبحث عن القوانين المحركة للتحويل الحضاري، ونادى بالتطور المستقل للظواهر الحضارية، وفي عدة خطوط **Mutlilinear**، وكان يرى في المناخ عاملاً مؤثراً في مسيرة الحضارة وأن الحضارة هي تكيف مع البيئة، وركز على أهمية أماط الاستيطان بوصفه عاملاً يسلط الضوء على كيفية التطور. أما لزلي وايت فيرى أن الثقافات عبارة عن نظم **Systems** وأنها تركيبة ديناميكية من العلاقات أو المتغيرات المتداخلة **Interrelated Variables** يتفاعل بعضها مع البعض داخل منظومة واحدة، وأن أي تغير في المناخ ينعكس تبعاً على بقية المتغيرات، ويرى كذلك أن هناك موازنة بين النظم الحضارية والمناخ الطبيعي وأن الحضارة في حالة تكيف دائم مع المناخ. (المترجم).

وربما كانت هي الأدغفرين Adgefrin التي وصفها بيد Bede في التاريخ الكنسي **Ecclesiastical History**. وظهر تقرير هذه الحفريات في عام ١٩٧٩م نموذجاً لما يجب أن تكون عليه التقارير وعلامة مميزة للمنشورات الأثرية في القرن العشرين.

أما عام ١٩٥١م فقد شهد ظهور كتاب لويس ليكي Louis Leakey أخدود أولدفاي Olduvai Gorge كما ظهرت أول مجموعة من التواريخ الناتجة عن وسيلة كربون -١٤ في مجلة العلوم Science. وفي العام التالي بدأت كاثرين كنيون حفرياتهما في أريجة التي أظهرت تسلسلاً حضارياً رائعاً وكشفت عن جماجم بشرية مغطاة بالجلد. وفي عام ١٩٥٢ ظهر كتاب جراهام كلارك أوربا ماقبل التاريخ: أساسها الاقتصادي **Prehistoric Europe: the Economic Basis** وهو مجهود رائد خرج بما قبل التاريخ من دائرة العصور الثلاثة والأربعة والخمسة، وتوجه نحو دراسة حياة الإنسان القديم واقتصاده.

لقد أدى وقوع الثورة المصرية في عام ١٩٥٢م إلى إغلاق المدارس الأثرية الأجنبية في مصر، وكانت تلك بلا شك انتكاسة كبرى، فالفرنسيون كانوا يعملون منذ أيام نابليون بنجاح كبير وفائدة جمة لكل المهتمين بالماضي القديم لأقدم المدن داخل مصر وخارجها، وكان طرد دريوتو Driton أمراً سيئاً ومؤسفاً. في العالم التالي عثر الآثاريون المصريون على المركب الملكي الخاص بالفرعون خوفو مدفوناً بالقرب من الهرم الكبير في الجيزة، وهناك وصف كامل لها في كتاب نانسي جنكنز Nancy Jenkins السفينة تحت الهرم (١٩٨٠) **The**

Boat beneath the Pyramid.

أما عام ١٩٥٣م فقد كان - بكل المقاييس - عاماً حافلاً بالإثارة بالنسبة لعلم الآثار خلال القرن العشرين، نشر خلاله مايكل فترس Michael Ventris حل

رموز الشريطية «ب» من اللغة المينوية. حينما كان مايكل في سن السابعة عشر تلميذاً في استوى استمع إلى آرثر إيفانز الذي كان قد بلغ الثمانين من عمره يلقي محاضرة حول هذا الموضوع، وأنه ظل يحاول فك تلك الرموز خلال الأربعين سنة الماضية. بُهر هذا الطالب الصغير بهذا الأمر وأخذ على نفسه عهداً بالنجاح فيما أخفق فيه آرثر إيفانز. وبعد سبعة عشر عاماً، وعمره لم يتجاوز الرابعة والثلاثين نجح في مهمته من غير أن يعثر على لغة أو لغات أخرى تساعده على الترجمة كما كان الحال بالنسبة لشامبليون وراولنسون.

كذلك شهد العام نفسه كشف حقيقة إنسان بلتداون، كان كنت أوكلي قد تمكن من تأريخ بعض العظام المتحجرة بواسطة وسيلة الفلورين في عام ١٩٤٨م. وحين اختبرت مخلفات بلتداون بهذه الوسيلة ووسائل أخرى^(١)، اتضح أن «إنسان إنجلترا الأول» ذلك كما اسماء اسمث وودورد Smith Woodward ، لم يكن إنساناً كما كشفت التحليلات العلمية التي أجريت على مخلفاته، على يد أوكلي ووينر ولو غروس كلارك Weiner and Le Gros Clark. ثم جاءت الضربة القاضية حين أثبت اختبار الكربون - ١٤ أن العظام حديثة العهد. وبذلك أصبح الأيوانثروبس داوسوني^(٢) لاشيء سوى خدعة مزيفة كانت قد قبلت بكل استعداد وشغف عند علماء مسؤولين. وقد أورد ج. س. وينر في كتابه خدعة بلتداون (١٩٥٥) تفاصيل كشف هذه الخدعة حيث يشير بطريقة ضمنية - وإن لم تكن صريحة - أن الخدعة من صنع داوسون. واقترح آخرون أسماء أخرى. وفي كتاب شعوب بلتداون The Pilt dawn Men جادل ميلر Millar بأسلوب غير مقنع لصالح إليوت اسمث. أما سولاس وتيهارد دو

(١) راجع الفصل الثالث. (المترجم).

(٢) ذلك هو الاسم العلمي الذي أطلق على المخلفات ويعني الإنسان القديم الذي عثر عليه داوسون. (المترجم).

شاردان Sollas and Teilhard de Chardin فقد أستميلا، ربّما لن نتوصل أبداً إلى الحقيقة الكاملة إلا أن درس بلتداون قد فهم، تماماً كما نسي درس مولان كينيون حين انتشرت أخبار مخلفات بلتداون. الآن أصبح من غير الممكن عملياً أن يقع خداع مماثل؛ إن تاريخ علم الآثار هو تاريخ التقويم النقدي للدلائل.

في العام الذي كشفت فيه خدعة بلتداون عشر ريني جفري Rene Joffroy الذي كان يعمل أستاذاً في ثانوية شاتيون - سور - سين (الذي أصبح فيما بعد مديراً للمتحف القومي للآثار في سان جيرمان) على قبر الأميرة في فكسي، الذي كان أحد أكثر الاكتشافات الأثرية روعة، كان ذلك قبراً لأحد أميرات الهالشتات المتأخرات ربما يعود تاريخها إلى الفترة من ٥٢٥ إلى ٥٠٠ ق.م. وكانت ترتدي تاجاً من الذهب الخالص من صناعة إغريقية - إسكائية، وقد دفن معها إناء برونزي ضخيم يصل ارتفاعه إلى خمسة أقدام وثلاثة بوصات (مئة وستين سنتيمتراً) ويزن ٤٥٧ رطلاً، وهو أكبر إناء معدني وصل إلينا من الأزمان السابقة.

أثناء عملية إزالة الانقراض التي خلفتها الحرب في مدينة لندن عثر في عام ١٩٥٤م على معبد ميثرا، وقام الأستاذ و.ف. جرايمز W. F. Grimes بعد ذلك بحفريات أثارت انتباه العامة الذين أصبحوا على علم بمبادئ علم الآثار إثر متابعتهم للبرنامج التلفزيوني «الحيوانات والخضروات والمعادن». واصطف الناس في صفوف طويلة وانتظروا لساعات لمشاهدة هذه المخلفات التي لم تكن على درجة كبيرة من الإثارة، إلا أن اهتمام العامة بها أدى إلى ضرورة صيانتها. لقد أظهرت حادثة ميثرا أن الماضي يعيش في أذهان العامة، وأنهم يشاركون الأثاريين المحترفين بحرارة الحماس والاهتمام بهذا التراث العالمي الذي

يكشف عنه علم الآثار بثقة وأناة. وصفت لندن الرومانية وصفاً جيداً في كتاب

لبير مارزدين Peter Marsden يحمل الاسم نفسه **Roman London**.

في الوقت الذي كنا نترنح فيه من هول مفاجأة بلتداون نشرت صحيفتا الفيجارو والتايمز اللندنية في عام ١٩٥٦م خبر اكتشاف «أغنى كشف لفنون العصر الحجري القديم» في منطقة الدوردوين. كان ذلك هو كهف روفنيك في منطقة ليزايزي الكلاسيكية التي استحوطت عن جدارة لقب «عاصمة» ما قبل التاريخ. هذا الكهف الذي ظلّ معروفاً لعدة قرون كشف الآن عن نقوش ورسومات لحيوانات لم يحدث لأحد أن شاهدها من قبل، بما في ذلك الأب بروي الذي أمضى فيه يوماً في عام ١٩١٥م (كان في حقيقة الأمر يساعد صديقاً له يبحث عن فراشات)، كذلك فإن مارتيل الذي يعد حجة في الكهوف الفرنسية لم يشاهد أي رسومات هناك خلال زيارته المتكررة بين عام ١٨٩٠ و ١٩٣٠م. لقد عبر بعضنا عن شكوكهم وارتياهم. ولقد تقبل عالم دراسات العصور الحجرية القديمة فنون روفنيك، إلا أنني أتشكك في حقيقتها، وأرى أن معظمها مزيف، وحين يراجع شخص ما هذا الكتاب بعد خمسين عاماً سيكون دليل زيفها واضحاً تماماً كما اتضح لنا الآن زيف بلتداون.

لقد شهدت السنوات القليلة التالية أعمالاً في مواقع ساحرة ومهمة للغاية، بدأ ليرسي استكشافه في مقابر الأترسكا باستعمال أداة البريسكوب، وكذلك بدأ إمري Emery عمله في بوهين على الحدود المصرية السودانية^(١)، كما أن موقع آسبينا الأترسكي في شمال إيطاليا كان قد اكتشف، وعشر على مستودع

(١) كان ذلك في موقع الحصن يعود تاريخه إلى عهد المملكة المصرية الوسطى (٢٠٠٠-١٧٨٠ ق.م.).
(المترجم).

للمجوهرات التتارية في الكارامبولو بالقرب من أشييلية وكذلك مستودع سنت نينيان في شتلاند. وزار جيمس ميلارت أزمير وذكر أنه قد شاهد ما يسمى بكنز دوراك الذي لم يره أحد قبل ذلك ولا بعده (للمزيد من التفصيل نحيل القارئ إلى بيرسون وكونر Pearson and Connor كنز الدوراك ١٩٧٠ The Dorak Treasure).

في عام ١٩٥٩م أخطرت اليونسكو بخطة الحكومة المصرية لبناء سد جديد عند أسوان، وعليه نظمت المنظمة حملة لإنقاذ آثار النوبة، كانت هذه هي المرة الأولى التي تشهد تعاوناً دولياً في مجال الآثار وقد كان ناجحاً للغاية. كان آخر مراحل المشروع وأكثرها إثارة هو تقطيع تلك التماثيل الضخمة في معبد أبو سمبل ونقلها^(١)، وأني لأتساءل الآن هل كان إغراق تلك المنطقة وقيام بحيرة ناصر أمراً ضرورياً؟

في السنة نفسها التي بدأت اليونسكو حملتها الضخمة لإنقاذ آثار النوبة من الزوال عثر مشيل فلوري M Fleury على قبر الملكة أرنقوند في سان دني إلى الشمال من باريس، كما عثرت ميري ليكي على جمجمة بشرية في الطبقة

(١) لعلّ حملة إنقاذ آثار النوبة التي نظمتها اليونسكو كانت أول عمل أثاري من هذا النوع بهذا الحجم، حيث اشتركت فيها ٢٩ بعثة من حوالي خمسين بلداً، جاء بعضها ممثلاً لعدد من الأقطار. ويقدر ما صرف على إنقاذ آثار تلك المنطقة التي غطتها في وقت لاحق مياه بحيرة ناصر (أو بحيرة السد) بما يزيد على أربعين مليون دولار أمريكي ذهب معظمها إلى إنقاذ معابد أبو سمبل وفيلة وبوهين. وعلى الرغم مما يمكن إثارته من جوانب قصور لهذه الحملة (انظر: W. Y. Adams: Organizational Problems in International Salvage Archaeology, Anthropol. Quart. Vol 41, No. 3, p. 110-121 (1968).

إلا أنها وضعت منطقة النوبة على الخارطة الأثرية للعالم بشكل جعل منها المنطقة الأولى في العالم التي تشهد عملاً أثارياً بهذه الكثافة. (المترجم).

السفلى في أخدود أولدفاي في تنزانيا، وقد أُرخت إلى مليون وثلاثة أرباع المليون سنة من وقتنا الحالي^(١). ومنذ ذلك الحين تكرر العثور على مخلفات بشرية وخلافها من مختلف أجزاء شرق إفريقية، كانت تلك هي أول إشارة لقدم الحضارة البشرية^(٢).

إن الظروف التي أحاطت بالاكتشافات المهمة في أولدفاي تستحق وقفة في تاريخ علم الآثار، كان لويس ليكي آنذاك مريضاً طريح الفراش في معسكر العمل، بينما كانت ميري ليكي تعمل في الرمال الجافة في الطبقات الجيولوجية السفلى في الأخدود، وفي ١٧ يوليو (تموز) لاحظت مخلفات عظمية على حائط الأخدود. دعنا نتابع بقية القصة كما جاءت على لسان براين فيغان في كتابه البحث عن الماضي (١٩٧٨) *Quest of the Past*: «كمن زود بطاقة كهربائية، قامت بإزالة الأتربة العالقة باثنين من الأسنان الكبيرة. لم يكن من شك في أنها تخص مخلوقاً شبه بشري متحجر، يعثر عليها لأول مرة في أخدود أولدفاي فقفزت ميري إلى سيارة اللاندروفر وأسهرت نحو المعسكر. "لقد وجدته.. لقد وجدته" صاحت وهي تندفع إلى داخل الخيمة، نسي لويس مرضه، وارتدى ملابسه واندفع هو وزوجته عبر الطريق نحو الموقع، وبعناية فائقة تفحصا الأسنان وأزاحا المزيد من التربة. لم يكن هنالك شك في

(١) كُثِّفَت أسرة ليكي أعمالها الأثرية في موقع أولدفاي في سهل سرنقيتي في تنزانيا في عام ١٩٥٩. وقد خلصت البعثة إلى نتائج باهرة فيما يخص البدايات المبكرة للإنسان والحضارة ولفتت انتباه العالم لأهمية شرق إفريقية في مايتعلق بهذا المجال.

(٢) بالنسبة لآثار الإنسان القديم في الطبقة السفلى من أولدفاي فقد عثر على مخلفات عظمية بشرية وحيوانية وأدوات حجرية بدائية (الدوانية) وكذلك على مخلفات عظمية للقرود الجنوبي.

أن ميري ليكي قد عثرت على جمجمة متحجرة مسوغة في القدم، وبذلك توجت بحثاً كان قد بدأ قبل ثمانية عشر عاماً.

كان النجاح هو اكتشاف «الزنج أنثروب بويسي» أو «الابن العزيز» كما عرف بين أفراد عائلة ليكي، و«إنسان كسّارة البندق» Nutcracker Man كما عرف عند العامة.

في ذلك العام نشر بيير - رولاند غيو Pierre-Roland التواريخ الكربونية لآثار ميغاليثية في بريتاني أوضححت أن تلك المخلفات أقدم من الأهرامات المصرية وزقورات وادي الرافدين، لقد كانت - شأن المعابد المالطية - من أقدم المخلفات المعمارية في العالم. لقد كان علم الآثار خلال العقدين السادس والسابع من هذا القرن يقود ثورة في داخله وفي تصوره لماضي البشرية^(١).

كذلك شهد العقد السابع من هذا القرن حفريات يادين Yadin في مصعدة في فلسطين، وكذلك بدأ هول وفلنري Hole and Flannery عملهما في على

(١) مما يجدر ذكره أيضاً أنه خلال الستينيات من القرن الحالي ظهرت في أوساط الدراسات الأنثروبولوجية واللغوية أفكار المدرسة البنوية الفرنسية Structuralism بعد أن طورت على يد كلود ليفي استراوس (وإن كان مؤلفه البنيات الأولية للقرابة Les Structures élémentaires de la Parenté قد ظهر في عام ١٩٤٩. وقبلها في عام ١٩٤٥ ظهر له مقال بعنوان التحليل البنوي في علم اللغة والأنثروبولوجيا L'Analyse Structurale en Linguistique et Arthropologie). يرى استراوس أن البنية هي الطريق إلى فهم الثقافة البشرية، والبنية عبارة عن منظومة تتألف من عناصر ترتبط بعلاقات، يؤثر أي تحول في واحد منها على بقية العناصر. ولأن هذه الجزئيات أو العناصر تختلف دلالاتها باختلاف البنيات فلا بد لنا أن نبدأ إذن بالبنيات ثم نهبط إلى الجزئيات وهناك ننظر في علاقة الجزئيات بعضها ببعض وبالبنية كلاً واحداً. ورغم أنه تأثر ببعض من سبقوه؛ إلا أنه يبدو هنا أكثر تأثراً بأفكار رادكليف براون في ربط البنية بالجزئيات، غير أنه يعكس فكرة رادكليف الذي يبدأ بالجزئيات وينتهي بالبنية. (المترجم).

كوش^(١) كما كان اتكنسون ويغوت ينقبان في استون هنج وسلبري هل ووست كنت وويلاند سمثي. كذلك تم اكتشاف لبنسكي فير^(٢) في يوغسلافيا وأجريت تنقيبات فيها على يد ترفنوك وسريوفيش Trifunovic and Srejoic، وقام مايكل كو Michael Coe بحفريات في مواقع احتفالات الأوليك في سان لورينزو جنوب فيراكروز^(٣).

في تلك السنوات تحول علم الآثار من علم يقتصر على ما قبل التاريخ وعلى مدنيات فجر التاريخ في مصر ووادي الرافدين وفلسطين واليونان وروما، إلى علم إنساني يتعامل مع المخلفات المادية للإنسان من كل الأزمان والأمكنة. وأصبح ما قبل التاريخ علماً يغطي حقب ما قبل التدوين في العالم بأسره. أما قصة الآثار في أمريكا وإفريقية وجنوب شرق آسيا وأستراليا وبولينيزيا فيجب أن تسير جنباً إلى جنب مع قصة الآثار في أوروبا والشرق الأدنى التي بدأت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. يظهر هذا التوجه الشامل بوضوح في كتاب جراهام كلارك ما قبل التاريخ في العالم World Prehistory (صدرت الطبعة الأولى منه في عام ١٩٦١م والثالثة في عام ١٩٧٧م) وكتاب شستر شارد Chester S Chard الإنسان في ما قبل التاريخ Man in Prehistory (الطبعة الثانية ١٩٧٥) وبرايين فيقان شعوب الأرض (١٩٧٧) People of the Earth

(١) على كوش موقع في جنوب غرب إيران يعود إلى حقبة العصر الحجري الحديث (الألف الثامن ق.م.)، وقد كشفت الحفريات فيه عن أدلة لبداية استئناس النبات والحيوان في تلك المنطقة. (المترجم).

(٢) لبنسكي فير موقع على نهر الدانوب يعود إلى العصر الحجري الوسيط، ويؤرخ إلى الألف السابع ق.م.، وقد كان مستوطناً لجماعة عرفت اقتصاداً متطوراً. (المترجم).

(٣) تقع هذه المنطقة في جنوب المكسيك والمواقع مراكز لاحتفالات الأوليك تعود بداياتها إلى القرن الخامس عشر ق.م.، وقد سلطت الحفريات فيها الضوء على أصل الأوليك وتطور ثقافتهم. (المترجم).

(الطبعة الثانية) وكذلك كتابه ما قبل التاريخ في العالم: مقدمة مختصره

. World Prehistory: A Brief Introduction (١٩٧٩)

ينتهي بنا هذا الفصل إلى عام ١٩٨٠م، بعد مئة عام على بداية فلنדרز بيتري لأعماله في مصر، ويت ريفرز لحفريات في كارنبورن شيز وكذلك على نشر دو سوتولا لرسومات الطميرا. أوضحت السنوات العشر الأخيرة أن علم الآثار يسير نحو غاياته بخطأ حثيث أكثر من أي وقت مضى، وأن اكتشافات جديدة مهمة ظلت تتلاحق من مختلف أرجاء العالم.

في عام ١٩٣٩م نشر سبريدون ماريناتوس Spiridon Marinatos الذي كان يعمل وقتها رئيساً لدائرة الآثار في اليونان مقالاً في مجلة العصور القديمة (١٩٣٩، ٤٢٥ - ٤٣٩) بعنوان الدمار البركاني لكريت المينوية - Volcanic De-struction of Minoan Crete، خرج فيه بنظرية تقول: إن انفجار ثيرا وآثاره الجانبية قد أحدث دماراً مفاجئاً في كريت^(١). طورت هذه النظرية بواسطة سبر دنيس بيدج Sir Denys Page في مقال نشرته جمعية الدراسات الهيلينية في عام ١٩٧٠ بعنوان بركان سانتوريني وتدمير كريت المينوية - The Santorini Volcano and the destruction of Minoan Crete. لقد ظل الآثاريون منقسمين على أنفسهم حيال هذا الموضوع الذي ظل يناقش في الكتب والمؤتمرات. ونشرت حفريات ماريناتوس في اكروتييري في ثيرا التي حوت لوحات جدارية رائعة، في سلسلة مجلدات في أثينا خلال الأعوام ١٩٦٧ - ١٩٧٦ وهناك مجلد آخر يحوي تقريراً أعده كريستوس دوماس Christos Doumas ينتظر صدوره قريباً. لقد توفي ماريناتوس حين انهارت حفرياته في ثيرا من تحته

(١) كان ذلك في حدود ١٥٠٠ ق.م. (المترجم).

ولفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي سير دنيس بيدج .

في عام ١٩٧٢م اكتشفت بمحض الصدفة مقبرة ترجع إلى العصر البرونزي بالقرب من بحيرة فارنا على مقربة من ساحل البحر الأسود في شمال شرق بلغاريا .

وكشفت التنقيبات التي أجراها إيفان س . إيفانوف Ivan S Ivanov الذي يعمل بمتحف فارنا في هذه المقبرة عن كمية كبيرة من القطع الذهبية هي ما يسمى الآن بكنز فارنا الذي وصفه كولن رينفرو بأنه : «أقدم مجموعة كبيرة من المعثورات الذهبية يتم الكشف عنها في أي مكان من العالم حتى الآن...» وهي حادثة يمكن مقارنتها من حيث الأهمية باكتشاف سليمان للكنز الكبير من طروادة منذ أكثر من مئة عام خلت» (العصور القديمة ١٩٧٨ ، ١٩٩) . والمعثورات من فارنا أقدم عهداً من طروادة - ٢ بألف وخمسمئة عام على الأقل ، إنها تؤكد حقيقة التطور المحلي المبكر للتعدين في جنوب شرق أوروبا .

وشهد عام ١٩٧٢م كذلك إعلان رتشارد ليكي Richard Leakey ، الذي واصل العمل الرائد لوالده لويس ليكي في شرق إفريقيا ، اكتشاف جمجمة بشرية تؤرخ لما يزيد على المليونين ونصف المليون من السنوات ، لقد أثبتت منطقة بحيرة تركاننا التي عثر فيها على الجمجمة في وقت لاحق أنها مرتع خصب لمخلفات بشرية قديمة مشابهة^(١) .

(١) تلك هي الجمجمة المعروفة بالرقم ١٤٧٠ التي تخص الهوموهبلز Homo habilis «الإنسان الماهر» أحد أقدم الفصائل البشرية المعروفة . وكانت هذه أول جمجمة كاملة يعثر عليها من تلك المنطقة ، بعد ذلك بقليل (١٩٧٤) عثرت بعثة أمريكية في منطقة عفار بأثيوبيا على مخلفات عظمية لأحد أقدم فصائل القرد الجنوبي (العفاري = لوسي) وقد أرخ للفترة ٣ - ٣ر٢ مليون سنة . (المترجم) .

في عام ١٩٧٥م اكتشف مايقارب عشرين ألف لوح طيني تحوي كتابات مسمارية في مستودعات لقصر ضخيم بموقع تل مردوخ (إبلا القديمة) في سورية. فأحدث هذا الاكتشاف ضجة تقارن بتلك التي أحدثتها اكتشافات لاسكو وستون هو ومقبرة توت عنخ آمون. كان على رأس تلك الحفريات الأستاذ باولو ماتشاي Paolo Matthiae وأستاذ النقوش جيوفاني بتاتو Gio-vanni Pettinato، وكلاهما من روما، كانت تلك أحد المدينيات الضائعة وذات لغة غير معروفة. ولسرد مفصل لهذه المعثورات نحيل القارئ إلى حاييم بيرمانت Chaim Bermant ومشيل فايتزمان Michael Weitzman إبلا: لغز أثري (١٩٧٩) Ebla: An Archaeological Enigma، وكذلك باولو ماتشاي Paolo Matthiae إبلا (١٩٨٠) Ebla.

لم تكد اكتشافات إبلا تفارق الأخبار الرئيسية حتى جاءت أخبار اكتشاف مقبرة فليب الثاني المقدوني، والد الأسكندر الأكبر في فرجينا بشمال اليونان. تم هذا الاكتشاف على يد الأستاذ مالونيس أندرونيكوس Malonis An-dronikos أستاذ الآثار بجامعة سالونيك. كما عثر في المقبرة على أدوات جنائزية من الذهب والفضة والبرونز الشيء الذي يشير إلى أنها مقبرة ملكية. عثر كذلك على خمس رؤوس صغيرة من العاج تظهر شبيها بفليب والأسكندر، ومنها اتضح أصل تلك المقبرة.

وهكذا استمرت قائمة الاكتشافات الجديدة على نطاق عالمي واسع. فأعلن ر.س ماكنيش على الملأ اكتشافه لما يزيد على ستين موقعاً في بليز^(١) التي دفعت فيما يبدو بأصول المايا عدة آلاف من السنين إلى الوراء. لعله من

(١) بليز هي م اكانت تسمى سابقا بهندوراس البريطانية وتقع في أمريكا الوسطى. (المترجم).

المناسب أن أختتم هذا الفصل بأكثر الاكتشافات إثارة وهو جيش الدمى الخزفية الخاصة بالإمبراطور هوانغ تي، المدفونة على بعد ميل من قبر الإمبراطور في ماونت لي بالقرب من النهر الأصفر. يرجع تاريخ هذه المقبرة إلى القرن الثالث ق.م. وكان الهدف من هذه التماثيل هو حماية الإمبراطور في الحياة الآخرة. إن أي ادراك جديد بأهمية الصين سيكون مفتاح تطور لعلم الآثار في العقود القادمة^(١).

(١) شهد النصف الثاني من القرن العشرين نشاطات أثرية متعددة في شبه الجزيرة العربية التي بقيت لبعض الوقت خارج الخارطة الأثرية. ففي عام ١٩٥٠ بدأت بعثة أمريكية أعمالاً في اليمن تبتعتها بعثة دنماركية في الخليج، شجعت نتائج تلك الأعمال بعثات أثرية من دول أوربية أخرى للعمل في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة خلال العقدين السابع والثامن من هذا القرن، وقامت بعثات وطنية من وكالات الآثار والمتاحف والتراث والثقافة، إضافة إلى أقسام الآثار بدول مجلس التعاون الخليجي بأعمال أثرية شملت المسح والحفريات في بعض المناطق والمواقع. (المترجم).

الفصل السادس المداور الكبرى

إن الفصول الخمسة السابقة التي تمثل موضوع هذا الكتاب قد قدمت عرضاً وفق تسلسل زمني لتاريخ علم الآثار منذ بدايته وحتى نهاية الربع الثالث من القرن العشرين، وإن كان ذلك العرض موجزاً مختاراً. إنها قصة مملوءة بالإثارة والشخصيات المثيرة، قصة تركز على عزيمة أفراد من أمثال سليمان في طروادة وهوارد كارتير في وادي الملوك، قصة تحكي الهدف من الحفريات والعمل الميداني إلا أنها في الوقت نفسه تكشف عن طرق غريبة نتجت عنها اكتشافات أثرية مهمة وعن طريق المصادفة، مثل حجر رشيد، وأبواق جاليسوس والمقابر الميغاليثية في كوشريل في عام ١٦٨٥م، وفي نيو غرينج في عام ١٦٩٩م، وألواح تل العمارنة ومخطوطات البحر الميت وكهف لاسكو في عام ١٩٤٠م.

ولكي نختم هذا الكتاب دعنا نستعرض أهم عناصر هذه القصة ونقف عند المحاور الرئيسة في تاريخ علم الآثار التي نوجزها هنا:

١ - ميلاد علم الآثار :

تمثل هذه المرحلة بداية الوعي بحقيقة أن الأسطورة والخرافة والقصص الفولكلورية والإسرائيليات والكتاب الكلاسيكيين ليست مصادر موثوق بها للمعرفة بتاريخ البشرية. لقد كان الدكتور جونسون مخطئاً حين قال: «إننا يجب أن نعتمد على الكتاب الأقدمين، والحقيقة أن المخلفات الحضارية من قلاع

العصر الوسيط والقصور الرومانية إلى جانب الدوائر الحجرية والفؤوس اليدوية من العصر الحجري هي المصادر الحقيقية للمعرفة بتاريخ الانسان.

٢- القبول بالأدوات الحجرية :

كانت الخطوة التالية هي الاعتراف بحقيقة الأدوات الحجرية التي لم تصنعها ساحرات أو جنّيات وإنّما هي من صنع الانسان. كان ميكارتي يؤمن بذلك على الرغم من أن كتابه المعدنيات لم ينشر إلا في القرن الثامن عشر. وكذلك كان يرى سير وليام دقديل وسير روبرت سيبالد وأدوارد لويد ولافيتو، وماهوديل وغوجيه وبشوب لايتلتون، كما أن خطاب جون فريز الذي كتبه في عام ١٧٩٧ أوضح أنه لم يكن يشك في ذلك الأمر.

٣- النموذج التقني:

لقد سمح الاعتراف بحقيقة أن الأدوات الحجرية هي من صنع الانسان بوضع تصور لنموذج تقني للماضي. كان هذا واضحاً في كتابات غوجيه وفيديل سايمونسن، إلا أن هذا التصور كان قد ظهر لأول مرة للعمامة عند افتتاح متحف كوبنهاجن في عام ١٨١٩م الذي قام بتنظيمه ك.ج. طومسن على أساس نظام العصور الثلاثة.

٤- بداية الاكتشافات الأثرية :

برز علم الآثار إلى حيّز الوجود عندما بدأ الآثاريون والرحالة ومن بعدهم أشخاص متخصصون يسجلون المواقع الأثرية الشاخصة. من بين هؤلاء كان استوارت وريفت في أثينا وود ودوكنز في آسيا الصغرى والشرق الأدنى وكارستن نيبور في بيرسبولس وأوبري ولويد واستوكلي في بريطانيا. وكذلك أعمال مجموعة العلماء الفرنسيين التي توجت بكتاب وصف مصر.

٥- تطور علم الجيولوجيا الحديثة :

أوضح الاعتراف بالإستراتغرافيا الجيولوجية وقبول مبدأ نظرية الاتساق والجيولوجيا الحديثة كما جاءت في كتاب لايل مبادئ الجيولوجيا، أن الحضارة البشرية أقدم بكثير من «عالمنا المعاصر» ومن العام ٤٠٠٤ ق.م. إن علم الجيولوجيا لم يدفع بالحضارة البشرية إلى الوراء فحسب، بل ساعد الأثاريين على فهم التعاقب الطبقي.

٦- الدارونية والتطور العضوي :

صدر كتاب أصل الأنواع في عام ١٨٥٩م في السنة نفسها التي تم فيها الاعتراف بقدّم الحضارة البشرية بواسطة الجمعية الملكية والجمعية الأثرية. وقاد ذلك إلى توضيح أن الأدلة على قدم الإنسان سواء أكانت في شكل أدوات أم مخلفات عظمية ليست مقبولة فحسب بل هي أمر ضروري، كذلك أوضحت أن التطور العضوي ربما يشير إلى تطور حضاري.

٧- الحفريات :

بدأت الحفريات في المواقع الميغاليثية الدنماركية في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وفي القرن الثامن عشر أجريت حفريات في بومبي وفي هيركيولانوم وتوّجت بأعمال فيوريلي ومدرسة بومبي Scuola di Pompeii. ثم اتخذت الحفريات مساراً حذراً وصارماً عبر الأعمال التي قام بها رجال من أمثال كورتس وبت ريفرز وفلنדרز بيتري وويلر وشيفر.

٨- الإستراتغرافيا (التعاقب الطبقي):

كان إدراك وفهم الإستراتغرافيا الأثرية مسألة أساساً للحفريات الأثرية، لقد ورثت تلك عن الإستراتغرافيا الجيولوجية، إلا أنها اعتمدت على ملاحظات

مبكرة لفارسيه في الدنمارك وتوماس جفرسون في فرجينيا. أما إستراتغرافيا التلال فيرجع الفضل في فهمها إلى فلنדרز بيتري في تل الحسى وإلى شليمان في طروادة وإلى بمبلي وشمت في أناو.

٩- المدنيات المفقودة:

كشفت الأعمال الميدانية والحفريات عن مدنات لم تكن معروفة من المصادر المكتوبة، شملت هذه على سبيل المثال السومريين، في وادي الرافدين وهرابا في شبه القارة الهندية، وحضارة الشانج في الصين، وحضارة الأوليك في أمريكا الوسطى.

١٠- فك رموز الكتابات القديمة:

كان فك رموز بعض الكتابات القديمة التي لم تكن معروفة أحد أكثر الأمور إثارة في تاريخ علم الآثار، وقد شمل ذلك لغات مثل الرونية^(١) والأوغمية^(٢) في أوربا، والهيروغليفية المصرية التي قام شامبليون بفك رموزها كما فعل جروتفند وراولنسون الشيء نفسه بالكتابة المسمارية في وادي الرافدين وهرورني باللغة الحيثية، والشريطية «ب» بواسطة فنتريس وشادويك، ولا بد أن نذكر هنا بالطبع أبجدية رأس شمرا.

١١- التسلسل الزمني (الكرونولوجيا):

إن الأسس الراسخة لعلم الآثار تستند على التاريخ الدقيق، فقد طوّر كل من بيتري ومونتليوس وشايلد التاريخ بالمقابلة مع المصادر المكتوبة. أما الوسائل غير الآثارية فقد بدأت مع دوغير بحساب الرقائق ودوجلاس بحساب حلقات

(١) اللغة الرونية Rune لغة قديمة كتبت بأبجدية تيوتونية يرجع تاريخها للقرن التاسع الميلادي. (المترجم).

(٢) اللغة الأوغمية استعملها الأيرلنديون القدماء خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين. (المترجم).

الأشجار (التي سبق استعمالها بواسطة القس مناسيح كتلر وتوماس جفرسون في القرن الثامن عشر). أما تطور وسائل كربون - ١٤ والتوهج الحراري وأرقونات البوتاسيوم بعد الحرب العالمية الثانية فقد أحدث ثورة في دراسات ما قبل التاريخ.

١٢ - دراسة البيئة والمناخ:

إن الأعمال الأثرية التي أجريت في مستوطنات البحيرات السويسرية خلال الستينيات من القرن الماضي قد صاحبها دراسات لمخلفاتها النباتية والحيوانية، وكانت أناو هي المثل الرائد لدراسة البيئة المحيطة بالموقع، لقد طورت دراسات المناخ والبيئة بوصفها جزءاً لاغنى عنه للبحوث الأثرية بخاصة في إنجلترا (راجع أعمال زونر وجراهام كلارك وأريك هغز) وفي أماكن أخرى (كارل بتر Karlar Butser في كتابه المناخ والآثار، ١٩٦٤ Environment and Archaeology).

١٣ - المقاربات الإثنوغرافية:

كان اكتشاف مجتمعات بدائية تعيش في العالم الجديد وقت اكتشافه قد أقنع ميركاتي وآخرين بالتسليم بوجود عصر حجري، أدرك كل من بير لافتو وغوجيه قيمة المقاربات الإثنوغرافية وكذلك الحال بالنسبة للبيوك وبت ريفرز. جاء كتاب و.ج. سولاس الصيادون القدماء وأمثالهم المعاصرون (١٩١١) نموذجاً رائعاً لاستعمال الإثنوغرافيا على الرغم من إيمانه المفرط بالحتمية. ومنذ فترة وجيزة ظهر كتاب لكونل رنفرو ما قبل المدنية، استعان فيه بأسلوب حياة مجتمعات بولونيزيا مرشداً لفهم مجتمعات ما قبل التاريخ في أوروبا التي شيدت المباني الميغاليثية. وفي أمريكا توجد اليوم جماعات المايا والهنود الأمريكيين أمثلة حية للسجل الأثري، وربما كان هذا هو سبب إصرار الأثريين الأمريكيين

على أن علم الآثار إنما هو أنثروبولوجيا. إن حاصر هذه الجماعات وفترة ما قبل كولبس يتداخل نسيجهما بشكل لا يتكرر في أوروبا والشرق الأدنى. إلا أن الدراسات الأسكندنافية الرائدة للثقافة الشعبية في شمال أوروبا قدّمت أمثلة أنثوغرافية حية كانت ذات فائدة عظيمة لعلم الآثار.

١٤ - النموذج غير التقني :

كان هناك دائماً نموذج غير تقني للماضي يقوم على تعاليم المدرسة البدائية الأسكتلندية التي امتدت عبر مونبيدو إلى دانيال ولسون، وفي السويد طور سفين نلسون هذه الأفكار كما فعل تايلر في إنجلترا ولويس مورغن في أمريكا. وعبر أنجلز أخذت أفكار مورغن طريقها إلى ماركس وكانت هي الأساس للنظرة الماركسية لما قبل التاريخ.

١٥ - ما قبل التاريخ :

بدأت دراسة آثار ما قبل التاريخ في بريطانيا وفرنسا وسويسرا. أما دراسة فجر التاريخ فقد بدأت في آسيا الصغرى ومصر ووادي الرافدين، وبالتدريج انتشرت الأبحاث الأثرية لتغطي العالم من الصين إلى بيرو ومن الجبال الثلجية في غرينلاند إلى الشعاب المرجانية في الهند. وتوجد اليوم كما ذكرنا سابقاً، دولة بأكملها سميت باسم موقع أثري عظيم وهو زيمبابوي. في مناطق ثلاث هي: أمريكا وشبه القارة الهندية والصين أصبحت الدراسات الأثرية ذات أهمية قصوى للفهم العام لقدم الإنسان والحضارة، حيث نلاحظ أن تطور زراعة المحاصيل يبدو مستقلاً بذاته دون أي اتصال بمناطق أخرى.

١٦ - الابتكار المستقل مقابل الانتشار :

منذ أن اتخذت البحوث الأثرية شكلاً منظماً في بداية القرن التاسع عشر

كان العاملون فيها مهتمين بتفسير التغير الحضاري. ناقش العلماء الدنماركيون المهتمون الخلاف السرمدي بين وجهتي النظر المتعارضتين: الأولى القائلة بالابتكار المستقل والثانية القائلة بالانتشار. ونستطيع ملاحظة الإفراط في التمسك بنظرية الابتكار المستقل في النظرة الصارمة لدى الماركسيين للماضي. في المقابل نلاحظ تطرف نظرية الانتشار عند إليوت اسمث وبيري من رواد مدرسة مانشستر. كان موتليوس وشايلد قد بشرا بشكل معدل للانتشارية. واليوم تبدو ضرورة الاعتراف بدور التفسيرين في عملية التغير الحضاري. ليس من شك في أن الثورة الاقتصادية التي شهدتها العصر الحجري الحديث وثورة الاستيطان كما جاءتا على لسان شايلد قد وقعتا في أماكن عدة دون أن يكون هناك اتصال حضاري بينها.

١٧- الوسائل العلمية:

شهد القرن العشرون تطور الوسائل العلمية لمساعدة الأثاريين في الزيارات الاستطلاعية والمسح الأثاري والتنقيب والتعامل مع المادة الأثرية، وتلك قصة طويلة تبدأ بالجيوكرونولوجيا والتصوير الجوي وتنتهي بالإحصاء وتحليل الحاسب الآلي.

١٨- الآثار التاريخية :

بالقدر نفسه الذي انبثق فيه علم الآثار خلال القرن التاسع عشر وامتد لآثار ما قبل التاريخ، كذلك فإن دراسات ما قبل التاريخ وفجر التاريخ قد تطورت إلى دراسة الآثار التاريخية بدءاً بالأنجلو - سكسونية والميروفنجية^(١) والفايكنج ومن

(١) الميروفنجية Merovingians إشارة إلى مملكة الفرنجة التي حكمت بلاد الغال وألمانيا خلال الفترة من

٥٠٠ م إلى ٧٥١ م. (المترجم).

بعدها العصر الوسيط ومابعده في أوربا. لقد كانت آثار المستعمرات الأوربية في أمريكا الشمالية حقلاً مشمراً للغاية (انظر نويل هيوم Noel Hume الآثار التاريخية ١٩٦٨ Historical Archaeology).

١٩ - التقويم النقدي للدلائل الأثرية :

لقد أصبح هذا الأمر ذا أهمية متزايدة في تطور علم الآثار، وبهذا الفحص النقدي نستطيع تقويم قيمة الدليل الأثري ونواحي قصوره. وبهذا الفحص النقدي أيضاً نستطيع رؤيا الزيف ونتحقق من أصالة المعثورات من مولان كينيون وبلتداون إلى قلوزيل وروفيغناك. إن من واجب الآثاريين أن يطرحوا نتائج أعمالهم لا على زملائهم من العلماء فحسب بل وعلى عامة الناس أيضاً.

يشير تاريخ علم الآثار بوضوح بالغ إلى أنه من غير تعميم مدعوم للمعرفة الأثرية فإن المهتمين من العامة سيرحلون بعيداً إلى مايسمونه بعلم الآثار البديل ويسترخون هناك طويلاً وسط الأجنحة المتطرفة لشواطئ علم الآثار الموحشة. فمن الملكة مو عبر قارة أطلنطا إلى القبائل التائهة ورجال الفضاء الذين لاوجود لهم؛ كان هناك افتتان قوي وإحساس روحي بالميل إلى التفسير المبسط للماضي على ما في ذلك التفسير من أوهام، إن نجاح مدرسة مانشستر وضخامة مبيعات مؤلفات فون دانكين الزاخرة بالخيال ما هي إلا تحذيرات واضحة للأخطار المحدقة بعلم الآثار الجاد.

٢٠ - أخلاقيات علم الآثار :

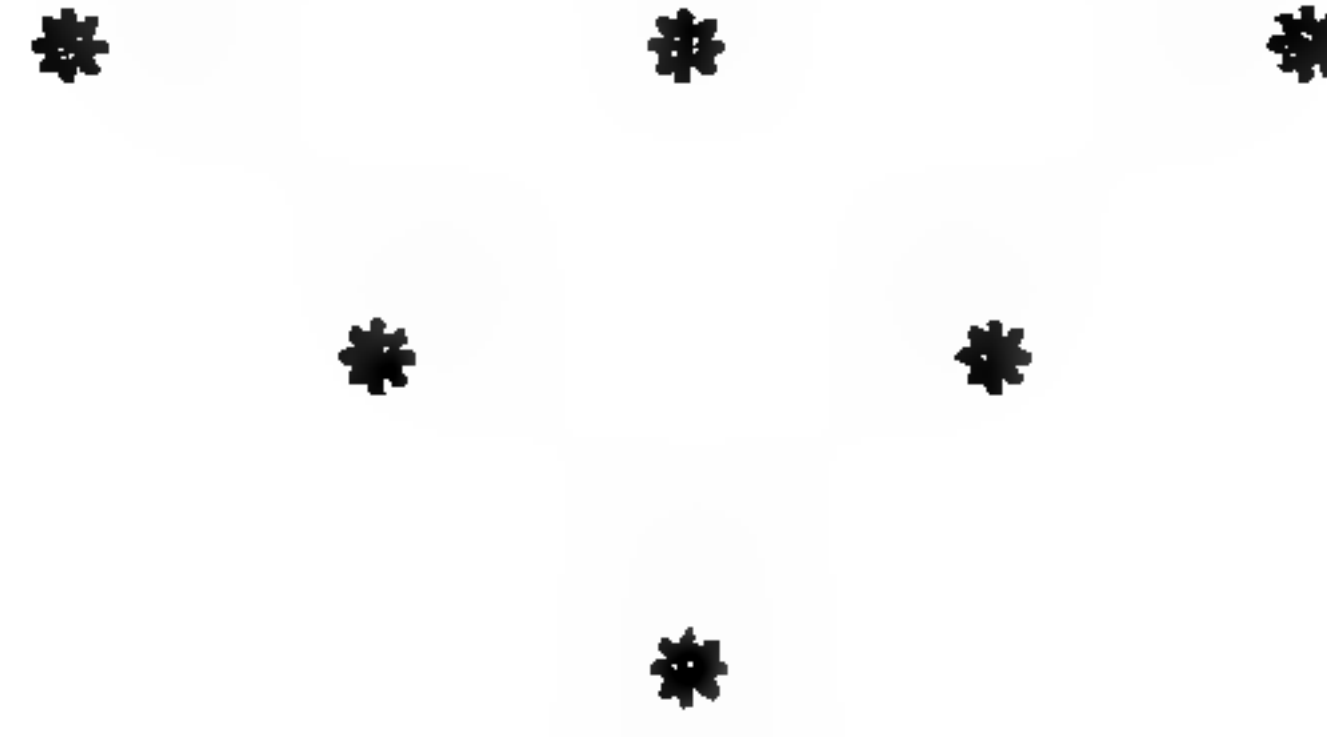
بدأ علم الآثار بالنهب؛ كان البحث عن القطع الفنية للمقتنيات الخاصة أو العامة. كان بلزوني ورأسام وماريت وليارد جميعهم مهتمين بالعثور على

الكنور. وبالتدريج تحول هذا إلى حفريات تتم بعناية، ثم إلى حفريات تجري وفق تخطيط مدروس يهدف لحل مشكلات معينة. في نهاية المطاف استطاعت الدراسات الأثرية الموجهة لحل مشكلات محددة أن تحل مكان نهب القبور. إلا أن الكثير من قضايا أخلاقيات المهنة لاتزال باقية: هل تُعاد المعثورات الأثرية إلى مواطنها الأصلية؟ كيف وبأي حالة من الصيانة والحفظ يجب أن تترك الحفريات؟ والمواقع المهمة، هل تنقب بكاملها أم تترك أجزاء منها للأجيال القادمة؟ وكذلك أمور أخرى مثل تعارض الأعمال الإنقاذية والأبحاث الأثرية وغيرها.

يبدو لي أن هذه هي المحاور العشرون التي تنبثق من تاريخ علم الآثار، وقد يبدو للبعض أن هناك أموراً أكثر أهمية، وقد يرى البعض أن قدم الحضارة البشرية هي الدرس الأكثر إثارة في تاريخ علم الآثار، فالمعلومات تأتينا تبعاً عن سلالات بشرية ضاربة في القدم في مواقع شرق إفريقية، والقليلون من الناس يتفقون اليوم مع سير توماس براون في أن: «الزمن مسألة يمكن للمرء إدراكها».

أما بالنسبة لي فإن إثارة علم الآثار لا تكمن في قدم الإنسان بل في تنوع إنجازاته القديمة وروعته، ليس مدهشاً أن يكون علم الآثار والعالم بأسره قد أمضيا فترة طويلة قبل أن يقبل الناس حقيقة فنون العصر الحجري القديم الأعلى؛ فتمثيل فينوس من براسمبوي وفنون الكهوف في نيو وألطميرا ولاسكو لاتزال مشار دهشة حتى الآن، على الرغم من وجود رسوماتها في كتب تاريخ الفن شأن رسومات الملكة نفرتيتي وفينوس دوميلو. هذه إلى جانب فنون السلت والأسكاثين والفايكنج التي تقع ضمن أكثر الأمور الناجمة عن دراسة تطور علم الآثار إثارة. كذلك الحال بالنسبة للإنجازات التقنية للإنسان

القديم بدءاً من الأهرامات والمعابد المالطية واستون هنج إلى تماثيل الأولميك ومدن الانكا. إنها انجازات بشرية لا تنتهي، والإنجاز هو جزء من إرثنا جميعاً، الشيء الذي يجعل من دراستنا لهذا الماضي أمراً مثيراً ووثيق الصلة بحاضرنا.



مراجع للاستزادة

The bibliography of my *A Hundred and Fifty Years of Archaeology* provides a long and comprehensive list of books. Here is a shorter list classified by subject.

1 General Histories

- BIBBY, GEOFFREY *The Testimony of the Spade*, New York 1956 and London 1957.
CERAM, C. W. *Gods, Graves and Scholars*, New York 1951 and London 1952.
——— *A Picture History of Archaeology*, London 1958.
DANIEL, G. E. *The Idea of Prehistory*, London and Baltimore 1962.
——— *A Hundred and Fifty Years of Archaeology*, London and Cambridge, Mass., 1973.
——— (ed.) *Towards a History of Archaeology*, London and New York 1981.
DAUX, GEORGES *Les étapes de l'archéologie*, Paris 1942.
EYDOUX, H.-P. *History of Archaeological Discoveries*, London 1966.
FAGAN, BRIAN M. *Quest for the Past: Great Discoveries in Archaeology*, Reading, Mass., and London 1978.
GARNETT, HENRY *Treasures of Yesterday*, London and New York 1964.

2 Archaeology in the Context of Anthropology

- BREW, J. O. (ed.) *One Hundred Years of Anthropology*, Cambridge, Mass., 1968.
CASSON, STANLEY *The Discovery of Man*, London and New York 1939.
HARRIS, MARVIN *The Rise of Anthropological Theory: a History of Theories of Culture*, London and New York 1968.
LOWIE, R. H. *The History of Ethnological Theory*, New York 1937 and London 1938.
PENNINGMAN, T. K. *A Hundred Years of Anthropology*, revised edition, London 1952.

3 Antiquaries and Antiquarian Thought

- KENDRICK, SIR THOMAS *The Druids*, London 1927.
——— *British Antiquity*, London 1950.
PIGGOTT, STUART *William Stukeley*, Oxford 1950.
——— *The Druids*, London and New York 1968.
——— *Ruins in a Landscape*, Edinburgh and New York 1976.

WALTERS, H. B. *The English Antiquaries of the Sixteenth, Seventeenth and Eighteenth Centuries*, London 1934.

4 Near Eastern and Egyptian Archaeology

BAKIE, J. *A Century of Excavation in the Land of the Pharaohs*, London and New York 1924.

BAINES, JOHN AND JAROMIR MALEK *Atlas of Ancient Egypt*, Oxford 1980.

BRATTON, F. GLADSTONE *A History of Egyptian Archaeology*, London 1967.

CAIGER, S. L. *Bible and Spade*, Oxford 1936.

FAGAN, BRIAN M. *The Rape of the Nile. Tomb Robbers, Tourists and Archaeologists in Egypt*, New York and London 1975.

— *Return to Babylon: Travellers, Archaeologists and Monuments in Mesopotamia*, New York 1979.

GREENER, L. *The Discovery of Egypt*, London and New York 1966.

LLOYD, SETON *Foundations in the Dust*, London 1947 (revised edition, London and New York 1980).

MACALISTER, R. A. S. *A Century of Excavation in Palestine*, London and New York 1925.

OATES, JOAN *Babylon*, London and New York 1979.

WORTHAM, J. D. *The Genesis of British Egyptology: 1829-1906*, Oklahoma 1971.

5 European Archaeology

EGGERS, J. H. *Einführung in die Vorgeschichte*, Munich 1959.

KLINDT-JENSEN, OLE *A History of Scandinavian Archaeology*, London 1975 and New York 1976.

LAMING-EMPERAIRE A. *Origines de l'archéologie préhistorique en France*, Paris 1964.

RODDEN, J. *A History of British Archaeology* (forthcoming).

6 American Archaeology

CERAM, C. W. *The First Americans: a Story of North American Archaeology*, New York 1971, London 1976.

FAGAN, BRIAN M. *Elusive Treasure*, New York 1977.

VON HAGEN, VICTOR *Search for the Maya, the Story of Stephenson and Catherwood*, New York 1975.

WILLEY, G. R. AND J. A. SABLOFF, *A History of American Archaeology*, London and San Francisco 1974 (second edition, San Francisco 1980).

7 Collections of Extracts from Writers

- CERAM, C. W. *The World of Archaeology*, London 1966 (US. *Hands on the Past*, New York 1966).
 DANIEL, G. E. *The Origins and Growth of Archaeology*, Harmondsworth and Baltimore 1967.
 HAWKES, JACQUETTA *The World of the Past*, London and New York 1963.
 HEIZER, R. F. *Man's Discovery of his Past: Literary Landmarks in Archaeology*, second edition, Englewood Cliffs, N. J. 1969.
 SILVERBERG, ROBERT *Great Adventures in Archaeology*, New York 1964 and London 1966.
 WAUCHOPE, ROBERT *They Found the Buried Cities: Exploration and Excavation in the American Tropics*, Chicago and London 1965.

8 Biographies of Archaeologists

- COLL, SONIA *Leakey's Luck*, London and New York 1975.
 DUFF, URSULA G. *The Life-work of Lord Avebury*, London 1924.
 POOLE, L. AND G. *One Passion, Two Loves: the Schliemanns of Troy*, New York 1966 and London 1967.
 RAWLINSON, G. *A Memoir of Major-General Sir H. C. Rawlinson*, London 1898.
 THOMPSON, M. W. *General Pitt-Rivers*, Bradford-on-Avon and New Jersey 1977.

9 Autobiographies of Archaeologists

- CRAWFORD, O. G. S. *Said and Done*, London and New York 1955.
 LAYARD, A. H. *Autobiography and Letters*, London and New York 1903.
 LEAKEY, L. S. B. *White African*, London 1937.
 MALLOWAN, SIR MAX *Mallowan's Memoirs*, London 1977.
 MURRAY, MARGARET *My First Hundred Years*, London 1963.
 PETRIE, SIR FLINDERS *Seventy Years in Archaeology*, London 1931 and New York 1932.
 THOMPSON, J. ERIC S. *Maya Archaeologist*, London and Oklahoma 1963.
 WHEELER, SIR MORTIMER *Still Digging*, London and New York 1955.
 WOOLLEY, SIR LEONARD *Spadework*, London and New York 1953.

الكشافات العامة

الكشافات العامة

أب البحوث الهيروغليفية للمايا ١٧٧	أبيفيل ٦٦-٦٨-٦٩
أب التاريخ ٢٥	الاتحاد السوفيتي ٢٣٠
أبحاث آثارية ١١٨	الأتراك ١١، ٨٢، ١٠٧، ٢٣٨
أبحاث فلسفية وآثارية تتعلق بتاريخ	الأتراك ١٤٥
الأمريكيين البدائيين ١١٣	اتزكابوتزالكو ٢٢٥
أبحاث في أمريكا ١١٣	أتكنسون ٢٦٣-٢٧٤
أبري ٣٢	أتن ١٩٦
إبراهيم: الاكتشافات الأخيرة وأصل	أتون ١٩٦
العبرانيين ٢٠٠	الآثار ٢٥٨
أبرغ ٢٠٤	آثار أثينا ٢٣
أبركرمي ٢٠٩	آثار الأسكانيين عند هيرودوت ١٠٨
أبصالا ٣٦-١٠٣	الآثار الآشورية ٩٨-١٥٥
أب علم الآثار الأمريكي ٥٢	الآثار الإغريقية ١٩٣
أبلارد تملنسون ١١٤	الآثار الأمريكية ٤٤-٤٨-١١٥
أبناء الشمس ١٩١	الآثار الأوربية ١٧١
ابن كارنرفون ١٩٨	آثار أيونيا ٢٣
أبو الآثار ٢٤	آثار الأيونيين ٢٢
أبواق جاليسوس ٢٧٩	الآثار البدائية في الدمارك ٧٦
أبو حبة ١٥٦	الآثار البريطانية ٣١-١٧١
أبو سمبل ٨٥	الآثار التاريخية ٢٨٦
أبو قير ٢٧	الآثار التحليلية ٢٤٩
أبيدوس ٨٩	آثار الجنوب الغربي اليوم ٢٢٦
أبيفانس ٨٣	الآثار الدارسة ٣٤

آثار الهند القديمة ٢٢٠	الآثار الرومانية ١٩٣
الآثار الهندية ٢١٨	الآثار السلتيّة ما قبل الطوفان ٦٦
آثار وحوليات ما قبل التاريخ في اسكتلندا ١١٧-٥٧	الآثار السويدية ١٣٤
آثار وركشير ٤٣	الآثار السويدية القوطية ٣٤
آثار الولايات المتحدة ١١٤	الآثار الشرقية ١٩٣
الآثار يون ٥٦-٨١-١٠٧-١٤٢	الآثار الطروادية ١٦١
الآثار يون الأمريكيون ٢٢٧-٢٤٧-٢٨٣	آثار العالم ٢٥٨
الآثار يون البريطانيين ٢١١	الآثار العامة ٢٥٨
آثار روما في الصحراء السورية ٢١٣	الآثار الغارقة ٢٤٠
الإثنوغرافية ١٧٢-١٧٦-٢٤٢	الآثار الغارقة وتطورها خلال ستين عاماً في البحر الأبيض المتوسط ٢٤٠
اثنيل مارش ١١٥	الآثار الفرنسية ١٧١
أثينا ٢٣-١٠١-١٠٢-١٠٤-١٥١-	الآثار في الولايات المتحدة ١٧٥
١٥٩-١٦٣-٢٧٥-٢٨٠	الآثار القديمة لوادي المسيسيبي ١١٤
أثيوبيا ١٣٠	آثار كريت ٢٠٨
الأجاهيوك ٢٠٥	آثار كورنول ٢٨
اجن ١٢٨	الآثار الكلاسيكية ١٥٨
الاحتلال النمساوي ٢٤	آثار ما بين النهرين ١١٥-١٥٤
أحداث في رحلة في أمريكا الوسطى ١١٧	الآثار المصرية ٨٩-٩٠-١٥٤-١٩٣
أحداث في رحلة في بلاد العرب البترائية ١١٧	الآثار المعاصرة ٢٥٨
أحداث في رحلة في يوكاتان ١١٧	آثار المكسيك ١٧٧-١٧٨
أحداث في رحلة في يوكاتان ١١٧	آثار منطقة كيمبردج ٢١١-٢١٤
أحداث في رحلة في يوكاتان ١١٧	الآثار الميغاليثية ٢٢٠
أحداث في رحلة في يوكاتان ١١٧	آثار نينوى ٩٣-٩٤
أخبار لندن المصورة ٢٢٠	آثار الهند ٢٢٠

أخذود أولدفاي ٢٦٧	آرثر إيفانز ١٣٧-١٤٥-١٦٤-١٦٥-١٨١-
أخنتون ١٩٦-٢٦٠	١٨٨-٢٠٧-٢١٦-٢٦٨
الأخيون ١٧٠	أرجونات ٢٣٧
أدرين ١٢٦	أرجونات البوتاس ٢٣٧
إدغار هيويت ٢٢٥-٢٢٨	أرخ ٩٧
الإدغفرين ٢٦٧	أرخومينوس ١٦٠-١٦١
إدوارد زيلر ١٧٧	أرخيولوجيا ١٦
أدفو ٨٩	أردو القديمة ٩٧
آدم سدويك ٦٢	الأرديشي ١٢٤
الأدوات الإسكندنافية ١٣٥	أرسطو ٢١
أدوات وأسلحة ١٩٥	أرسلان ٨٠
إدوار ١٥١	أرش ٧٩
إدوار بيت ١٢٤	أركيولوجيا ١٦-٤٨-٥٦-١٤١-١٨٥--
إدوارد تايلر ١٣٨	آرنست ١٧٧
إدوارد دانيال كلارك ١٠٢	آرنست بوشر ٢٠٨
إدوارد كنتج فيمونت كنجسبرة ١٧٨	آرنست دو سارويك ١٥٦
إدوارد لخويد ٤٤	آرنست قاردنر ١٥١
إدوارد لويد ٣٠-٥٣-٢٨٠	آرنقوند ٢٧١
إدوارد هنكس ١٠٠	آرنولد براكمان ١٩٨
إدوار لارتيه ٧٩	آرني ماغنسون ٣٥
أدولف باستيان ١٤٤	آرمس ١٣-٣٤-٢٦٢
الآرامية ١٧٩	أريحة ٢٠٧-٢٦٧
أريشية ٢٠١	أريدو ١٠٠-٢٠٠
أربعمئة قرن من فن الكهوف ٢٠٩	أريفنغ رواس ٢٢٦
ارتحال الحضارة المبكرة ١٩٠	أريكاميدو ٢١٨

إريك بونتويدان ٣٦	استانويك ٢١٩
إريك بيتر ١٤	استراتا اسمث ٦٤
إريك فون دنيكن ٢٥٢-٢٥٩	الإستراتغرافيا الآثارية ٢٢٤-٢٢٧
إريك هيغز ٢١٥-٢٨٣	إستراتغرافيا التلال ٢٨٢
إريل أرونديل ٥٢	الإستراتغرافيا الجيولوجية ٢٨١
الآريون ١٤٧-١٤٨-١٩٣-٢٣١	الإستراتغرافيا الطبيعية ٢٢٨
أرييج ٧٩	الإستراتغرافيا القياسية ٢٢٨
الأولية ١٨٧	أستراليا ٦٩-١٥٠-٢٧٤
الأولية مشروحة ومصورة في أشكال ٣٧	الإسترااند ٥٦
الأرمان الغابرة ١١٠	استطلاعات عن تنظيم حدود الصحراء في
أرمان ما قبل التاريخ ٧٨	الفترة الرومانية ٢٣٩
أرمان ما قبل التاريخ في السويد ١٣٣	استكشافات آثارية في شمال غرب الهند
أرمير ٢٧١	وجنوب شرق إيران ٢٠٢
أريليه ١٣٧	استكشافات في تركستان ١٨٩
أسار حدون ٩٤	استكهولم ٣٦-١٣٢
أساسات في الغبار ١٥٨	استوى ٢٦٨
أساسيات علم الآثار ٢١٥	استوكلي ٢٨٠
الأسبان ٤٣-٢٢٦-٢٦٤	أستون هنج ٢٩-٣٢-١٥١-١٨٥-٢٤٧-
أسبانيا ٨٠-٨٣-١١١-١١٦-١٨٣	٢٧٤
إسبندن ١٧٧	استيفز ١١٦
إسبورن ١٩٠	استيوارت ٢٣-٢٨٠
آسبينا ٢٧٠	استيوارت بيغوت ٢١٧-٢٥٩-٢٦١
أستار كار ٢٦٥	إسحق دولابيرير ٤٣
استانفورد شير ٢٥	أسرات مصرية ١٥٤
استانلي كاسو ١٦٢	أسس ما قبل التاريخ في أوربا ٢٣١

إشبيليا ٢٧١	اسشر ٣٩-٤٨
اشتغارت ٦٠	أسفار في مصر العليا والسفلى أثناء غزوات
الاشتراكية ٢٣٠	جنرال بونايرت ٨٣
أشجار الصنوبر ٢٣٦	الإسكاثيون ١١-٤٥-١٠٨-٢٦٤-٢٨٧
اشكباد ١٦٧	أسكتلندا ٣٠-١٥٠
أشور ٢٨-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-١٥٦-١٥٧-	أسكتلندا قبل الأسكتلنديين ٢١٠
٢٢١-١٦٧-١٥٨	اسكس ١٠٣
أشور ناصربال ٩٤	الإسكندر الأكبر ٢٧٧
الاشوريون ١٥٨	الإسكندر ديفدسون ١١٨
أصل الآريين: سجل لأجناس وحضارات	الإسكندر دي كسنولا ١٦٤
ما قبل التاريخ في أوربا ١٤٨	الإسكندر كليز ٢١٣
أصل الإنسان ١٢٠	الإسكندر كتنغهام ١١٩
أصل الأنواع ١٣-٦٥-١٢٠-٢٨١	الإسكندر كونزه ١٥٨
أصل الحضارة ١٩٠	الإسكندرية ٢٧
أصل السحر والدين ١٩١	إسكندنافيا ٧٠-١٣٧-١٣٨-١٤١-١٤٢-
أصل العائلة ١٤٠	٢٥١-١٤٣
أصل القوانين والآداب والعلوم وتطورها	الإسكندنافيون ٧٣-١٤٥-٢١١
وسط الشعوب الأقدم عهداً ٤٥	أسكوير ١١٣
أصل اللغات وتطورها ٣٣	اسم ٩٥-١١٤-١٥٥-١٦٤
أصول البشر: موجز ما قبل التاريخ ١٩٠	اسم وودورد ٢٦٨
الأصول الغالية الخاصة بأقدم شعوب أوربا	أسوان ٢٥-٨٦-٢٧١
٣٨	آسيا ٤٤-١١٨-١٣٠-١٤٠-١٤٨-١٩٠-
أصول ونشأة علم الآثار ١٢	٢١٠-٢٢٢-٢٣٠-٢٥٤-٢٥٥-٢٧٤
أطر تاريخ الإنسان القديم ٢٣٧	آسيا الصغرى ٢٢-٢٣-١٧٠-٢٨٠-٢٨٤
أطلال سوسة ١٦٧	آسيا الموغلة ٢٠٢
	الآسيويون ١١٥

إقليم التاي ٢٦٤	أطلال على السطح ٢٦١
إقليم خوزستان ١٦٧	أطلانطا ١٧٩-١٨٠-٢٥١-٢٥٩
أكاد ١٨	أطلانطا: عالم ما قبل الطوفان في عام ١٨٨٢ ١٨٠
أكاديمية دي سامنتو ٥٥	الأطلس الدنماركي ٣٧
أكاديمية دي لينشي ٥٥	أصح حوتب ٩٠
أكاديمية سكرتوريم ٥٥	الأعمار القصيرة ٣١
أكاديمية العلوم ٥٥-٢٢٣	الأعياد الدنماركية ٣٥
أكاديمية العلوم الفرنسية ١٢٥	أخامنون ١٦٠-١٦١
أكاديمية غوتنغن ٩٩	الإغريق ١٩-٢٣-٢٥-٧٢-٨٢-١٤٨-
الأكاديمية الملكية للكتابات والآداب ٨٥	١٥٢-١٥٩-١٦٩-٢٠٨-٢٣٠-٢٥١
اكتشاف حضارة ما قبل الأسرات في مصر ١٥١	الإغريقية ٨٣-١٤٨
اكتشافات في خرائب نينوى وبابل ٩٥	الإغريقية الرومانية ٢١٨
أكربلاد ٨٤	أغريكولا ٢١
الأكروبول ١٠١	أغناطيوس دولي ١٨٠
أكروتيري ٢٧٥	الأفار ١٦٢
أكسفورد ٢٦-٣٠-٤٠-٥٩-١١٢-١٧٢-	أفري ٧٨
٢٣٧	أفرندين ٢٣٧
أكسفورد الإنجليزي ١٣٢	أفريز ١٦٩
الإكوادور ١٧٦-٢٥٤-٢٦٤	أفريز البارثون ١٠٤
ألف تمثال لبوذا ٢٠٢	إفريقية ٨٨-١٨٨-١٨٩-١٩٠-٢٣٩-
ألف ميل على النيل ١٤٩	٢٥٣-٢٥٥-٢٧٢-٢٧٤-٢٧٦-٢٨٧
ألفونس شتوبل ١٧٦	الأفيال الأنثولوجيون ١٩٠
الألمان ٢١-٢٣-١٣٤-١٤٩-١٥٢-١٥٨-	أقسام العصر الحجري القديم الأعلى
١٥٩-١٦٣-١٩٤-٢٠١	ودالاتها ١٢٩

ألمانيا ٢١-٤٦-٨٤-١٠١-١٨٩-١٩٣-	أمنحوتب الثالث ٢٥
١٩٤-٢٠٨-٢١٢-٢٣٢	أمنحوتب الرابع ١٩٦
ألن راون ١٣٢	أمون - رع ١٩٦
الألواح المسمارية ٩٥	أمي بوي ٦٠
إليزابيث ٥٦	أميا ٦٧-٦٨
إليزابيث الأولى ٥٥	أمير موناكو ١٢٧
إليوت اسمث ١٨٠-١٩٠-١٩٢-٢٥٢-	إميل ريفير ١٢٥
٢٥٤-٢٥٦-٢٦٠-٢٦٨-٢٨٥-١٩١	إميل غاينون ٢٦١
إمبراطورية الحثيين ١٧٠	إميل كارتيلاك ١٢٤
أمري ٢٧٠	إميليا إدوارو ١٤٩
أمريكا ٤١-٤٢-٤٤-١٣٩-١٦٠-١٧٥-	الأناضول ١٦٧-٢٠١-٢٠٣-٢٠٤-
١٧٦-١٨٢-١٨٩-٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦-	٢٠٥-٢١١
٢٢٨-٢٤٢-٢٤٣-٢٤٥-٢٤٧-٢٥٣-	الأناضول عبر القرون : اكتشافات تل
٢٥٤-٢٥٩-٢٦٦-٢٧٤-٢٨٣-٢٨٤	عليشار ٢٠٥
أمريكا الجنوبية ١٧٦-٢٤٥	أنساو ١٦٧-١٦٨-١٨١-١٨٢-١٨٨-
أمريكا الشمالية ٤٨-١١٦-١١٧-١٧٨-	٢٠١-٢٢٤-٢٨٢-٢٨٣
١٨٠-٢٢٥-٢٤٧-٢٨٦	انتشار الحضارة ١٩٠
أمريكا قبل الميلاد ٢٥٢	الأنثروبولوجيا ١١٨-١٣٨-١٤٤-١٩٣-
أمريكا الوسطى ١١٦-١١٧-١٧٥-١٧٧-	٢٤٢
١٧٨-١٨٠-٢٢٥-٢٤٥-٢٤٧-٢٧٧-	الأنثروبولوجيا الثقافية ١٩١
٢٨٢	الأنثروبولوجيا مقدمة في دراسة الإنسان
الأمريكان ١٤٩	١٣٨
الأمريكيون ٣١-٤٥-٤٨-١١٥-١٥٩	الأنثروبولوجية الجغرافية ١٨٩
الأمريكيون الأوائل ٢٤٦	الأنثروبولوجيون ١٨٩
أمستردام ١٧-٤٣-٥٤	إنجلترا ٢٠-٢٢-٢٥-٣٠-٤٦-٥٢-٥٥-

أنقرة ١٦٩	٦٢-٦٤-٦٧-٦٨-٧١-٧٨-٨٤-٨٦-٨٧-
الأنكا ٢٨٨	١٠١-١١١-١١٢-١٤٦-١٧٢-١٧٣-١٩٧-
ان - تيغالدي - ننا ١٨	٢١٩-٢٢٤-٢٤٢-٢٦٨-٢٨٣-٢٨٤
أنبوليشيكيا ١٣٤	١٤٠-١٤٤-٢٥٥-٢٨٤
الأهرامات ٢٨٧-٢٥	٢٦٥
أهرامات المايا ٢٦٦	٢٦٢
الأهرامات المصرية ٢٧٣-٢٣٦	٢٣٩-٩٦-٨٣-٢٣
الاهياويون ١٧٠	١٧٩
أواسط آسيا ٢٠٢	٤٧
أويرت ١٥٧-١٥٦	٢٥٤
أوبرلي ٢٨٠	٢٦٨
أوبرماير ١٣٧	٢٦٢-٢٦٣
أوبرمايلن ٧٧-٧٦	١٩٠
أوبيت ١٠٠	٢٥٨
أوير ٩٨	٢٧٦
أوت ٨١-٨٠	٢٧٤-٢٢٢
أوت غارون ٧٩	١١٨
أوتو تورل ١٣٢	١٢١-٦٩-٦٠
أوتو ماغنس فون اشتكلبرج ١٠٤	٢١٤
أوتوتشله ١٣٥	١٢
أور ١٨-٣٧-٩٧-١٠٠-١٦٧-٢٠٠-	١٠٦
أور السومريون ٢٠٠	٤٥
أور الكلدانية ٢٠٠	٢١٢
الأورالية ١٣٧	١٠٧
أوريا ٢١-٢٨-٤٦-٦٢-٦٩-٩٨-١٠١-	

الأوغمية ٢٨٢	١٠٣-١٠٧-١١٠-١٣٠-١٣٣-١٣٥-
أوفيرنييه ٧٧	١٣٦-١٤١-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٦٧-
أوكلي ٢٦٨-١٨٣	١٧١-١٨١-١٨٧-١٩٠-١٩٤-٢٠٤-
أول ١٧٦	٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢٣١-٢٣٢-٢٣٣-
أولاف غايرشتادرالف ١٧٤	٢٣٥-٢٥٩-٢٧٤-٢٨٢-٢٨٢-٢٨٣-
أولدفاي ٢٧٢	٢٨٤-٢٨٦
أولس فورمس ٣٤	أوربا البربرية ١٠٧-١٤٢-١٧١-١٨٨-
أولف فيريليس ٣٦	٢١٠
أولف فيريلوس ١٠٣	أوربا القديمة ٢٠٩
أول كلنت جنسن ١٣	أوربا الكلاسيكية البربرية ٢٠٧
الأولية ٢٥٦	أوربا ما قبل التاريخ ١٨١-٢٦٧
الأوليك ٢٨٧-٢٨٢-٢٤٥	الأوريون ٢٦-٢٨-١١٨-١٤٥-٢٤٣
أولي فورم ٣٤	الأوريون المحدثون ١١٣
أوليمبيا ١٦٣-١٥٩	أورسي ١٣٤
أوهايو ١٤٩-١١٦-١١٤-١١٣	أورفيتو ١٠٧
أوهنفالش ١٦٤	أورك ٢٠١
إيان فرنجتون ٢٤٦	أورل اشتاين ٢٠٢
الأيريون ١٤٧	أورينياك ٧٩-١٢١-١٢٨
أيتاكا ١٦٠	أوزيمانديس ٢٦
أيتكا والبلونيز وطروادة ١٦٠	أوسبرج ١٧٤
إيجه ١٦٤	أوستن ٢٠٥
إيجي ١٥٢-١٥١	أوستن هنري ليارد ٩٣
إيجية ٢٠٧-١٨٨	أوسكار مونتليوس ١٣٣
ايجينا ١٠٤	أوسلو ١٧٤
إيران ٢٧٤-٢٠٢-٢٠١-١٦٧	أوغستي ماريت ٨٨

أيرل أسوانسون ٢٤٦	باراديز ٢٣٩
إيرلندا ٣٠-١٠٨-١١٠-١٤٨-٢٣٩	بارتون ٥٠
الإيرلنديون ٣١-٢٥١	البارثون ١٠١
أيرنست كورتيس ١٥٩	بارو ٢٠١
إيريك هيغز ٢٣٧	بارون دينون ٢٧
إيسايا توماس ١١٢	باريت ٢٢٠
إيطاليا ٢٢-١٠١-١٠٥-١١١-١٣٥	باريس ١٣-٢٣-٢٧-٤٣-٥٤-٥٥-٧٠
١٣٧-١٤١-١٥٨-٢٦٢-٢٧٠	٨٥-٩٣-١٠٣-١١٦-١٢١-١٢٢-١٢٧
الإيطاليون ٢٢-٢٣-٤٣-١٠٦-١٣٤	١٨٤-٢٢٠-٢٧٠
١٣٥-٢٠٧	بازيريك ٢٦٤
إيفا ١١	البازيلكا ٢٥
إيفان س. إيفانوف ٢٧٦	باساي ١٠٤
أيلسفورد ١٣٨	باستيان ١٤٤
أينانج ٢٢٣	باص ٢٤٠
الايوانثرويس داوسوني ٢٦٨	باغات كاماك ١٧٦
الأيوليشية ١٣٠	باغاكاماك ١٧٦
أيونسرويس داوسني ١٨٤	بافاريا ١٠٤
البابا بيوس الخامس ٤٢	بافلاند ١٢٨
الباب العالي ٩٤	الباكستان ٢١٨-٢٢٠
بابل ١١-١٨-٢٨-٩٢-٩٥-٩٨-١٥٦	بالميرا ٢٣
١٥٧-١٥٨-١٦٣	بالنك ١١٦
البابليون ١٧٠	بالنكو ٢٦٥-٢٦٦
بابنغتون ١١٩	باليونتولوجيا ١٨٤
باتريك وكر ١١٦	بامبورج ٤٦
بادوة ٨٦	بانكروفت ١٧٩

بحيرة زيوريخ ٧٦-٧٧	باوسي روسي ١٢٨
بحيرة فارنا ٢٧٦	باولو ماتثاي ٢٧٧
بحيرة كونستانس ٧٧	بايرون ٩٢
بحيرة ناصر ٢٧١	البايولوجيا في أمريكا الوسطى ١٧٥
بحيرة نويشاتل ٧٧-١٠٩	ببروتس ابن اينياس ٢٠
بحيرة نيمي ٢٤٠	بت - ريفرز ١٤٥-١٧١-١٧٣-١٧٤
بختنصر ١٨	٢١٦-٢١٧-٢٢٤-٢٤٢-٢٥٧-٢٨١
البداري ١٩٩	٢٨٣
بداية الفن في بلاد الإغريق ١٦٥	البراء ٤٨
البرابرة ٢١-٦٩-١٤٤	بتراتيل ٢٢٠
برادفورد ٢٣٩	بتمان ١٧٨
البرازيل ٢٥٣	بتولوز ١٢٧
براسمبوي ١٢٧-٢٨٧	البحث عن الكهوف ٨١
براسير دو بوريورغ ١٧٦-١٧٩-١٨٠	البحث عن كنوز توت عنخ أمون ١٩٨
براغ ٢٣	البحث عن الماضي ٩٥-٢٧٢
البرايشونيون ١٤٧	البحر الأبيض المتوسط ١٠٧-٢٣٩-٢٤٠
براين فوست ٧٠	البحر الأسود ٢٧٦
براين فيغان ٤٩-٩٥-٢٧٢-٢٧٤	بحر إيجه ١٥٩-١٨٨-٢٣٢
براين هوب تايلر ٢٦٦	بحر قزوين ١٦٧-٢٠١
البربرية ١٣٨	البحر المتوسط ٢١
البرتغال ٨٣	البحر الميت ٢٦٤
البرتقاليون ٤٣	البحيرات السويسرية ٢٤٣-٢٨٣
برخت ٢٠٦	بحيرة بفايكن ٧٧
برسوتش ٦٨-٧٠	بحيرة تركنا ٢٧٦
برسيبولس ٢٨	بحيرة جينيف ٧٧

١٥٠-٢١١-٢١٣-٢١٥-٢١٦-٢١٧-	برغندي ١١١
٢١٩-٢٢٧-٢٢٩-٢٣٠-٢٣٢-٢٣٩-	بركان سانتوريني وتدمير كريت المينويه
٢٤٠-٢٤٩-٢٥١-٢٥٨-٢٨٠-٢٨٤	٢٧٥
بريطانيا القديمة: بريطانيا السلتيه ١٤٧	بركان فيسوف ٢٤
بريطانية والبحار البريطانية ٢١٦	بركت ١٩٠-٢٤٢
البريطانيون ٢١-٣١-٤٣-٤٦-٥٩-٩٦-	بركسام ٦٧-٦٨
١٥٩-٢٠١-٢٠٧	بركنر ١٨١
بريغور ٨٠	برلين ١٦٨-١٩٣
بري قل ٢٥٢	برناردي ٣٧
برينكل ٨٠	برنتون ١٩٩
بسيوس ٨٨	برنوبر ١٢٥
بش ميرل ٢٠٩	البرنيز ٧٩
بشوب لايتلتون ٢٨٠	البرنيس ١٢٨
البصرة ٩٧-١٥٦	بروثويل ٢٤١
بطرس الأكبر ٥٤	برونيبار ٦٢
بطرسبرج ٥٤	بروونشتد ١٠٤
بطليموس ٨٤	بروي ٧٩-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٣٧-
البعثة الآثارية الفرنسية ١٤٩	١٨٧-١٩١-٢٠٨-٢٤٢-٢٧٠
البعثة البريطانية الأمريكية ٢٠٠	بري ١٩٠-٢٨٥
البعثة العلمية إلى موري ١٠٤	بريان فوست ١١١
بعلبك ٢٣	بريتاني ١١-٣٧-٢٣٥-٢٧٣
بغداد ٩١-٩٢	بريتون ١٢١
بغروت ١٢٩	بريدوود ٢٥٠
بغوريني ١٣٤	بريطانيا ٢٠-٢٥-٢٨-٣٠-٤٧-٧٨-٩٤-
بغوين ١٢٨	١٠١-١٠٢-١١٧-١٣٢-١٤١-١٤٧-

بقايا تل العمرانية ١٥١	بلوخستان ٢٢١
بقايا مملكة السكسون الوثنية ١١٢	بليز ٢٧٧-٢٢٨-١١٧
بكرلي ١٧٣	بليني الأصغر ٢٤
بكلاند ١٢٨-٦٣-٦١-٥٩	بليني الكبير ٢٥
بكتز فارنا ٢٧٦	بمبلي ١٦٧-١٦٨-١٨١-١٨٢-١٨٨-
بلاد الإغريق ٢٢-١٠١-١٠٢-١٠٤-	٢٨٢-٢٠١
١٦٣-١٦٤-٢٢١-٢٢٤	بناء الحضارة ١٩٢
بلاد إنسان تولوند ٢٦٢	بنجامين فرانكلين ٤٩
بلاد الرافدين ١٩٠	بنجلي ٦٧
بلاد الرومان ١٠١	بنجوين ١٩١
بلاد فارس ٢١٢	بندلبري ٢٠٨-١٩٦
بلاد اليونان ٢٤٣	بنرجي ٢٢١
بلاس ٩٨-٩٧	بنغلي ٧٨
بلت ١٨١	بنفورد ٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩
بلتداون ١٨٣-١٨٤-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-	بنك ١٨١
٢٨٦	بنو إسرائيل ٤٨-١٧٩-٢٥١-٢٥٩
بلجيكا ٥٨-٦٠-٧٨-٨٠-٢٢٩	بنين ٨٨
بلجين ٢٠٤	بواز ٢٤٨-١٨٩
بلزوني ٢٨٦-١٥١-٨٨-٨٧	بوب شامبان ٢٤٩
بلسر الأول ١٠٠	بوتا ٩٨-٩٦
بلسكي ١٣٥	البوتاس ٢٣٧
بلغاريا ٢٧٦	البورال ١٨١
بلمي ٢٦٠	البورال الجزئي ١٨١
البلوبنيز ١٠٤	بورديو ٤٣
بلوت ٤٦	بوسانيس ٢٥

بوسطن ١١٢-١٨٥	بوهيميا ١١٢
بوسيلتين ٢١٠	بوهين ٢٧٠-٢٧١
بوشلر ٢٧	بويلو ٢٢٨
بوشنيل ٢٤٦	بويد دوكتز ٨١
بوشيه دوبرت ٧٨	بيازي سمث ١٥٠
البوصة البريطانية ١٥٠	بيان بمحتويات المدافن ١١١
البوصة الهرمية ١٥٠	بيت ١٩٦
بوغازكوي ١٦٩-١٧٠-٢٠٣	بيتر سروكومورتن ٢٤٠
البول ٥٦	بيتر مارتير ٤٢
بولاق ٩١-١٢٢	بيتر مارزدين ٢٧٠
بول إميل بوتا ٩٢	بيترز ١٥٧
بول جاكوبثال ٢٦٢	بيترى ٨٩-١٤١-١٥٠-١٥١-١٥٢-
بول جونستون ٢٥٨	١٥٣-١٥٤-١٩٥-١٩٨-١٩٩-٢١٦-
بول دويرو ١٠٨	٢٢٤-٢٨٢
بولون ٨٨	بيد ٢٦٧
بولونا ١١١	بيدوك ٢٣٨
بولونيزيا ٢٦٤-٢٧٤-٢٨٣	بير لافيتو ٤٥-٢٨٣
البولونيزيون وغزو الإنسان للمحيط الهادي ٢٥٥	بيرتميرو ١٢٥
بوليفيا ١٧٦	بيرتون ١٧٠
بومبي ٢٤-١٠٥-١٠٦-١٥٧-٢٨١	بيرجن ٤٠
بونامباك ٢٦٤	بيرسبولس ٩٢-٩٩-٢٨٠
بونتويدان ٣٦	بيرسون ٢٧١
بوندشيرى ٢١٨	بيرسي نيوبري ١٩٧
بوهان فون ايكارت ٢١٥	بيرغامون ٢٠٨
	بيرغسو ١٢٨

تاريخ العمارة ١١٩	بيرغمايستر ١٠٩
تاريخ الفنون ٢٣	بيركلي ٢٣٧
التاريخ الكنسي ٢٦٧	البيرو ١١-٤٤-١٧٠-١٧٥-١٧٦-٢٤٥-
تاريخ الكون ١٦٠	٢٨٤-٢٥٦-٢٤٧
تاريخ المدافن البريطانية ٧١	بيروني ١٢٦-١٢٧
التاريخ المدني والديني لولاية أفرو ٣٧	بيري ٢٥٤
تاريخ ملوك بريطانيا ٢٠	بيزلي ٢٠٨-٢١٢
تاريخ النظرية الإثنولوجية ٢٠-١٤٥-١٩١	بيغوت ٢٧٤
تاريخ الهند ٢٢٠	بيفلاند ٦١
تاريخ ولتشير القديمة ٧١	بيكادلي ٨٧-١٥١
تاكسيلا ٢١٨	بيكوس ٢٢٥
تاكيتس ٢١-٢٤	بيلوود ٢٥٤
تامبا ٤٩	بيير - رونلاد غيو ٢٧٣
تاموليبياس ٤٤	بيير بوادبار ٢١٣
تايلاند ٢٥٤	تاردنوا ١٣١
تايلر ٩٧-١٢٢-١٣٨-١٤٥-١٥٦-٢١٥-	التاردينوسية ١٣٧-١٨٧
٢٤٣-٢٤٧-٢٥٠-٢٤٨	تاركوينيا ٢٣٨
تبة حصار ٢٠١	تاريخ أشور بنيبال مترجم من المخطوطات
تبة سيالك ٢٠١	المسمارية ١٥٥
تبة غيان ٢٠١	تاريخ البشرية ١٩٠
تبة قاورا ٢٠١	تاريخ الدغمارك والنرويج وهولشتاين ٧٣
التحف الأتروسكية والإغريقية والرومانية	التاريخ الطبيعي ٤٢
٢٥	التاريخ الطبيعي لأكسفورد شير ٣٠
التحليل الإستراتيجي ١٠٦	التاريخ الطبيعي لستافورد شير ٣٠
التحليل الطيفي ٢٣٨	تاريخ علم الآثار الأمريكي ٥٢-٢٢٤-
	٢٢٨-٢٤٦

- تعليقات على حرب الغال ٢١
تقارير مبدئية عن الحفريات في إنيانج ٢٢٣
تقرير الجمعية الأمريكية الإثنوغرافية عن
استكشافات التلال ١٧٨
تقرير مبسط عن اكتشافات نينوى ٩٥
تقرير مفصل لاكتشافات حديثة لمخلفات
حيوانية ٤٦
التقليد العظيم في مواجهة الانقسام العظيم
٢٤٩
التقويم الشمسي ٢٣٦
التقويم المسيحي ٣٩
تكون الأمة الفرنسية ١٣٣
تل أبو شهرين ٩٧-١٠٠
التلان الكبيران ٢٨
تل براك ٢٠١
تل بلوات ١٥٦
تل الحسى ١٥٤-٢٨٢
تل حسونة ٢٦١
تل حلف ٢٠١
تل العمار ٢٠٦
تل العمارنة ١٩٦-٢٧٩
تل كيونجيك ٩٦
تل مخير ٩٧-١٠٠
تل مردوخ ٢٧٧
تل مرسن ٢٠٦
- تخومس الرابع ١٩٧
تخطيط الأهرامات ٢٦
الترتيارية ١٣٠
الترسبات والكهوف ١٢٤
ترفوفنك ٢٧٤
الترقيم ونظام التقويم والمعرفة الفلكية عند
المايا ١٧٧
تركستان ١٦٨-٢٠٣
تركستان السوفيتية ١٦٧
تركيا ٩١-١٦٥-٢٤٠
ترويا ١٦١
ترويون ٧٧
ترينس ١٦٠
تشكوسلوفاكيا ١٣-١١٢
تشكيل النمو الثقافي ٢٦٢
تشيوسي ١٠٧
التصنيف الجيولوجي للصخور ٢٣٨
تطور التنين ١٩٠
التطور العضوي ١٤٣
تطور الفنون الجدارية في الكهوف الملاحي
المزخرفة في فرنسا ٢٠٨
التطور الموازي ١٤٣
التعبير عن العواطف لدى الإنسان والحيوان
١٢٠
تعقيب على مخطوطات المايا في المكتبة
الملكية العامة في درسون ١٧٧

توماس هوارد ٥٢	تلتكس ٥٠
توماس هوفنج ١٩٨	تليسوس ٢٠٨
توماس ينج ٨٤	التمثيل القديمة في موقع تيهواناكو ١٧٦
تومس بلاكويل ٣٣	تبتكو ١٥٠
التوهج الحراري ٢٣٧	تلمسون ١١٤
تيسا فرني ويلر ٢١٧	تنزانيا ١٣٠-٢٧٢
تيناي ١٢٩	توت عنخ أتون ١٩٦
تيهارد دو شاردان ٢٦٨	توت عنخ أمون ١٩٦-١٩٨-٢٧٧
التيونونيون ١٩٣	توت عنخ أمون القصة غير المروية ١٩٨
ثاني أكسيد الكربون ٢٣٤	تورانج تبة ٢٠١
ثرميا ٢٠٤-٢٠٥	تورفالدين ١٠٤
ال شعبان الخزفي ١٦٧	توركي ٦٧
الثقافة الأزلية والتاردينوسية ١٣١	تورنال ٥٨
الثقافة البدائية ١٢٢	توزر ١٩٢-٢٢٥
الثقافة التوراسية ١٣٣	التوفار ٢٠٣
الثقافة الماجدلينية ١٣١	تولوند ٢٦٢
ثور ومطرقته وبعض الأسلحة القديمة	توليوس ٤١
الخاصة بها ٧٣	توماس بارثولين ٣٥
الثورة الإستراتيجية ٢٢٥	توماس بروان ٤٠-٤٨-٢٨٧
الثورة الرومانسية ٣٢	توماس بونال ٣٢
الثورة المصرية ٢٦٧	توماس جفرسون ٥٠-١١٢-١٨٢-٢٢٤-
ثيرا ٢٧٥	٢٨٢-٢٨٣
ثيودور ديفز ١٩٧	توماس جويس ١٧٧
جاؤوا قبل كولبس ٢٥٢	توماس نيورات ١٣
جاك بوشيه دي كريفكير دو بيرت ٦٦	توماس هرسون ١٠١

- جاك دو مورغن ٢٠١-٢٢٢
جاك دي مورغن ١٦٧
جاك سبون ١٧
جاك كوستو ٢٤٠-٢٦١
جاكيتا هوكس ٢١٧
جالي ١٨٤
جالي هل ١٨٣
جاليلو ٥٥
جامعة أدنبرا ١٥٠
جامعة أكسفورد ٥٣-٦٣-٩٥-١٠٠-
١٧٠-١٧٨-١٩٧-٢٠٠-٢١٢-٢٦٢
جامعة بنسلفينيا ٢٤٠
جامعة تورنتو ١١٧
جامعة جون هبكتز ١٧٨
جامعة سالونيكوس ٢٧٧
جامعة سنسنتي ٢٠٣-٢٠٤
جامعة شيكاغو ٢٠٠-٢٠٥-٢٠٦
جامعة كوينهاجن ٣٥-٧٢-٧٤-٧٥
جامعة كيمبردج ٣٩-٦٢-٦٤-١٠٢-
٢٢٠-٢٣٩-٢٤٩
جامعة لايدن ١٠٣
جامعة لندن ١٩١-٢٠٩
جامعة لوند ١٣٢
جامعة ليفربول ٢٠٣
جامعة ليبج ٥٩
جامعة مانشستر ١٩١
جامعة هارفارد ١٧٥-٢٥٢
جامعة ييل ٤٩
جان أوتر ١٦٩
جان فرانسوا شامبليون ٨٤
جان فردريك والديك ١١٦
جايلز هيلي ٢٦٤
جبال الألب ١٠٨
جبال بايروت ٤٦
جبال نزور ١٥٥
جبانة هالشتات ١١٠
جبل بهستان ٩٩
جتلاند ٧٥-٢٦٢
الجدر المغطاة برموز الفؤوس ١٦٧
جراهام كلارك ٢٦٥-٢٦٧-٢٨٣
جرنال دوسكفان ٥٦
جروتفند ٢٨٢
جروتن ٢٤٠
جربازنوف ٢٦٤
جرين لين ٤٤
الجزر الإغريقية ١٦٣
الجزر البريطانية ١٣٧
جزر بحر إيجه ١٣٧
جزر كيكلادية ١٦٣
جزيرة أستر ٢٥٩
جزيرة السمير ٢٥٣

جزيرة فيلة ٨٤	جمعية الدراسات الهيلينية ٢٧٥
جزيرة كورسيكا ٢٥٩	الجمعية الدنماركية ٧٤
جزيرة وايت ١٥٠	الجمعية الفلسفية الأمريكية ١١٢-٥١
الجلس الإلكتروني الدقيق ٢٣٨	جمعية محبي الفنون ٢٣
الجمارين والاختام ١٩٥	جمعية المستشرقين الألمان ١٥٧-١٩٥-٢٠٧
جفرسون ٥٢-٥١	الجمعية الملكية ٣٦-٥٥-٦٨-٢١٧-٢١٨
جفري بوشنيل ١١	الجمعية الملكية الآسيوية ١٠٠
جفري مونثا ٢٠	الجمعية الملكية الجغرافية ٢١٢
جلجامش ٩٧	الجمعية الملكية للآثار ١٠٨
جلنج ٣٤	الجمعية الملكية للآثار في سانت بطرسبرج ١٠٨
جلوب ٢٦٣-٢٦٢	الجمعية الملكية للطيران ٢١٢
جلوتز ٢٠٨	الجنرال بت _ ريفرز ١٧٤
جمدة نصر ٢٠٠	الجنوب الغربي الأمريكي ٢٢٨
جمعية الآثار البريطانية ٤٧	جنيف ١٠٥
الجمعية الآثرية ١٦١-٢٨١	جواتيمالا ٢٢٧
الجمعية الآثرية الأمريكية ١١٤	جوان بابتست فورنييه ٨٥
الجمعية الآثرية اللندنية ٥٦	جوتلاند ٣٤-٣٥
الجمعية الآسيوية ١١٩-١٤٧	جورج اسمث ١٥٤
الجمعية الألمانية ١٩٦	جورج باص ٢٤٠
الجمعية الأمريكية للآثار ١١٢	جورج يبودي ١١٥-١١٦
الجمعية الإنجليزية للآثار ١٥٥	جورج ييرو ١٦٩
جمعية أوديسا الملكية للتاريخ والآثار ١٠٨	جورج دنفير لوجيري ٨٠
الجمعية البريطانية لتقدم العلوم ٢٣١	جورج دو ١٧
جمعية البنغال الآسيوية ١١٨	جورج دينس ١٠٧
جمعية توركي للتاريخ الطبيعي ٦٧	

جون فريير ١٣-٤٧-٥٩-٦٨-٧٨-١١٩-	جورج كوفيه ٦٢
٢٨٠	جورج ويلار ١٧
جون قردنر ويلكنسون ٨٨	جوزيف دبروفسكي ١١٢
جون كادي ١١٦	جوزيف دشرت ١٣٦
جون كمبل ١١٠	جولة ١٤٣
جون كنريك ٨٨	جولة فيما قبل التاريخ في المعرض الدولي
جون كولز ٢٣٢	١٢١
جون لايتفوت ٣٩	جوليان استيوارد ٢٦٦
جون لوبك ٧٨	جومار ٨٣
جون لويد استيفز ١١٧	جون أستو ٥٥
جون ليلاند ٢٨	جون أوبري ٣١
جون مارشال ٢٢٠	جون أوتس ١٨
جون مايرز ١٤٥	جون أوينز ١٧٥
جون مري ٩٥	جون إيفانز ٦٨-٧٠-٨٠-٩-١٠٩-١٧٢
جون مشيل ٦٤	جون برادفورد ٢٣٩
جون ميرز ١٦٣-١٦٤	جون بغفورد ٤٤
جيرابلس ١٧٠	جون بوره ٣٤
جيرشتاد ٢٠٥	جون تايلر ٢٤٠
جيرهارد ١٠٧	جون تراد سكانت ٥٢
جيروم ٣٨	جون جالندو ١١٦
الجيروند ١٢٥	جون ديزني ١٠٣
الجيزة ٢٦-٨٩-٩١-٢٦٧	جون ريز ١٤٧
جيلير مو دوبي ١١٦	جونز ١٤٧
جيمس استيوارت ٢٣	جون غارستانق ٢٠٣
جيمس اسمثون ١١٥	جون غريفس ٢٦

جيمس الأول ٥٦	حامت زبير كوساي ٢٠٥
جيمس برنسب ١١٨	حامل الكوب ١٦٧
جيمس بيرنت ٣٣	حاييم بيرمانت ٢٧٧
جيمس جيكي ١٨٠	حجر رشيد ٨٤-٨٥-٨٦-٢٧٩
جيمس دوغلاس ٧١	حدود كلخيس ٢١٣
جيمس دوكنز ٢٣	الحرب العالمية الأولى ١٩٩
جيمس فيرجسون ١١٩	حرب القرم ٩٨
جيمس ماكلو ١١٣	حصن بريام ١٦١
جيمس ميلارت ٢٧١	الحضارات الإيجية ١٥١
جيمس هاتون ٦٤	حضارات بربرية ١٦١
الجين ١٠٣	حضارات غير إغريقية ١٦١
جيوسبي فيورلي ١٠٦	الحضارة الإغريقية ١٥١
جيو فاني باتستا بلزوني ٨٦	حضارة إندونيسيا الميغاليثية ١٩١
جيو فاني بتاتو ٢٧٧	الحضارة الأوربية ٢٣٠
الجيوفزيائية ٢٣٧	الحضارة الإيجية ١٦٣-٢٠٨
جيوكرونولوجيا الاثني عشر ألف عام	الحضارة البابلية ١٥٦
الآخيرة ١٨٣	حضارة البداري ومخلفات ما قبل الأسرات
الجيوكرونولوجية ١٨١-١٨٢	قرب البداري ١٩٩
الجيولوجيا ٢٤١	الحضارة البرونزية ١٦٦
الجيولوجيا وعلم المعادن في ضوء علاقتهما	حضارة الحيشين ٢٠٥
باللاهوت الطبيعي ٦٣	الحضارة السومرية ١٥٦
الجيولوجية ٢٣٤	الحضارة الكريتية ٢٠٨
الجيولوجيون ١٨٠	الحضارة الكيكلادية ١٦٣
جيير مو ١١٦	حضارة اللاتيون السلتيية ١١١
حاتوشا ١٧٠	الحضارة المصرية القديمة ١٩٠

الحضارة الموستيرية ١٨٨	حول أسباب تدهور الدنماركيين القدماء من
الحضارة الموكينية ١٨٨	البداية وحتى النهاية ٣٦
الحضارة الموكينية المتأخرة ١٥١	حوليات العالم ٣٩
الحضارة المينوية ١٦٧	حوليات العلوم الطبيعية ٥٧-٥٨
حضارة صينية مبكرة ٢٢٢	حوليات المناجم ١٨٣
حضارة هالشتات ١٨٨	الحيشة ٢٢١
حفريات أخرى في موهنجدارو ٢٢١	الحيشون ١٦٩-١٧٠-٢٠٣-٢٠٦
حفريات سيالك ٢٠١	خدعة بليتداون ٢٦٨
الحفريات الفرنسية ٩٦	الحديوي ٨٨
الحفريات في بابل ١٥٧	الحديوي إسماعيل ١٢٢
حفريات في ثرميا في لسبوس ٢٠٤	الحديوي سعيد باشا ٩٠
حفريات في كرانبورن شيس ١٧٣	خرائب بالميرا ١٠١
حفريات في قبرص ١٦٤	خرائب ما قبل التاريخ في كوبان ،
حقب ما قبل التاريخ او مقالات أولية في	هندوراس ١٧٥
آثار ما قبل التاريخ ١٣١	الخرطوم ٨٦
حقبة لاتن ١٣٨	خريطة بريطانيا تحت الرومان ٢١٢
حقبة مندل ١٨١	الخط الإغريقي ٨٤
حقبة نقادة ١٥٢	الخط الديموطيقي ٨٤
الحقبة الهلنستية ١٠٩	الخط المسماري ٩٨-١٠٠
حلب ١٥٥	الخط الهيروغليفي ٨٤
الحلة ٢٨	خطوط النازكا ٢٦٠
حماة ١٦٩-١٧٠	خلاندا ٦٢
الحمامية ١٩٩	خليج أوسلو ١٧٤
الحملة الفرنسية ٢٧	خوتان القديمة ٢٠٢
حوض المتوسط ١٤٧	خورسباد ٩٢-٩٣-٩٤-٩٧-٩٨

خوفو ٢٦٧	الدروب القديمة في غرب إيران ٢٠٢
دائرة الآثار الهندية ٢٠٢	الدروديون ٢١-٣١-٤٧
دائرة المسح الأثري الهندية ١١٩	دريوتو ٢٦٧
دائرة المعارف البريطانية ٨٣-٨٤	دشلت ١٣٦-١٣٧
داخل أول وأبهي هرم ٢٦	دكان ٢١٨
داروين ٦٥-١٢٠	دكشت ٢٢١
الدارونية ١٢٠-٢٨١	دلهي ٢٢٠
داريوس هستاسبس ٩٩	دليل آثار ما قبل التاريخ: السلتي والغالية -
دالو ١٢٦	الرومانية ١٣٦
الدانوب فيما قبل التاريخ ٢١٠	دليل الآثار في متحف الأكاديمية الإيرلندية
الدانوبية ١٣٧	الملكية ١٣٤
دانيال ولسون ٥٧-١٤٠-١١٧-٢١٠-	الدليل الجيولوجي لقدم الحضارة البشرية
٢٨٤	٥٨
داوسون ٢٦٨	دليل الوسائل العلمية للآثارين ٢٣٨
دايا رام ساني ٢٢٠	دليل جيولوجي ١٣١
دايك ١٧٣	الدمار البركاني لكريت المينوية ٢٧٥
دبروجا ٢١٢	دمشق ١٧٠
دبلن ٣١-١٣٤	دملر ١٦٤
دجوود ٢٥	دنا ٢٧١
دراسة الآثار ٢٤٣-٢٤٨	الدندروكرونولوجيا ٥٢
دراسة طوبغرافية للعصر البرونزي والعصر	الدنمارك ٣٤-٣٧-٧٢-٨٧-١٠٤-١٣٢-
الحديدي المبكر والعصر الروماني والإنجلو	٢٣٩-٢٥٨-٢٦٢-٢٨٢
ساكسوني ٢١٤	الدنماركيون ١٤٢-١٤٧-١٧٢
دراسة في فن المايا ١٧٧	الدنيا الجديدة ٢٤٦
درشاروكن ٩٣	دنيس بيدج ٢٧٦

دول مجلس التعاون الخليجي ٢٧٨	دنيكن ٢٦٠
دولوميو ٢٧	دهشور ٢٦
دوم برنار دومونفوكو ٤٥	دوبوث ٨٠
دومنيك فيفان ٢٧	دويونشتتن ١٠٩
دوموتيه ١٢٦	دو بيرت ٦٧-٦٩-٧٠
دو مورتيه ٨٢-١٣٠-١٣١-١٣٣-١٣٥-	دو جسيو ٤٥
١٤٣-١٨٧-٢٤٢	دوجلاس ١٨٢-٢٨٢
دومينيك فيفان بارون دو دنون ٨٣	دوريلفد ١٥٤-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٣-
دون پروثويل ٢٣٧	١٦٨-٢٠٣-٢٠٤-٢٢٤
دون جوان ٩٢	دوربيني ٦٢
دونلي ١٨٠-٢٦٠	دورثي غارود ٢٦٥
دويرست ١٦٨	الدوردوين ٢٣٢-٢٧٠
الدير البحري ٨٩	دورست ٢١٧
دير طاسا ١٩٩	دورشستر أون تيمس ٢٦٣
ديزني ١٠٣	دو رويان ٣٧
ديس ٤٧	دو ريفير ١٠٤
ديسير شارني ١٧٥	دو سارزيك ١٥٦
ديشلت ٧٦	دو سوتولا ٢٧٥
ديفس ١١٤-١٩٧	دو غنويك ٢٠٥
ديفيد كلارك ٢٤٩-٢٥٠-	دوغير ١٨٣-٢٨٢
دي كايلس ٣٧-٣٨	دوقديل ٤٦
ديكسون ١٩٢	دو كافيون ١٢٩
ديلب شاكرا ابارتي ١٣	دوكنز ٢٨٠
دي مورغن ١٨٢	دولا بيرير ٤٣
الديموطيقية ٨٨	الدول الإسكندنافية ٣٤

الرحلات ٢٦	دينوايه ٦٠-١٢٩
الرحلات المصورة ١٧٥	ديودور ٢٥
رحلات في جزيرة العرب ٨٢	ديودور الصقلي ١٩-٢٥
رحلات في مصر ٢٦	ديوسبولس بارفا ١٥٢
الرحلة الكبرى ٢٢	ذوات الخوافر من العصر الجيولوجي الرابع
رحلة إيطاليا ودلماسيا وبلاد الإغريق والشام	١٢٤
١٧	ر.ه.لوي ٢٠
رحلة رائعة طبيعية وآثارية في إقليم يوكاتان	راسام ٩٧-٢٨٦
ما بين السنوات ١٨٣٤ و ١٨٣٦	رأس الخليج الفارسي ١٩٣
رحلة في بلاد الإغريق ١٧	رأس شمرا (أوغريت القديمة) ٢٠٦
ردوالد ٢٢٩	رأس شمرا ٢٠٦-٢٠٧-٢٨٢
ردوس ١٠٥	الراسمالية ٢٣٠
رديم ١٣٢	راسمس نيروب ٧٢
رسائل تل العمارنة ١٥١	الراقصة والراهب الملتحي ٢٢٢
رسالة إلى السيد داسيه ٨٥	رامساور ١٠٩
الرغفيدا ١٧٩-٢٢٠	رامسي ٦٨
رمسيس ٨٥	راولنسون ٢٦٨-٢٨٢
رمسيس الثاني ٢٥	رايت ١٦٩-١٧٠
الرموز المسمارية ٩٩	رايزنر ٢٢٥
رندال ٩٥	رتش ٩٣
الرندير ١٣٠	رتشارد بوكوك ٢٦
الرهبان ٢٢	رتشارد بيرتون ١٦٩
الرواية الكلدانية لسفر التكوين ١٥٥	رتشارد شاندله ٢٢
روبرت بروس فوت ١١٩	رتشارد لبيوس ٨٦
روبرت بروس متفولد ٢٢٩	رتشارد ليكي ٢٧٦

الرومان ١٩-٣٠-٣١-٤٤-٧٢-٨٢-	روبرت بريدوود ٢٤٨-٢٣٠
١٠٨-١٠٩-١٢٤-١٣٥-١٤٤-١٦٩-	روبرت بلوت ٥٣-٤٤-٣٠
١٧١-٢١٠-٢٣٠-٢٣١	روبرت جونز ٨٠
رومان غرشمان ٢٠١	روبرت سيبالد ٢٨٠-٤٤
رونالد ديكسون ١٩١	روبرت كوتون ٥٥
رووي ٩٦	روبرت كولدي ١٥٧
ريتشارد كولت هور ٧١	روبرت لووي ١٤٥
ريتشيرة ٣٠	روبرت هايزر ٢٤١
ريجلان ١٩٢-١٩٣	روبرت رود ١٠١-٢٣
ريغولو ٦٧	روينهاوزن ٧٧
ريفت ٢٨٠-٢٣	روتماير ٧٧
ريفور ١٧٢	رودجر اغاشي ٢٣٩
ريفير ١٢٥-١٢٦-١٢٨-١٢٩	رودنكو ٢٦٥-٢٦٤
رينفرو ٢٥٠	روزالند ٤٠
ريهورك ٢٥٩	روزرلي ١٧٣
زقورات ٢٣٦	الروس ١٤٤
الزقورات السومرية ٢٠٠	روسكيلد ٣٤
زلي وايت ٢٦٦	روسيا ٦٩-١٠٨-١٣٧-١٦٠
زونر ٢٨٣	روسيليني ٨٦
زيمبابوي ٢٨٤	روفس بتنام ٤٩
زيورخ ٧٦-٧٧-١٦٨	روفنيك ٢٧٠
سابلوف ٥٢-١١٥-١٧٦-٢٢٤-٢٢٥-	روفيغناك ٢٨٦
٢٤٦-٢٢٨	رولنسون ٩٩-١٠٠-١٥٦
ساحل بيرو ١٧٦	روما ٢٤-٥٥-٢٢١-٢٤٠-٢٤٣-٢٧٤-
سارجون ١٥٦	٢٧٧

ستايا ٢٥	سارجون الثاني ٩٣
ستايلز ٤٩	سارزيك ١٥٧
سترايون ٢٥	سافيل ١٧٥
السترة الفرنسية ١٨٨	سالسبري ٧١
ستون ٢٦١	سالمون رايناخ ١٢٤-١٤٥-١٦٤-٢٣٩
ستون لويدي ٢٦١	سالي ٢٤٧
ستون هنج ٢٤٢-٢٥٩-٢٦٣	ساموثريس ١٥٨-١٥٩-٢٠٨
سراب الشرق ١٤٥	سان برست ١٢٩
سرتيما ٢٥٢	سانتندر ١٢٣
سريقي ١٦٨	سانت أشول ٦٧
سرناندر ١٨١	سالمجرمان ٢٦٩
سريندرا ٢٠٢	سانديس ٢٦
سريوفيش ٢٧٤	سان لورينزو ٢٧٤
سسكس ٢٩-١٨٣	ساني ٢٢١
سفر التكوين ٢١	ساوث كترنغتون ١٧٢
سفن غوكشتاد ١٧٤	سايرس توماس ١٧٨
سفن الفاينج ١٧٤	سايرس غردون ٢٥٢-٢٥٣
سفن نلسون ١٣٨-٢٨٤	سايرل فوكس ٢٦٢
سفولك ٤٧	سايرل كونولي ١٢
السفينة تحت الهرم ٢٦٧	سايس ١٧٠-١٩٧
سقارة ٢٦-٨٩-١٤٨	سايمون يونغ ١١
سكالك ٢٥٨	السببية الثقافية والقانون ٢٦٦
سكولي ثورلاكيوس ٧٣	سبريدون ماريناتوس ٢٧٥
السلافيين ١١٢	سبعون عاماً في حقل الآثار ١٥٠
سلبري هل ٢٦٣-٢٧٤	سبون ١٧

السلت ٧٩-١٦٢-٢٨٧	سوفس مولر ٢٤٢
سلتون لويد ١٥٨-١٥٧	سولاس ٢٦٨-٢٨٣
السلتية ١٤٨-١٤٥	السوم ٦٨-٧٨-٧٩
السلتية: فجر التاريخ ١٣٦	سومر ١٨-٢٤٣
السلتية المتأخرة ١١٠	السومرية ٢٢١
السلتيون ٢١-١٤٧	السومريون ١٥٦-١٥٧-٢٠٠-٢٨٢
سلفانس مورني ٢٢٦	سوهم ٧٣
سلفستر دوساسي ٨٤	السويد ٣٤-٣٦-٣٧-١٧٢-٢٨٤
سلوتر ٨٠	السويديون ١٧٢
سلينار ١٣	سويسرا ٧٧-١٠٩-١٣٧-٢٨٤
سمبل ٢٠٣	السويسريون ١٤٩
سمث ويري ١٩٢	سيالك ٢٠٢
سمسون ٢٣٤	سياللد ٤٦
سنت جوزيف ٢٣٩	سيبيريا ١٣٧-٢٦٤
سنت نينيان ٢٧١	سيتون لويد ٩٦
السند ٢٢٢	سيرايوم ممفيس ٨٩
سنكارا ١٠٠	سيرفتري ٢٣٨
سهل أنطاكية ٢٠١	سير كلفيل ١١٣
سهل سلسيان ٢٠٥	سيسل سمث ١٦٣
سوانسكوم ١٨٣	سيكتس الخامس ٤٢
السودان ١٨٥	سيلبي ٢٦٠
سورية ١٤٩-١٧١-٢٠١-٢٧٧	سيناء ٨٦-٢١٢
سورية غير المكتشفة ١٦٩	شابر ١٢٤
سوزان دو سان ماثوران ٢٦٥	شاتيون سور سين ٢٦٩
سوسة ٢٠١	شادويك ٢٨٢

شارب ١٨٥	شاندله ٢٣
شارتر ١٢٩	شانهودارو ٢٢١
شارف ١٩٨	شاه تبة ٢٠١
شارل الثالث ملك أسبانيا ٢٥	شايلد ٢٠٩-٢١٠-٢٢٩-٢٣٠-٢٣١-
شارل الرابع ٢٤	٢٣٢-٢٣٥-٢٤٧-٢٥٥-٢٥٦-٢٨٢-
شارل الرابع ملك نابولي ٢٥	٢٨٥
شارلس بودتش ١٧٧	شايلد الأسترالي ٢١١
شارلس بيازي سمث ١٥٠	الشبكة الكريستالية للمعادن ٢٣٧
شارلس توماس ١٠٥	شبه الجزيرة العربية ٢٧٨
شارلس داروين ١٣-١٢٠	شبه القارة الهندية ٢١٧-٢١٨-٢٨٤
شارلس داوسن ١٨٤	شتلاند ٢٧١
شارلس الرابع ١١٦	شتوبل ١٧٦
شارلس روش سمث ١١١	شخصية بريطانيا ٢١٥
شارلس لايل ٦٢-٦٥-١١٥	الشخصية الجغرافية ٢١٦
شارلس لندبرغ ٢٢٨	الشرق الأدنى ٢٣-١٤٤-١٨٨-٢١١-
شارونت ٢٦٥	٢١٢-٢١٣
الشارونت الأطلسي ٢٦٤	الشرق الأدنى القديم ٢٠٣
شافهاوسن ٦٩	الشرق الأوسط ٢٠١
شافو ١٢٣	شرق المتوسط ١٣٥-١٤٥
شالمنصر الثاني ١٥٦	الشرق وأروبا ١٤٥-٢٣١
الشام ١٠٥-١٦٤	شركة إلكتريك بوت ٢٤٠
شامبليون ٨٥-٨٦-٢٦٨-٢٨٢	شركة الهند الشرقية ٩١
شانتر ١٣٤-١٣٦	شركة الهند الشرقية الهولندية ٥٤
الشانج ٢٢٣-٢٨٢	شري راو ٢١٩
شاندراغبثا ٢١٨	شيرير ٢١٥

شسترد شاردر ٢٧٤	شرون ١٢٤
شط العرب ٩٨	شش اتر ١٨٠
شعوب الأرض ٢٧٤	شفر ٢٨١
شعوب البحر ٢٠٦	شكاغو ٢٣٤
شعوب بلنداون ٢٦٨	شيلي ١٧٦-٢٦
شفاب ١٠٩-٧٧	صحيفة التايمز ٢٧٠
شفيلد ٦٨	صحيفة الفيجارو ٢٧٠
شقار بازار ٢٠١	صحيفة المورننغ بوست ٩٤
شكسبير ٤٠	صمويل بارسونز ٤٨
شلزفج ١٧٣	صمويل جونسون ١١٨-٣٣
شلمنصر الثالث ٩٤	صمويل روجرز ٤٠
شلنبرج ١٦٨	صمويل هيفن ١١٤
شليمان ١٣٧-١٥٤-١٦٠-١٦١-١٦٢	صندوق الاستكشافات المصرية ١٤٩
١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٨٠	صورة من تاريخ علم الآثار ٢٦٤
١٨٨-١٩٦-١٩٧-٢٠٠-٢٠٣-٢١٦	الصيادون القدماء وأمثالهم المعاصرون ٢٨٣
٢٢٠-٢٧٦-٢٧٩-٢٨٢	الصين ٨٨-٢٢٠-٢٢٢-٢٢٣-٢٣٠
شمت ١٦٨-١٨٢-٢٠٥-٢٢٤-٢٨٢	٢٥٤-٢٥٦-٢٧٨-٢٨٢-٢٨٤
الشمس ١٩٦	طبائع الأسرار ٥٥
شميرلنج ٥٨-٥٩-٧٨	الطب الديني ٤٠
شو ١٧٩	الطبقات كما تعكسها المتحجرات ٦٤
شوارتز ٢٢٤	طراز الفخار الأتيكي الأحمر ٢٠٨
شوب ٢٥٢	طروادة: حفريات جامعة سنسناتي ٢٠٣
شورخارت ٢٠٩	طروادة ١٣٧-١٥٤-١٥٩-١٦٣-١٦٤
شوماخر ٢٠٦	١٦٦-١٦٨-١٦٨-١٨٨-١٩٦-٢٠٣
شيراز ٩٢	٢٠٤-٢٢٠-٢٢٤-٢٧٦-٢٧٩-٢٨٢

٢٧٦-٢٥٥-٢٣١	طروادة هومر ١٦١
العصر البرونزي المبكر ١٣٥	طروادة والطروديون ٢٠٣
العصر البلايوسيني ١٢٩	طلوة ١٥٧
العصر البيزنطي ١٦٢	الطميرا ٢٨٧-١٢٧-١٢٦
العصر الجليدي ١٨٣-١٨٢-١٨١	طولون ٢٦
العصر الجليدي وعلاقته بآثار الإنسان ١٨٠	طومسن ٧٣-٧٤-٧٥-١٠٨-١٤٢-
العصر الجيولوجي ١٢٩-١٣٠-	٢٨٠-٢٤٧-٢٠٠
العصر الحجري ١٢٧-١٢٥-٧٧-٧٥-	طيبة ١٩٦-٩٠-٨٦-٢٥
١٨٨-١٧١-١٤٧-١٤١-١٣٨-١٢٨	ظهور المدنية السكلاد وبحر إيجه ٢٥٠
العصر الحجر الحديث ٧٨-٧٩-١٣٠-	عادات البدائيين الأمريكان مقارنة مع
١٣١-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٧-١٤٧-	عادات الأزمنة المبكرة ٤٥
١٨٩-٢٠٦-٢٠٧-٢٢٢-٢٣٠-٢٣١-	عادات وتقالييد المصريين القدماء ٨٨
٢٣٢-٢٥٤-٢٥٥-٢٦١-٢٧٤-٢٨٥	العالم الكلاسيكي ١٤٠
العصر الحجري القديم ٧٨-٧٩-٨٠-٨١-	العالم والآثار ٢٣٨
١٢٣-١٣٠-٢٠٦-٢٠٨-٢٠٩-٢٢٠-	العبيد ٢٠٠
٢٣٠-٢٣٢-٢٣٣-٢٥٥-٢٦٥-٢٧٠-	عجائب الرحلات ٣٢
٢٨٧	العمر المعدني ٢٠٤
العصر الحجري القديم الأعلى ١٢٤-١٨٣	عزرا ستايلز ٤٩
عصر الحجري الكينولثك ١٣١	عشرة ٢٤٠
العصر الحجري المعدني ٢٠٢	عشر سنوات من الحفريات ١٥٣
العصر الحجري الوسيط ١٣١-١٣٢-	عصر الأنيوليثك ١٣٥
١٣٣-٢٠٢-٢٦٥-٢٧٤	عصر البرونز ١٣٤
العصر الحديدي ٧٥-٧٧-٧٨-١٠٨-	عصر البرونز الأوربي ١٣٦
١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١٣٣-١٣٥-	العصر البرونزي ٧٥-٧٧-٧٨-١٠٩-
١٤١-١٤٧-١٧١-٢١٧-٢٣١-٢٥٥	١١٠-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-
	١٣٨-١٤١-١٤٢-١٤٧-١٧١-١٨٨-

علم الآثار المعاصر ٢٤٦	عصر الرندير ١٢٦
علم الثقافة ٢٦٦	العصر القديم ٢٣٥
علم الجيولوجيا ١٢٠	العصر المايوسيني ١٢٩
علم الحيوان ٢٤١	العصر المعدني ٢٥٤
علم الشعوب ١٨٩	عصر ملاحم موكيناي ١٦٢
علم الفلك ٢٤١	العصر الموكيني ١٣٧
علم المصريات ٨٨-٨٥	العصر النحاسي ١٣٤-١٣٥-١٤١
علم المعادن ٢٤١	عصر النهضة ٣٤
علم النبات ٢٤١	العصر الهالشتاتي ١٤٧
العلوم الاجتماعية ٢٤١	العصر الوسيط ٢٨٠-٢٨٥
العلوم التاريخية ٢٤١	العصور الثلاثة الدنماركي ١٣٠-١٣٤
العلوم في الآثار ٢٣٧-٢٤١	العصور القديمة ٢١٤-٢٢٩-٢٤٣-٢٤٩
علي كوش ٢٧٣	٢٥٨-٢٧٦
عليشار هوك ٢٠٥	العصور القديمة الأمريكية ٢٥٠
عن الخلق بحث في أصل المخلوقات وتطورها ٦٦	عصور ما قبل التاريخ في بلجيكا ٨٠
عناصر البليوغرافيا الحيثية ٢٠٣	عطشانة ٢٠١
العهد القديم ٣٨-٣٩-٤٢-١٠٠	علاقات يوكاتان ١٧٧
غابريل دو مورتية ١٢١	علماء الإغريق ١٩
غاذروود ١١٦-١٧٥	علم الآثار الأمريكي ٢٢٤-٢٥١
غارستانق ٢٠٣-٢٠٥-٢٠٧-٢١١	علم الآثار الأمريكي الحديث ٢٤٢-٢٤٦
غاريفو ٨٠-٨١	علم الآثار الأنثروبولوجي ٢٤٦
الغازة الفرنسية ١٧٦	علم الآثار الإنجلو ساكسوني ١١٢
غاسبار فيلكس طورناشون ١٨٤	علم الآثار البديل ١٩٤
غاستون بوسيه ١٠٦	علم الآثار الجديد ٢٤٦-٢٤٩-٢٥٠
	علم الآثار الحديث ٢٥٩

غاستون ماسبيرو ١٤٨	غنز ١٨١
الغال ٧٢-١٢٤-١٧١	غوجرات ٢١٩
غالاسي ١٠٧	غوجيه ٤٥-٧٠-١٦٨-٢١٥-٢٨٠-٢٨٣
غاليس ٣٥	غوستاف أدولف الثاني ٣٤
غاميو ١٧٥	غوستافسن ١٧٤
غباجة (سانتندر) ١٣٧	غوستاف كوسينا ١٩٣
غبرائيل دو مورتيه ١٢٤-٨٢	الغوط ٢١-١٤٧
غرادمان ٢١٤	غوكشتاد ١٧٤
غراغناتو ٢٥	غونار اندرسون ٢٢٢
غرافتون إليوت اسمث ١٤٦	غبي برنتون ١٩٩
غراهام كلارك ٢١٥-١٣٢	الغيبات القديمة ٣٣
غرايمز ٢٦٩	غير ٧٩
غردون ٢٥٢-١٧٥	غيرار دو غير ١٨٢
غردون شيلد ١٤٢-٢٠٩-٢٢٩-٢٤٣	قابري دو بيريس ٥٥
٢٦٦	فاتز ٢٢٠-٢٢١
غرشمان ٢٠٢	الفاتيكان ٤٢-٤٣
غروت دوفال ١٣٧	فارسيه ٧٣-٧٦-١٢٣-١٣٥-١٤٢-٢٤٧-
غروت دو كافيون ١٢٨	٢٨٢
غروتفند ٩٨-٩٩	فارنا ٢٧٦
غريب في وادي الملوك ٢٦٠	قالدك ١٧٩-١٨٠
غريغوري الثالث عشر ٤٢	الفايكنج ٢٥٣-١٨٥-١٨٧-٢٨٥
غريمالدي ١٢٨	الفترة الرومانية / البريطانية ١٢٨
غرينلاند ٢٨٤	الفترة السلتيه ١٣٨
الغزة السلتيون ١١١	قثري ١٥٤
غلادستون ١٨٠	فجارا ملونا ٢٠٥
	فجر الحضارة الأوربية ٢٠٩

١٣١-١٣٦-١٣٧-١٤١-١٧١-١٧٦-	فجر المجتمع الأوربي ٢٣١
١٨٣-١٨٧-٢٢٩-٢٣٣-٢٣٩-٢٥٨-	الفخار الأنجلو ساكسوني ١١٢
٢٨٤	فخار بيكوس ٢٢٧
فرنسا ما قبل التاريخ ١٢٤	فخار فجر الحضارة الإغريقية ١٥٢
الفرنسيون ٢٣-٢٧-٦٧-٦٩-٧٨-٩٣-	الفخار الكبدوكي ٢٠٥
٩٦-٩٨-١٢٧-١٣١-١٣٤-١٥٩-١٩٣-	الفخار الموكيني ١٥١
٢٠١-٢٠٨-٢١١-٢١٧-٢٦٧	الفراعنة ٩٠
فروستمان ١٧٧	الفراعنة والفلاحون والمستكشفون ١٤٩
فري ٨٠	فرائز بواس ٢٢٥
فريد رش ادلر ١٥٩	فرائز بوب ١٤٨
فريدريك الخامس ٣٦	فرانسكو ديمارشي ٢٤٠
فسلر ١٨٩	فرانسو دالو ١٢٥
فكتور بلاس ٩٦	فرائكز ١٠٩
فكرة ما قبل التاريخ ١٢	فرانكس ١١٠
فكسي ٢٦٩	فرانكفورت ١٩٦
فل ٢٥٢-٢٦٠	فرانك هول ٢٤١
فلاندن ٩٣	فرجينا ٢٧٧-٢٨٢
فلسطين ١١٧-١٥٤-١٩٥-٢٠١-٢٠٦-	فردريك غانروود ١١٧
٢١١-٢١٢-٢١٤-٢٢٤-٢٤٣-٢٧٣-٢٧٤	فردريك هروزني ١٧١
فلشي ٢٣٨	فرسن ٩٨
فلنדרز بيتري ١٤٩-١٥٠-١٧٢-١٧٦-	فرعون ٢٦
١٩٥-٢٥٧-٢٧٥-٢٨١-٢٨٢-	فرلاميون ٢١٦
فلندورف ١٢٨	فرنسا ١٧-٢٧-٣٧-٤٥-٤٦-٥٥-٥٦-
الفلنديون ١٤٧	٥٨-٦٦-٧٠-٧٢-٧٨-٨٠-٨٣-٨٤-
فلنري ٢٧٣	٩٦-١٠١-١١١-١٢٢-١٢٨-١٣٠-

فونٽ شوفاد ۲۶۴	فلهم راي ۱۷۶
فيبورج ۲۶۲	فلورنسا ۵۵
فيدال دولا بلاش ۲۱۶	فلوريدا ۴۹
فيديل سايمسن ۲۸۰-۲۱۵-۷۳	فلوكوفسكي ۲۶۰
فير ۱۳۱	فليب الثاني ۲۷۷
فيراكروز ۲۷۴	الفن السلتي القديم ۲۶۲
فيراتي امبراتو ۴۲	الفن اللاتيني ۱۱۱
فيردناند كيلر ۱۰۹-۷۶	فتريس ۲۸۲
فيرشوف ۶۹	فنلندا ۱۳۷-۳۶
فيرم ۱۸۱	فنون وحرف مصر القديمة ۱۹۵
فيغان ۹۶	فؤاد سفر ۲۶۱
فيغاند ۲۰۸	فورتفانغلر ۱۵۴
فيكتور برن ۸۰	فورم ۳۵
الفيكونت دو لاسك ساجاك ۸۰	فورنييه ۸۵
الفيكونت دو مارلو ۱۰۴	فوستر ۱۰۴
فيلا البرديات ۲۵	فوفيل ۱۰۴
فيلا دلفيا ۵۱	فوكس ۲۴۲-۲۱۶-۲۱۴-۲۱۱
فيلاكوبي ۱۶۶-۱۶۴-۱۶۳	فوكس تالبوت ۱۰۰
فيلة ۲۷۱	فون بلسكي ۱۳۴
فيلكس توما ۹۸	فون دانكين ۲۸۶-۲۵۹
فيمن ۲۰۸	فون در اوستن ۲۰۵
فيما ۵۴	فون در اوستن واشمت حفريات عليشار
الفينيقيون ۲۵۳-۲۵۱-۱۴۷-۴۸-۱۱	هيوك ۲۰۵
۲۵۹	فون ساكن ۱۱۰
فينوس ۲۸۷-۱۲۸	فون سرتيما ۲۵۳-۲۵۲

قرقيش ١٧٠-١٧١	فينوس دوميلو ٢٨٧
القرن الذهبي ٣٥	فينوس دي ميلو ١٠٤
القرنة ٩٨	فيوريلي ٢٢٤-٢٨١
قروب ١٥١	فيوغاند ٢١٢
القساوسة ٢٢	الفيوم ١٩٨
القسطنطينية ١١-١٠١-١٠٤-١٠٥-١٧٠	فيبي ١٠٧
قصة العمليات والاكتشافات الأخيرة في	قارة أطلانطا ٤٨-١٧٩-٢٨٦
الاهرامات والمعابد ٨٧	القارة الهندية ٢٨٢
قصة الكلدانيين عن الطوفان ١٥٥	قاردنر ١٥٢-١٩٨
قصة رتش ٩٢	قاموس أكسفورد ١٦
قصة مقيم في كردستان ٩٢	القاموس المصري ٨٥
قصر آشور بانيال ٩٧-٩٨	قانون تطور الإنسانية ١٢١
قصر النيل ٩١	قانون التطور المشابه ١٢١
قصر سارجون ٩٧	القاهرة ٢٦-٢٧-٨٢-٩١-١٤٦-١٤٩
قصر سنحريب ٩٥-٩٦	قاو ١٩٩
قصر فستوس ١٦٦-٢٠٧	القبائل الإسرائيلية ١٧٩
قصر كريستال ٩٨	قبائل البرابرة ١٩
قصر كريستيانبرج الملكي ٧٤	القبائل المفقودة والقارات الغارقة ٢٥٢
قصر موكنيني ١٦٤	القبارصة ١٧٠
قصر مينوس ١٦٥	قبرص ١٦٣-١٦٤-١٧٠
قصر مينوس في كنوسوس ١٦٦	قبر ميغاليثي ٣٦
قصر مينوي ٢٠٨	قبر يوكليد ١٠٢
قصص أرمن ١٩٨	قبل المدنية ٢٥٠
القصور الآشورية ٩٥	القدم البعيد للإنسان ١٢٢
قضايا فيما قبل التاريخ الأوربي ٢٥٠	قرشو ١٥٧

القضية الآرية وإنسان ما قبل التاريخ ١٤٨	كارلابل ٤٦
قلادستون ١٦١-١٦٢	كارل بتر ٢٨٣
قلعة ميدن ٢١٧-٢٤٢-٢٦٢	كارل بلجين ٢٠٣
قلوريل ٢٨٦	كارلتون ١٦٧
قمران ٢٦٤	كارلو ليرسي ٢٣٨
قنا ٩١	كارلون ٢١٦
قناة السوم ٦٦	كارنا ٢٤٢
قناة السويس ٩٠	كارنبورن شيز ٢٧٥
قواعد اللغة المصرية القديمة ٨٥	كارنة ٣٧
قورنيا ٢٠٧	كارنرفون ١٩٧-١٩٨-٢١١-٢١٦
القوط ١٦٢	كارنغي ٢٢٨
قول ألجز ٢١١	كارنوا ١٨٣
قيصر ٢١	كاسبر ياكوب كرستيان رويفنز ١٠٣
قيمة التصوير الجوي في الآثار ٢٢٨	كاشان ٢٠١
كابا دوسيا ١٦٩	كالب أنوتر ١١٣
كاب مالينا ١٠١	كامبل طومسون ١٧١-١٩٩
كاترقاج ٧٠	كامبي ٢٢١
كاثرين ٥٤	الكامبينية ١٣٧
كاثرين كنيون ٢٦٧	كامدن ٢٩ - ٣٠
الكارامبولو ٢٧١	كانشتات ٦٠
كارتر ١٩٨	كاهون ١٥١-١٥٢
كارتيلاك ١٢٧	كاولي ٢٠٣
كارتيلاك كارتيلاك ١٢٦	كايلس ٥٥
كاردف ٢١٧-٢٦٣	كايري ١٠٧
كارستن نيور ٢٨-٨٢-٢٨٠	كبلر ٣٩

كريستوس دوماس ٢٧٥	الكتابات المينوية ١٦٦
كريستيان يرغنسن طومسن ٧٤	كتابات كريت ١٦٥
كريستيان الرابع ٣٤	الكتابة المصرية القديمة ٨٤
كش ٢٠٠	كتابة مسمارية ١٩٥
الكشف الفلوري بالأشعة السنية ٢٣٨	كتلر ٤٩-٥٢
كفاحي ١٩٣	كتلوج فنون العصر الجيولوجي الرابع ١٢٨
كلابروت ١٤٨	كدوس ١٠٤
كلارك ١٠٢-١٠٣	كرانشي ٢٢١-٢٢٤
كلايمسترا ١٦١-١٦٢	كرانبورن ١٧٣
كلفورنيا ٢٣٦	كرانبورن شيس ١٧٢
كلكتا ١١٨-١٤٧	كرجان ١٦٧
كلود شيفر ٢٠٦	كرستوفر هوكس ٢٣١
كلوديس جيمس رتش ٩١	كرستي ٨٠-١٢٣-١٣١
كلوديس رتش ٩٢	كرمنشاه ٩٩
الكلية الجامعية ١٤٦-١٤٩-١٩١-٢١٦	كروبر ٢٦٢
كلية القديسة ٣٩	كروفورد ٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥
كلية وثائق الآثار ٣٦	٢٢٩-٢٣٩-٢٤٢-٢٤٣
كمبل ١١٢	كروماغنون ١٢٨
كنت ٥٩-٦٣-٦٧-٧٠-١٨٣	كرونكل ٢٥٨
كتابريا ٢٣٣	كرونولوجيا العصر البرونزي والعصر
كنث أوكلي ٢٣٧-٢٦٨	الحديدي المبكر ٢٠٤
كنج ١٨٥	كريت ١٣٨-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٨١
كنجسبره ١٨٠	٢٠٨-٢١١-٢٧٥
كندا ١١٧	كريت ما قبل التاريخ ٢٠٨
كنديغوا ١٨٢	الكريتيون ٢٠٨

اعتراف منكر ١٢٧	كنريك ٨
كوبان ١٧٥	الكنز المدفون ٢٥٨
كوبنهاجن ٣٥-٧٤-٧٥-١٢٣-٢١٥-٢٨٠	الكنز المفقود ٤٩
كوتون ٥٥	الكتعانينون ٤٩
كورتايو ٧٧	كنوز بريام ١٦١
كورتس ٢٣٧-٢٨١	كنور ميناس ١٦٠
كورتيسوس ١٥٩-١٦٢	كنوسوس ١٦٥-١٦٦-١٨٨-٢٠٧
كورسليت ٧٧	كهف توركي ٥٩
كوسينا ١٩٣-١٩٤	كهف حفرة العنز ٦١
كوشريل ٣٧-٤٥-٢٧٩	كهف روفنياك ٢٧٠
كوكريل ١٠٤	كهف شافو ٧٩
كول اوبا ١٠٨	كهف الطميرا ١٢٣
كولت ٧٦	كهف غايلنرويت ٤٦
كولت هور ٧١-٧٢-١٠٩	كهف فو دو غوم ١٢٦-١٢٧
كولديفي ١٥٨	كهف لاسكو ٢٣٢-٢٥٩-٢٦١-٢٧٩
كولبس ٤٢-٤٨-١٧٨-١٨٢-٢٢٥-	كهف لاموت ١٢٥
٢٨٤-٢٥٢-٢٤٧-٢٤٥-٢٤٣	كهف لونوك دو ادوير ١٢٨
كولن ردلر ١٤	كهف ليزايزي ٨٠
كولن رينفرو ٢٣٢-٢٤٩-٢٥٠-٢٧٦-	كهف موستيه ٨٢
٢٨٣	الكهنة ٢١
كوليردج ١٣٨	الكهنة الدروديون ٣٢
كوليني ١٣٤	كهوف برنيز ٨٠
كوم تبة ٢٠٤	كهوف بريغورد ١٢٣
كومبارل ١٢٧	كهوف عصر الرندير ١٢٧
الكونت دوغوينو ١٩٣	الكهوف المزينة بالرسومات مغارة الطميرا،

كوتكت ٢٤٠	كينيا ١٣٠
كون تيكي ٢٥٣-٢٥٤-٢٦٤	كيولجيك ٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-١٥٥
كونتينو ٢٠٣	اللابيون ١٤٧
كونر ٢٧١	لاتور فيرن كور ٣٨
كونزه ١٥٩	لاتين ١٠٩
كونسير ٧٧	لاتيون ١٣٦
كونلنوود ١٧٣	لاخش ١٥٦
كونيبير ٦٥	لارتيه ٧٩-٨٠-٨١-٨٢-١٠٩-١٢٣-
كونيرز ٤٤	١٣١-١٣٣
كونير ٦٢	لارسا القديمة ١٠٠
كيتون طومسون ١٩٨-١٩٩	لاستيفنز ١٧٥
كيث ماكلروي ٢٤٠	لاسكو ٢٣٤-٢٨٧
كيدر ٢٢٥-٢٢٧-٢٢٨	لاسكو وستون هو ٢٧٧
كيدر ليكوس ٢٢٦	لاغش ١٥٦
كيرام ٢٦٤	لافيتو ٤٥-٢٨٠
كيرش ١٠٨	لامادلين ٨٠-٨١
كيرفيتيري ١٠٧	لامبث ٥٢
كيش ٩٨	لامنحوتب الثالث ٢٦
كيف جاءت الحضارة ١٩٠	لاموت ١٢٥-١٢٦-١٢٧
كيفالا ١٦٥	لاندا ١٧٧
كيفما تريدها ٤٠	لانسبي ٢٥٣
كيكلادية ١٨٨	لاهور ٢٢٠
كيلر ٧٧	لايتفوت ٤٨
كيمبرج ٨٤-١٧٧-٢١٤-٢٢٧-٢٣١	لايتلتون ٤٧
كينولثك ١٣٢	لايدن ٢٠١

لايدني ٢١٦	٩٥-١١٩-١٢١-١٤٥-١٤٦-١٤٩-
لايل ٦٥-٦٨-٧٠-١١٥-١٢٠-٢٨١	١٥١-١٥٦-١٨٣-١٨٥-١٩١-٢١٣-
لايلتون ٤٦	٢١٦-٢١٧-٢٧٠-
لبسيوس ١٥٠	لوبراسور ٣٧
لبنسكي فير ٢٧٤	لوبك ١٠٩-١٢٠-١٣٠-١٣٨
لبوك ١٠٩	لوبك أزمان ما قبل التاريخ ١٣١
لسبوس ٢٠٤	لوبلنجون ١٧٥-١٧٩-١٨٠-
اللغات الهندية الأوربية ٢٠٣	لوبورجية ١٢١
اللغة الإنجليزية ١٦١	لوثال ٢١٩
اللغة الألمانية ١٦١	لوثر ٣٩
اللغة البابلية ٢٨	لوجيري ٨١
اللغة الحيثية ٢٨٢	لوحات كورنيتو الجدارية ١٠٧
لغة الحيثيين ١٧١	لوحة الكوخ ١٢٥
اللغة السومرية ١٥٧	لوخونيس ١١٢
اللغة الشريطية ٢٨٢	لورانس ١٧١
اللغة العيلامية ٢٨	لورد ٨٠
اللغة الفارسية القديمة ٩٩	لورد الجين ١٠١
اللغة الفرنسية ١٦١	لوريك بري ٢٤٦
اللغة اللاتينية ١٤٨	لوغروس كلارك ٢٦٨
اللغة المينوية ٢٦٨	اللوفر ٨٨
لفتس ٩٧-١٥٦	لوكرتس ٢١
لكماريكة ٣٧	لولتر وإيفا نيوراث ١٣
لميلوس ١٦٣	لومستيه ٨٠-٨١
لندبره ٢٢٨	لوي ١٩١-٢٤٢
لندن ٤-٤٣-٤٤-٥٥-٥٦-٧٠-٨٣-٨٨-	لويد ٣١-٢٨٠-

ليو فور بينيوس ١٨٩	لويس ٢٩-١٨٣-٢٧٢
ليون ١٧	لويس الأول ١٠٤
ليون باتستا ألبرتي ٢٤٠	لويس بالما دي كسنولا ١٦٤
ليون ري ٢١٢	لويس بن إدوار لارتييه ١٢٨
لييج ٥٨	لويس بنفورد ٢٤٧
ماثيو باركر ٥٥	لويس ليكي ٢٦٧-٢٧٢-٢٧٦
الماجلينية ١٣١	لويس مورغن ١١٨-١٣٩-٢١٠-٢٨٤
الماجلينيون ١٣٠	لي شي ٢٢٣
ماجمندار ٢٢١	ليارد ٩٤-٩٥-٩٦-١٠٠-٢١٦-٢٨٦
ما حدث في التاريخ ٢٣٠-٢٣٢-٢٤٣	ليانج سو يونج ٢٢٣
المادة الأثرية المصرية ١٥٣	ليبي ٢٣٤
مارتيل ٢٧٠	ليجرا دوسي ٣٨
مارزابوتو ١١١	ليوسي ٢٣٨-٢٧٠
مارسليا ٢٤٠	ليروي قورهان ٢٣٣
مارسلينو دي ساوتولا ١٢٣	ليزايزي ١٢١-١٢٥-١٢٦-١٢٨-٢٧٠
مارشال ٢١١-٢٢١-٢٢٤	ليسيا ١١١
ماركس ٢٥٥-٢٨٤	ليلاند ٣٠
الماركسية ١٤٤	ليما ١٧٦
مارك ليون ٢٤٦	ليمان ٢٠٨
مارلو ١٠٩	ليمان هارتلبن ٥١
المارن ١١١	لين فوكس ١٧١-١٧٢-١٧٣
ماري ٢٠١	لينارت فون بوست ١٨٢
ماريا ٩٨	لينارد ١٧١
ماريت ٨٨-٨٩-٩٠-٩١-١٢٢-١٤٨-	لينارد وولي ٢٠٠
١٤٩-١٥٩-٢٨٦	ليوث اسمث ٢١٠

ماريتا ٤٩	مانويل غامبو ٢٢٥
ماريناتوس ٢٧٥	ماهوديل ٢٨٠-٤٥
ماسبيرو ١٩٧-٩٠	ماونت لي ٢٧٨
ماشوس ١٧٧-١١٢-٤٩	المايا ١١-١٧٧-١٧٩-١٨٠-٢٢٨-٢٤٥-
مازلت منقياً ٢١٧-٢١١	٢٨٣-٢٧٧-٢٦٦-٢٥٦
ما قبل التاريخ ١٩٠	المايا عبر العصور ٢٦٤
ما قبل التاريخ في العالم ٢٧٥-٢٧٤	مئة عام من علم الآثار ١٢
ما قبل كولبس ٢٥٢	مئة وخمسون عاماً من تاريخ علم الآثار
ما قبل المدنية ٢٨٣	٢٤٧
ما قبل الموكيني ١٥١	مئة وخمسون عاماً من علم الآثار ١٢
ماكارتي ٢١٦-٢١٥	مايرز ١٤٥
ماكاي ٢٢٤-٢٢١	مايكل طومسن ١٧٤
ماكردي ١٩٠	مايكل فترس ٢٦٧
ماكس ١٧٦	مايكل كو ٢٧٤-٢٤٥
ماكس أول ١٧٥	مايو فلنדרز ١٥٠
ماكس أوهنفالش ريختر ١٦٤	مبادئ الإستراتغرافيا الجيولوجية ٦٥
ماكس مولر ١٤٨	مبادئ الجيولوجيا ٦٢-٦٥-١٢٠-٢٨١
ماكسي مالوان ٢٦٥	المباني الحجرية البدائية في كل الأقطار:
ماكشيش ٢٧٧-٢٤٥-٤٥	عمرها ووظائفها ١١٩
ماكينري ٧٨-٦٧-٥٩	المتحف الأشمولي ١٥٢-٥٣-٣٠
مالنس ١٢٠	متحف ألبرت سيف ٥٤
مالطا ٢٣٥	متحف بت ريفرز ١٧٢
مالنوفسكي ٢٤٨	متحف بثال غرين ١٧٢
مالونيس اندرونيكوس ٢٧٧	المتحف البريطاني ٢٥-٢٧-٥٥-٨٧-٩٤-
مانشستر ١٩١-١٤٦	٩٥-٩٨-١٠٠-١٠٢-١٠٤-١٠٥-

١١٠-١٥٢-١٥٥-١٦٣-١٧٠-١٩٩-	مجتمعات ما قبل التاريخ في الجزر
٢٠٠	البريطانية ٢٣٠
متحف بولونيا ٥٢	المجر ١٠٨-١٣٧
متحف بيبودي ١١٥-١١٦-١٧٥-١٧٧-	مجلة آثار كيمبرج ٢١٤
١٧٨-١٩١	مجلة أركيولوجيا ٤٦
المتحف الترانديسكانتي ٥٣	المجلة الجغرافية ٢١٣
متحف جامعة بنسلفانيا ٢٠٠	مجلة الحملة ٢٥٨
متحف درسدن ١٧٦	مجلة العصور القديمة ٢١٠-٢٧٥
متحف سلكبورج ٢٦٢	مجلة العلوم ٢٦٧
متحف سلون ٥٤	مجلة أنثروبولوجيا ١٢٧
متحف فارنا ٢٧٦	مجلة جامعي التحف ٢٠٠
متحف فتزوليام ١٠٢	المجلس البريطاني للآثار ٢٣٨
متحف فورم ٣٥	مجموعة آثار المصريين والآترسك والإغريق
متحف فينا ١٠٩	والغال ٣٨
متحف قبرص ١٦٤	مجموعة البحر الأبيض المتوسط ١٣٧
المتحف القومي ٧٤	مجموعة التحف ٥٥
المتحف القومي الدنماركي ٧٥	المجموعة الثانية من آثار نينوى ٩٥
المتحف القومي السويدي ١٣٤	مجموعة دراسات في علم اللغات والتاريخ
المتحف القومي للآثار ٢٦٩	القديم لأمريكا ١٧٧
المتحف القومي للآثار المصرية ٩٠	مجموعة فخار ما قبل التاريخ ١٩٥
متحف كوينهاجن ٧٦	محاضر الجمعية الجيولوجية ١٨٣
متحف اللوفر ٨٥-٨٨-٩٣-١٠٤-١٥٧-	محبو الفنون ٢٢
٢٠٥	المحيط الأطلسي ٢٥٢-٢٥٣
متحف ويلز الوطني ٢١٦	المحيط الهادي ٢٥٢-٢٥٣-٢٥٤
المجتمع القديم ١٣٩	مختصر نظام الهيروغليفية ٨٥

المخطوطات القبطية ٨٨	المدنيات الأوائل ٢٥٦
المخلفات الاكواتانية ٨٠-٨١	المدنية الأمريكية الاولى ٢٤٥
مدارات حضارية ١٨٩	مدو ٢٥٣
المدافن القديمة ٣٨	مديشي ٥٥
مدافن ميغاليثية ١١٩	مذكرات ثانية عن خرائب بابل ٩٢
مداولات الاكاديمية البريطانية ٢١٧	مذكرات رتش ٩٢
مدراس ١١٨-١١٩	مذكرات عن خرائب بابل ٩٢
مدرسة ابرسوث للأنثروبولوجيين الجغرافيين	مذكرات عن ولاية فرجينيا ٥٠
٢١٤	مذكرة عن الأدوات من الصوان المعثور عليه
مدرسة الاتساقين ٦٥	في سانت أشول ٦٧
المدرسة الآثارية البريطانية ١٩٨	مراحل علم الآثار ١٧
المدرسة البدائية ٣٣	مرتكزات القرن التاسع عشر ١٩٣
المدرسة البريطانية ١٥١-١٦٣	مرحلة التكوين ٤٤
المدرسة الطبية الحكومية ١٤٦	المرحلة الحجرية ٤٤
المدرسة الفرنسية للآثار ١٠٤	المرحلة القديمة ٤٤
مدرسة بومبي ٢٨١	المرحلة الكلاسيكية ٤٤
مدرسة بومبي للتنقيب ١٠٦	مرحلة ما بعد الكلاسيكية ٤٤
مدرسة فلير ٢١٤	مرزبل ١٣١
مدرسة مانشستر ١٤٦-١٩٠-١٩١-١٩٣-	مرسل سيفر ٥٧
٢١٠-٢٥٢-٢٥٤-٢٥٦-٢٨٥-٢٨٦	مرسين ٢٠٦
مدرسة وستمنستر ٢٩	مرسوم كانوب ٨٦
مدريد ٢٣	مركز المايا ١٧٥
مدزبل ١٣٢	مرملة بني سلامة ١٩٨
المدن القديمة في العالم الجديد ١٧٥	مري ١٦٤
مدن ومدافن أتروربا ١٠٧	مسارا ٢٠٨

مصر القديمة ١٩٠	مستجدة ١٩٩
مصر القديمة تحت الفراعنة ٨٨	مستجدة وحضارة طاسا ١٩٩
مصر ما قبل التاريخ ١٩٥	المستشرقون ٢٠١
المصريون ١٩-٢٥-٤٨-١٤٦-١٧٠-	مستوطنات البحيرات في سويسرا وبعض
٢٥٩-٢٥٣-٢٥١	مناطق أوربا ٧٧
المصريون القدماء ١٤٦-١٨٠-١٩٠-١٩١-	مستوطنات العصر الحجري الوسيط في
مصعدة ٢٧٣	شمال أوربا ١٣٢
مظاهر السطح القديمة: دراسات في علم	المسح الجيوفيزيائي ٢٣٧
الآثار الحقلية ٢٣٩	مسح جوي لآثار فجر التاريخ في بلاد
المعابد الصخرية في الهند ١١٩	الغال والرومان ومنطقة البحر الأبيض
المعابد المالطية ٢٤٧-٢٧٣-٢٨٧-	المتوسط ٢٣٩
معبد أبو سمبل ٢٧١	المسرح القديم ٢٥
معبد أبولو ١٠٤	مسلينيا كيوروسا ٥٦
معبد أبي الهول ٨٩	مسوحات في خلال الحرب ٢١٣
معبد أغادة ١٨	المسيح ١٧٩
معبد إله الشمس ١٥٦	مشيل ٣٠
المعبد الجنائزي ٢٦	مشيل فلوري ٢٧١
المعبد السومري القديم ١٥٨	مصادر ما قبل التاريخ ٢٥٨
المعبد الممتوني ٢٦	مصر ١٩-٢١-٢٢-٢٥-٢٦-٢٧-٨٢-
معبد أوزير أبيس ٨٩	٨٥-٨٦-٨٨-٨٩-٩١-١١٧-١٤٠-
معبد زيوس ١٠٤	١٤١-١٤٦-١٤٨-١٤٩-١٥١-١٥٢-
معبد عشتار ١٥٨	١٥٨-١٥٩-١٦٤-١٦٩-١٧٦-١٧٩-
معبد ميثرا ٢٦٩	١٨١-١٩٠-١٩١-١٩٥-١٩٧-١٩٨-
المعدنيات ٤٢-٢٨٠-	١٩٩-٢١١-٢٢١-٢٢٤-٢٣٦-٢٤٣-
العلمون ٢١	٢٥٦-٢٦٧-٢٧٤-٢٧٥-٢٨٤

معلومات تاريخية وإحصائية تخص تاريخ وأحوال القبائل الهندية في الولايات المتحدة	مقبرة توت عنخ أمون ١٦٧-١٩٨-٢٠٠
١١٤	مقبرة الثيران المقدسة ٨٩
معهد الأبحاث الوطني للتاريخ ٢٢٣	مقبرة زيفولينني ١٠٧
معهد الآثار ٢٠٣-٢٠٩	مقبرة سفينة ستون هو ٢٢٩
المعهد الأسمنوني ١١٦-٢٢٣	مقبرة غرينج ٣١
معهد الأسمنونيان ١١٥	مقبرة كانسوديس ٢٠٨
المعهد الألماني للآثار ١٥٩	مقبرة كوشريل ٤٤
معهد باريس ٦٦	مقدمة في الآثار الأمريكية ٢٤٥
معهد الدراسات الأثنولوجية ١٤٥	مقدمة في آثار ما قبل التاريخ ٢٤١
معهد الدراسات الشرقية ٢٠٦	مقدمة في دراسة آثار الجنوب الغربي ٢٢٦
المعهد الفرنسي المصري ٢٧-٨٢	مقدمة في دراسة هيروغليفية المايا ٢٢٦
المعهد القطبي الكندي لدراسة الفايكنج	مقدونيا ٢١٢
٢٥٣	مكان الإنسان في الطبيعة ١٢٠
معهد كارنفي ٢٢٦-٢٢٧	مكتبة البودلين باكسفورد ٣١
المعهد الملكي للدراسات الأنثروبولوجية	المكتبة البولندية ١٧٨
١٣٢-٢٠٩	مكتشفات أشور ١٥٥
المعهد الملكي للعلوم الاجتماعية ١٣١	المكيك ١١-٥٠-١١٣-١١٦-١١٩-
مغارة بيز ٥٧	١٨٠-٢٢٥-٢٤٥-٢٦٣-٢٧٤
مقابر الأترسكا ٢٧٠	ملاحظات بسيطة وجديدة عن سفر التكوين
المقابر الإسكائية ٢٦٥	٣٩-٤٠
مقابر سيبيريا المجمدة ٢٦٥	ملاحظات حول المخلفات العضوية الموجودة
المقابر الميغاليثية ١٣٣-٢٧٩	في الكهوف ... ٦٣
مقال عن السكان ١٢٠	ملتان ٢٢٠
مقال في عدم المساواة بين أجناس البشر	الملحمة الأمريكية ٢٥٢
١٩٣	ملحوظة عن العظام البشرية في كهوف
	الغار ٥٨

ملشهوقر ١٦٥	موجات الصلصال ١٨٢
الملكة مو وأبر الهول ١٧٥	مودسلي ١٧٥
الملوك الآشوريون ٩٤	مورتمر ٢٤٣
ملوك بابل ١٨	مورتمر ويلر ١٧٤-٢٢٥
مفيس ٨٣-٨٦	مورتييه ١١١-٢٣٦
ممنون ٢٥	مورغن ١٤٠-١٤١-١٤٤-٢٥٥-٢٨٤
من هم بناء التلال ١٧٨	المؤسسة القومية للعلوم ٢٤٨
المناخ والآثار ٢٨٣	مؤسسة يهودي ٢٤٥
مناسيخ كتلر ٤٩-١٨٢-٢٨٣	مؤسسة توماس وهلسون ١٤
متليوس ٢٨٢	مؤسسة ثيمس وهلسون للنشر ١١
متون ١٢٩	مؤسسة جون موري ١١
مندل ١٢٨	مؤسسة ميلانو للعلوم التقنية ٢٣٨
منشورات جمعية المستشرقين الألمان ١٨١	موسى عليه السلام ٢٦٠
منظور جديد في علم الآثار ٢٤٦-٢٤٨	الموصل ٢٨-٩٢-٩٣-٩٦-١٠٠
منغن ١٩٨	موكيناى ١٥١-١٥٤-١٦٠-١٦١-١٦٢
المنهج الجغرافي الإحصائي ١٨٩	١٦٣-١٨٨-١٩٦-٢٠٤-٢٢٠-٢٢٠
منوعات غنية من الشرق ١٨	موكيني ١٦٦
مو ١٨٠-٢٥١	الموكينية ١٤٥-١٦٦-٢٠٨-٢٢١
المو ٢٥٩	الموكينيون ٢٠٦
المواقع الرومانية ٢٣٩	مولان كينيون ٦٩-٧٠-٢٦٩-٢٨٦
مؤتمر الآثار ١٢٣	موليسو ١٦٨
المؤتمر العالمي للآثار ١٣٢	مولينيزيا ١٨٩
المؤتمر العالمي للأنثروبولوجيا ١٣٢	مون أكسوا ١١١
المواقع المغياليثية ٦٠	مونبليه ٥٨
موتيرد ٢١٣	مونبودو ٣٣

مونتفوكو ٣٧	ميلر ٢٦٨
مونتليوس ١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٤١-	ميلويتش ٢٣٥
١٤٢-١٤٤-١٧٢-٢٣١-٢٣٥-٢٤٢	ميناء بومبي ٩٤
٢٨٥-٢٥٦-٢٤٧	ميناء عظيم اختفى ٢١٣
مونتنيك ٢٣٢	ميناس ١٦٠
مونتوبان ١٢٦	المينوتور ١٦٥
مون رياقي اليزسانت رين ١١١	مينوس ١٣٨
مونويدي ٢٨٤	مينوس ولبرنيث ١٦٥
موهنجدارو ٢١٨-٢٢٠-٢٢١	المينونه ١٣٨-١٤٥-١٦٦-١٨٨-٢٢١
موهنجدارو وحضارة السند ٢٢١	ميونخ ٢٣
الميجر ٢٣٩	نابليون ٨٢-٨٣-١٠٣-١١٩-٢٦٧
ميدلتون ١٨٣	نابليون بونابرت ٢٦
ميراثنا في الهرم الاكبر ١٥٠	نابليون الثالث ٩٠-١١١-١٧١
مير كاتي ٤-٤٥-٢٨٣	نابولي ٢٤-٢٥-٥٥-١٠٦
ميري ليكي ٢٧١-٢٧٢	نابونيد ١٨-١٥٦
ميز راتزل ١٨٩	نارام سن ١٥٦
ميس ١٩٨	الناريون ١٩٣
ميشيل ميركاتي ٤٢	نافيل ١٩٧
الميفاليثية ١٣٧-٢٣٥	نانسي جنكتز ٢٦٧
الميفاليثية الهندية ٢١٨	النايتروجين ٢٣٤
ميغرر ٢٥٤	النحو المقارن ١٤٨
ميكارتني ٢٨٠	نحو تاريخ لعلم الآثار ١٣
ميكالي ١٠٧	نخاو ٢٥٣
ميكلي اديتي ١٠٦	ندبرغ ٢٢٨
ميل تاركا ٩٦	النشاط النيتروني ٢٣٨

نشوء الحضارة ١٩١	نهر هالس ١٦٩
النظام الديني القائم على افتراض وجود	النوبة ٨٦-٢٧١
الإنسان قبل آدم ٤٣	نورث همبرلاند ٢٦٦
نظام العصور الثلاثة ١٥٣	النوردية ١٣٧
نظرية الأرض ٦٤	نورمبرج ١٠٤
نظرية التطور ١٤٤	نوقراطيس ١٥٤
نفرتي ١٩٦-٢٨٧	نويل هيوم ٢٨٦
النقش البابلي ١٠٠	نيبور ٩٨-١٥٧
النقود الرومانية ٣١	النيجر ٨٨
نقوش المايا ٢٦٠	نيرب ٧٦
نقوش بهستان المسمارية الفارسية ١٠٠	نيروب ٧٤
نقوش مسمارية ٩٣	نيغريتي ١٨٥
نكلو روسيليني ٨٥	نيكولا ريفت ٢٣
نلس نلسون ٢٢٥	النيل ١٨٠-١٩٢
نلسون ٢٧-١٤٣-٢٠٥	نيلور ١١٨
نماذج في علم الآثار ٢٥٠	نينا بريتانيكا ٧١
نمرود ٩٣-٩٤-٩٥-٩٦	نينوى ٢٨-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-
النمسا ٦٠-٨٣-١٠٩-١٢٨	٩٨-١٠٠-١٥٥-١٥٧-١٦٣
النمساويون ١٥٨	نينوى ومخلفاتها ٩٤
النمط والغرض ٢٦٢	نيو ١٢٧-٢٣٣-٢٨٧
نموذج لارتييه ١٣١	نيو إنجلند ٤٤
النهر الأصفر ٢٧٨	نيوارك ١١٦
نهر الدانوب ٢٧٤	نيو أورلينز ٤٩
نهر دجلة ٩٢	نيوبري ١٩٧
نهر دوسل ٦٩	نيوتن ١٠٥-١٩٦

نيو غرينج ٢٧٩-١١	الهجرة السكانية المبكرة صوب الأودية في
نيو فاوندلاند ٢٥٣	جنوب بريطانيا ٢١٤
نيومكسيكو ٢٢٥	هرايا ٢١٨-٢٢٠-٢٢١-٢٨٢
نيويورك ١٨٢-١٩٧-٢٣٤	هريرتسون ٢١٢
هابو ٨٩	هرم أوناس ١٤٨
هاتزداكس ٢٠٨	هرم جوسر ٢٦
هارغريفز ٢٢١	هرمزد راسام ٩٦-١٥٥
هارفارد ١١٥-١١٦-١٩١-٢٢٥	هرودوت ٢٥
هارلي ٥٥	هروزي ٢٠٣-٢٨٢
هاغيا ترايادا ٢٠٧	هسارلك ١٣٧-١٦٠-١٦١
هافن ١٧٥	هغارت ١٦٥
هالبر ٢٠٧	هفن ١٧٨
هالفون هالرشتاين ١٠٤	هكسلي ٦٩-١٢٠-١٤٨-١٩٢
هالشتات ١٠٩-١٣٥-١٣٦-٢٦٩	الهلال الخصيب ٢٣٠
هالفورد ماكندر ٢١٦	هلبخت ١٥٧
هاليكارنا سوس ١٠٥	هلدبراند ١١٠-١٣٥
هامدن ١٠٩	همدان ٩٩
هامشو توماس ٢١٢-٢٣٩	هملر ١٩٤
هانس سلون ٥٤	الهند ١٣-٨٨-١١٣-٢٠٢-٢١١-٢١٦-
هانوفر ١١٢	٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢٠-٢٢٢-٢٢٣-
هاوسمان ٢١٦	٢٢٨-٢٣٠-٢٥٤-٢٥٦-٢٨٤
هايردال ٢٦٤	الهند القديمة ٢١٧-٢١٨
هايرش شليمان ١٥٩	هندوراس ١١٦-١٧٥
هتشنسون ٢٠٨	هندوراس البريطانية ٢٧٧
هتلر ١٩٣	الهندوسية ٢٢٠

هول ٢٠٠-٢٧٣	هنري الثامن ٢٨
هولشتاين ٣٤	هنري راو سكولكرافت ١١٤
هولندا ٣٥-٥٤-١٦٠-٢٢٩	هنري شيترون ٤٩
هومر ٢٥-١٦٠-١٦٢-٢٠٤	هنري كرستي ٨٠
الهوموسيبيان ٢٦٤	هنري كرسويك رولنسون ٩٩
الهوموهيلز ٢٧٦	هنري مارتن ٢٦٤
هونان ٢٢٢-٢٢٣	هنري نافيل ١٥٠
الهونيون ١٦٢	هنكس ١٠٠
هيئة الإذاعة البريطانية ٢٥٧-٢٦٣	الهنود ٥٠-٥١-٥٢-١١٧-١٧٨-١٧٩
هير ٧٧	٢١٧-٢٢٦
هيراكليوم ١٠٥	الهنود الأمريكيون ٤٣-٤٥-٤٨-١١٣
هيرالدز كولدج ٢٩	١١٤-١٣٢-١٩٢-٢٤٣-٢٨٣
هيركيولانيوم ٢٤-٢٨١	الهنود الأوربيون ١٤٨
الهيرمتاج ٥٤	الهنود اللاكندون ٢٦٣
هيرنادو دو سوتو ٤٩	هنود المكسيك ١٧٩
هيرودوت ١٩-٢١-١٠٨	الهنود المكسيكيون ١٧٧
الهيروغليفية ٨٥-٨٨-١٦٦-١٧٦	هودر فستروب ١٣١-١٣٢
الهيروغليفية المصرية ٢٨٢	هوارد كارتر ١٩٧-٢١١-٢٧٩
هيسويد ٢١	هوانغ تي ٢٧٨
هيفز ٢٤١	هوبرت شمت ١٦٧-١٦٨
هيفن ١١٥	هوراس ٥٦
هيلادية ١٨٨	هوراس لبول ٥٢
الهيليوليتيه ١٩٠	هوغارت ١٧١
الهيبرج ٢٤٢	هوغو فنكلر ١٧٠
هيوستن استيورات شامبرلين ١٩٣	هوكسن ٤٧-٦٨-٧٨-٧٩-١١٩

هيويت ٢٢٦	وسائل علم الآثار وأهدافه ١٥٣
واتلان ٢٠١	وست كنت ٢٧٤
وادي بيكوس ٢٢٥	وسكس من الجو ٢١٣
وادي تاهوكان ٢٤٥-٤٤	الوسيس ١٠٢
وادي الدوردون ٨٠	وشنشن ٢٢٧
وادي الرافدين ٢٨ - ٨٢ - ٨٩ - ٩١ - ٩٢	وصف مصر ٨٢ - ٨٨ - ١٩٦ - ٢٨٠
٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٥٥	ولاشيا ١٠٨
١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٩ - ١٩٩ - ٢٠١	الولايات المتحدة ٥٠ - ١١٢ - ١١٦ - ٢٤٨ - ٢٥٨
٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٣٦ - ٢٥٦ - ٢٧٣	ولاية أوهايو ٤٩
٢٧٤ - ٢٨٢ - ٢٨٤	ولاية ماسشوست ٣٢
وادي السند ٢١٩ - ٢٢١ - ٢٢٤	ولاية مين ٢٥٣
وادي المكسيك ١٧٥ - ٢٢٥	ولتر اندري ١٥٨ - ١٥٧
وادي الملوك ١٩٧ - ٢٧٩	ولتر ليف ١٥٩
وادي النيل ١٤٥ - ١٤٦	ولتر نورلث ١١
واشنطن ١١٥ - ١١٦ - ٢٢٦	ولترز ١٦٤
واندري ١٥٨	ولسون ١١٧
واهبو الحياة ١٩٠	ولي ١٧١
وايلد ١٣٥	وليام استكلي ٣٢
وثائق درسون ١٧٧	وليام سمث ٦٤
وثبة الثور ١٦٧	وليام بارترام ٥٠
وديتس ١٧٣	وليام بكلاوند ٦٣
وربرو ١٧٣	وليام بنجلي ٦٧
ورس ١٨١	وليام بورلاس ٢٨
الوركاء ٩٧ - ٢٠١	وليام جونز ١١٨ - ١٤٧
وزارة الخزانة البريطانية ٩٤	وليام دقديل ٤٣
وسائل البحث الآثاري في أمريكا ١٧٨	وليام كامدن ٢٩ - ٥٥

وليام كننغتون ٧١	يغريبريس ٣٦
وليام كنيت لفتس ٩٧	اليمن ٢٧٨
وليام هاملتون ٢٥	ينز ياكوب اسمسن فارسيه ٧٥
وليام هنري هاريسون ٥٠	ينغلنجر ١٧٤
وليام وايلد ١٣٤	يواخيم وينكلمان ٢٣
وليم بارس ٢٣	يوجيني ١٢١
وندي أشمور ٢١٥	يورتان ٢٠٤
ويلارد لبي ٢٣٤	يورك ٥٣
ويلاند سمثي ٢٧٤	يوركشير ٢١٩-٢٦٥
ويلتشير ٣١	يوسبيوس ٤٨
ويلر ٢١١-٢١٦-٢١٧-٢١٩-٢٢٤	يوسف عليه السلام ٢٦٠
٢٢٨-٢٤٢-٢٦٢-٢٨١	اليوسبيوس ٣٨
ويلز ٣٠-٦١-١٧٣-٢٤٢-٢٥١-٢٦٢	يوشع ٢٥-٢٠٧
ويلز ما قبل التاريخ والفترة الرومانية ٢١٦	يوغسلافيا ٢٧٤
ويلسي ٥٢-١١٥-١٧٦-٢١٦٢٢٤-٢٢٥	يوكليد ١٠٢
٢٢٨-٢٤٥-٢٤٦	يوليسيس الدروفاندي ٤١-٥٢
وينر ٢٦٨	اليونان ١٣٧-١٥٨-٢٧٤-٢٧٧
وينكلمان ٢٤	يونج إيكرمان ١١١
وينفرد لامب ٢٠٤	اليونسكو ٢٧١
ويلمز فريمان ٢١٣	يونكر ١٩٨
ياخاكستان ٢٢٧	يوهان ٣٦
يادين ٢٧٣	يوهانس برونستد ٧٦
يارر ١٦٠	يوهانس بوريوس ٣٤
يانج شاو تسون ٢٢٢	يوهان فريدريش اسبر ٤٦
يانج شو ٢٢٢	يوهان هادروف ٣٦
اليسمر ٧٥	يوبا ٢٦٠



مطبعة

مركز الملك فيصل

للمخطوط والدراسات الإسلامية

هذا الكتاب

يُعد هذا الكتاب محاولة لإبراز أمور مهمة في مجال الاكتشافات الأثرية، وكذلك في مجال تاريخ الفكر البشري.

ويشمل الكتاب مقدمة وستة فصول قدمت عرضاً وفق تسلسل زمني لتاريخ علم الآثار تبدأ من عام ١٧٩٧م وتنتهي بالربيع الثالث من القرن العشرين.

وفي ثانياً الكتاب نجد حديثاً عن ميلاد علم الآثار، وبدايات الاكتشافات الأثرية ومن هم الرواد الأوائل من علماء الآثار وتطور علم الجيولوجيا الحديث والوسائل العلمية المستخدمة في التنقيب عن الآثار.

المؤلف: غلين دانيال

- ❖ ولد بمقاطعة ويلز البريطانية عام ١٩١٤م، وتوفي بمدينة كيمبردج عام ١٩٨٦م.
- ❖ تخرج في كلية سنت جونز بجامعة كيمبردج بمرتبة الشرف الأولى في علم الآثار.
- ❖ عمل أستاذاً بقسم الآثار بجامعة كيمبردج، ثم أستاذ كرسي الآثار بالجامعة خلال الأعوام ١٩٧٤-١٩٨٦م.
- ❖ عمل محرراً لمجلة "آثار" خلال الأعوام ١٩٥٨-١٩٨٦م.
- ❖ أنشأ سلسلة «الشعوب والأماكن القديمة» التي يحمل هذا الكتاب الرقم ١٠٠ منها.
- ❖ قدم عدداً من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وله العديد من المؤلفات في مجال علم الآثار.

المترجم: عباس سيد أحمد محمد علي

- ❖ من مواليد مروي بالسودان عام ١٩٤٦م.
- ❖ نال الدكتوراه من قسم الآثار بجامعة كيمبردج عام ١٩٧٨م.
- ❖ عمل أستاذاً مساعداً، ثم رئيساً لقسم الآثار بجامعة الخرطوم خلال الأعوام ١٩٨٥م.
- ❖ يعمل أستاذاً مشاركاً بقسم الآثار بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٨٥م.
- ❖ نال منحة فلبرايت الأمريكية عام ١٩٨٣م.
- ❖ أجرى عدداً من التنقيبات الأثرية، وله العديد من المؤلفات في مجال آثار ما قبل

